www.bustanekotab.com
بوستان کتاب

العروة الوثقى والرحلة

في تفسير سورة الحمد

للعلامة محمد بن الحسين الحارثي العاملي
المعروف بالشيخ البهائي

للشيخ حسين، والد الشيخ البهائي قدس سرهما

الإعداد والتحقيق: مركز العلوم والثقافة الإسلامية
مركز احياء التراث الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

العروة الوثقى
و الرحلة

شبکة کتب الشیعة
shiabooks.net
mktba.net < رابط بدیل

تفسیر: ۷۱ (قرآن: ۱۲۴)

- تخصصی (طلاب و دانشجویان)

شماره انتشار کتاب: چاپ اول با شمارگان: ۱۰۲۸

شماره انتشار کتاب: چاپ اول با شمارگان: ۳۸۳۲

کتاب‌های پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی: ۱۶۵

شیخ بهائی، محمد بن حسین، ۹۵۳ - ۱۰۳۰ ق.
العروالوثقی فی تفسیر سورة الحمد/ لمحمد بن الحسین الحارثی العاملی المعروف بالشیخ البهائی؛ [تحقیق] مرکز العلوم و الثقافة الاسلامیة، مرکز إحیاء التراث الإسلامی؛ المحقّقان: محمدرضا النعمتی، اسد الطیّب . - قم: مؤسسه بوستان کتاب (مرکز چاپ و نشر دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم)، ۱۳۸۰.
[۲۲۸] ص. - (مؤسسه بوستان کتاب؛ ۱۰۲۸. کتاب‌های پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی؛ ۱۶۵) (تفسیر، ۷۱، قرآن، ۱۲۴)
ISBN 978- 964 - 09 - 0120 - 5 ۴۶۰۰۰ ریال:
فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا.
Allameh Muhammad Bin al-Hasan al-Hurrehi-al-Ameli, Known as Sheikh al-Bahai (May His Spirit Be Sanctified). The Firm Tie in the Exegesis of Hamd Sura and Sheikh Hussayn, Sheikh Bahai's Father (May Their Spirit Be Sanctified). Travel
بخش اول این کتاب (العروالوثقی) در سال ۱۳۷۱ به تصحیح و تحقیق اکبر ایرانی قمی توسط دارالقرآن الکریم نیز منتشر شده است.
کتابنامه: ص. [۲۱۰] - ۲۱۹؛ همچنین به صورت زیرنویس.
چاپ سوم : ۱۳۸۷.
۱. تفاسیر (سوره حمد). ۲. اصفهان (استان) = سیر و سیاحت = قرن ۱۰ ق. ۳. عراق = سیر و سیاحت = قرن ۱۰ ق. ۴. سفرنامه‌ها. الف. عاملی، حسین بن عبدالصمد، ۹۱۸ - ۹۸۴ ق. الرحلة. ب. دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم. پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی. مرکز احیاء آثار اسلامی. ج. نعمتی، محمد رضا، ۱۳۴۱ - . مصحح. د. طیب، اسعد، ۱۳۱۹ - . مصحح. هـ. دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم. مؤسسه بوستان کتاب. و. عنوان: الرحلة.
۲۹۷/۱۸ BP ۱۰۲ / ۱۲ / ۹ ع ش ۲
ب ۱۳۸۷

العروة الوثقى

في تفسير سورة الحمد

للعلامة محمد بن الحسين الحارثي العاملي

المعروف بالشيخ البهائي قدّس سرّه

و الرحلة

للشيخ حسين والد الشيخ البهائي قدّس سرّهما

التحقيق: مركز العلوم و الثقافة الإسلامية
مركز الإحياء التراث الإسلامي

بوستان کتاب
۱۳۸۷

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
شماره ثبت: ۰۲۴۱۰۳
تاريخ ثبت:

العروةالوثقى في تفسير سورة الحمد للعلّامة الشيخ البهائي قدّس سرّه
الرحلة للشيخ حسين والد الشيخ البهائي قدّس سرّهما

●الإعداد و التحقيق: مركز العلوم و الثقافة الاسلامية / مركز احياء التراث الاسلامي
●المحقّقان: محمّدرضا النعمتي و أسعد الطيّب
●الناشر: مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة و النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)
●المطبعة: مطبعة مؤسسة بوستان كتاب ●الطبعة: الثالثة / ١٤٣٠ق، ١٣٨٧ ش
●الكمية ٥٠٠ ●السعر: ٣٦٠٠ تومان

جميع الحقوق © محفوظة
printed in the Islamic Republic of Iran

◆العنوان: قم، شارع شهداء (صفائيه)، ص ب ٩١٧. الهاتف: ٧-٧٧٤٢١٥٥ الفاكس: ٧٧٤٢١٥٤. الهاتف: ٧٧٤٣٤٢٦
◆المعرض المركزي (١): قم، شارع شهداء (بمحاذاة أكثر من ١٧٠ ناشر يعرض اثني عشر ألف عنواناً من الكتب)
◆المعرض الفرعي (٢): طهران، شارع فلسطين الجنوبي، الزقاق الثاني (يشن)، الهاتف: ٦٦٤٦٠٧٣٥
◆المعرض الفرعي (٣): مشهد المقدّسة، تقاطع خسروي، مجمّع ياس. الهاتف: ٢٢٣٣٩٧٢
◆المعرض الفرعي (٤): أصفهان، تقاطع كرماني، گلستان كتاب. الهاتف: ٢٢١٠٣٧٠
◆المعرض الفرعي (٥): أصفهان، ساحة انقلابيه قرب سينما ساحل. الهاتف: ٢٢٢١٧١٢
◆المعرض الفرعي (٦) (للشباب): قم، بداية شارع شهداء (صفائيه)، الهاتف: ٧٧٣٩٢٠٠
◆التوزيع: بكتا (نوزيع الكتب الإسلامية و الإنسانية)، طهران، شارع حافظ، قرب تقاطع كالج، بداية زقاق باشماد. الهاتف: ٨٨٩٤٠٣٠٣
◆وكالات بيع كتب المؤسسة في البلد و خارجه (المضمّ إلى ورقة الاستطلاع للآثار في نهاية الكتاب)

البريد الالكتروني: E-mail:info@bustan-ketab.com
استلام الرسالة (SMS) : ١٠٠٠٢١٥٥
الآثار الحديثة في المؤسسة والتعرّف إليها في عرب سايت=

مع جزيل الشكر و التقدير لجميع الزملاء الذين ساهموا في استخراج هذا العمل منهم:
●أعضاء لجنة دراسة الإصدارات ●أمين لجنة الكتاب: جواد آهنگر ●الملخص العربي: سهيلة شاتي ●الملخص الإنجليزي: مريم خاتمي ●مبيه: مصطفى محفوظي ●النقد: عبدالوهاب دروگر ●التصحيح و التنضيد: داود اوريد، محمود هدايي، أحمد مؤتمني و سعيد حميدي ●تنظيم صفحات الكتاب: أحمد أخلي ●تصميم الغلاف: مسعود نجاتيفر ●مدير الإنتاج: عبدالهادي أشرفي ●الإعداد: حميد رضا تيموري ●طلبات الطبع: أمير حسين مقدّمنش و بنية الزملاء ●دؤون الطباعة: علي علمراده، مجيد مهدوي و بقية الزملاء، في قسم الديزاين الطباعة و التجليد.

رئيس المؤسسة
السيد محمد كاظم القمي

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيّماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً حسناً.

والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريّته محمّد رسول اللّه الذي أرسله شاهداً ومبشّراً ونذيراً، وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله الطيّبين الطاهرين لاسيّما بقيّة الله الأعظم في الأرضين الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وبعد، فإنّ أشرف العلوم وأسناها، وأجلّها وأفضلها، وأعظمها قدراً، وأنورها في سماء الرفعة بدراً، هو تفسير كلام الملك العلّام، الذي هو ملك تلك العلوم بغير كلام؛ إذ منه تفرّعت أُصولها، وتنوّعت فصولها.

وقد روي: «إذا أردتُم العلمَ فأثيروا القرآن؛ فإنّ فيه علم الأوّلين والآخرين». و روي أيضاً عن النبيّ ﷺ من طريق العامّة والخاصّة أنّه قال: «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

وقد غاص العلماء ـ قديماً وحديثاً ـ في بحر علوم القرآن، وكم أخرجوا منه دُرراً من ذخائره، وألّفوا فيه كتباً قيّمة.

والكتاب الذي بين أيديكم واحدٌ من التصانيف والآثار الكثيرة والمتنوّعة للشيخ الجليل، والمفسّر الكبير، الشيخ بهاء الدين العاملي، وهو تفسير مزجيّ قيّم، ومع أنّه

موجز غاية الإيجاز فهو يشتمل على نكات ولطائف لم تنتظم في كتاب إلى الآن، كما صرّح به المؤلّف ﷺ في مواضع من كتابه.

وتبيّن من كلمات المؤلّف ﷺ في مقدّمته على الكتاب أنّه أتعب نفسَه مدّة ثلاثين سنةً من عمره الشريف حِوال هذا التفسير العظيم.

وممّا يزيل القلب عن مستقرّه أنّ شيخنا البهائي ﷺ لم تساعده أيادي التوفيق لإكمال هذا السِفْر القيّم، أو أنّه أكمله ولكن طوارق الحدثان منعت من وصوله إلى أيدينا.

ومن المؤسف كثرة الإهمال وعدم التقييم لتراثنا الغالي عبر القرون والعصور ممّا كان علّةً لضياعه في كثير من المجالات والمواضع.

ويسرّ مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة أن يصدر هذا السِفْر القيّم والتراث الخالد الذي اضطلع بمسؤوليّة تحقيقه الأخ الفاضل حجة الإسلام الشيخ محمّدرضا النعمتي.

و ألحقنا بهذا السفر القيّم رسالةً قيمة لوالد شيخنا البهائي رضوان الله عليهما الموسومة بالرحلة في كتب التراجم و لم تطبع لحدّ الآن، ولانعرف منها إلّا نسخة واحدةً في مكتبات العالَم، و هي رسالة قيّمة جدّاً كتبها بأمر أُستاذه الشهيد الثاني رحمه الله حينما سافر إلى إيران عام ٩٦٠ ق. ونقدّم شكرنا إلى الأُستاذ الأديب أسعد الطّيب لمراجعتها وتقويم نصّها.

ونسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يتقبّل منّا هذا العمل بمنّه وكرمه، وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين وصلّى اللّه على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة
قسم إحياء التراث الإسلامي
قم المقدّسة ـ ١٤٢١هـ

مقدِّمة التحقيق

وفيها فصول:

الفصل الأوّل: ترجمة المؤلّف

الفصل الثاني: العروة الوثقى

الفصل الثالث: نحن وهذا الكتاب

الفصل الأوّل

ترجمة المؤلّف

اسمه ونسبه:

هو الشيخ الجليل بهاءالدين محمد بن الحسين بن عبدالصمد بن محمد بن عليّ بن الحسين بن محمد بن صالح الحارثي الهَمْداني[1] الجبعي العاملي.

ولادته:

وُلِدَ في بعلبك[2] ـ مدينة من مُدُن لبنان ـ عند غروب الشمس يوم الأربعاء ٢٧ من ذي‌الحجّة، سنة ٩٥٣، كما وجده صاحب «رياض العلماء» من المنقول عن خطّ والده «الشيخ حسين». ويقول الميرزا الأفندي: «ورأيت بخطّ بعض الأفاضل ـ نقلاً عن خطّ البهائي ـ أنّ مولده سنة ٩٥١»[3].

أُسرته:

عاش الشيخ البهائي ﷺ في أُسرة علمية، كريمة، شريفة، حافلة بالمفاخر:

١. ينتهي نَسَبُه إلى الحارث بن عبدالله الأعور الهَمْداني، الذي كان من خواصّ الإمام أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ.
انظر «سلافة العصر» ص٢٨٩؛ «أعيان الشيعة» ج٩، ص٢٣٤؛ «أمل الآمل» ج١، ص١٥٥.

٢. قال أبو المعالي الطالوي: «إنّه ولد بقزوين»، وقيل: «إنّه ولد في آمل الواقعة في شمال إيران». وقد أخطأ أبوالمعالي وغيره، فالذي ولد فيها أخوه الأصغر أبوتراب.

٣. «رياض العلماء» ج٥، ص٩٧.

والده:

الشيخ عزّ الدين الحسين بن عبد الصمد بن محمد الحارثي الهَمْداني الجبعي العاملي. كان عالماً ماهراً، محقّقاً، مدقّقاً، متبحّراً، جامعاً، أديباً، منشئاً، شاعراً، عظيم الشأن، جليل القدر، ثقة الثقة، من فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني ﷺ، وله كتب ورسائل[١].

وجدّه:

الشيخ عبدالصمد بن محمد بن علي الجبعي العاملي. كان فاضلاً عالماً، ويقول الحرّ العاملي ﷺ في حقّه: «الشيخ الصالح، العالم العامل، المتّقي المتفنّن، خلاصة الأخيار»[٢].

وجدّ أبيه:

الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن الحسين بن صالح الجبعي العاملي، فاضل، جدّ الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي، وقد أثنى عليه الشهيد الثاني ﷺ في إجازته لابن أبيه[٣].

وعمّه:

الشيخ نورالدين أبوالقاسم علي بن الشيخ عبدالصمد بن الشيخ شمس الدين محمد الجبعي العاملي، فاضل، عالم، جليل، فقيه، شاعر، من تلامذة الشهيد الثاني ﷺ له رسالة «الدرّة الصفيّة في نظم الألفيّة»[٤].

وزوجته:

الشيخة بنت الشيخ عليّ المنشار العاملي، كانت عالمة، فاضلة، فقيهة، كان في جهازها يوم زفّت إلى الشيخ البهائي ﷺ كتب تامّة في فنون العلم، وهي أربعة آلاف مجلّد.

١. انظر «الأعلام» ج٢، ص٢٤٠؛ «أمل الآمل» ج١، ص٧٤.
٢. انظر «أمل الآمل» ج١، ص١٠٩؛ «أعيان الشيعة» ج٨، ص١٧؛ «رياض العلماء» ج٣، ص١٢٨.
٣. انظر «أمل الآمل» ج١، ص١٣٨؛ «رياض العلماء» ج٥، ص٤٨.
٤. انظر «تكملة أمل الآمل» ص٣٠٢؛ «رياض العلماء» ج٤، ص١١٤؛ «أعيان الشيعة» ج٨، ص٢٦٢.

وكان أبوها شيخ الإسلام بأصبهان أيّام السلطان شاه طهماسب الصفوي، وكان قد جاء من الهند في سفره الذي سافر بكتب كثيرة، ولم يكن له غير هذه البنت، ولمّا مات انتقل كلّ ما كان عنده من الكتب والعقار إليها[١].

وأولاده:

المشهور أنّه لم يعقّب أولاداً. وقيل: «أعقب بنتاً». وصاحب الرياض يقول: «وكان له حفدة معاصرين لنا»[٢]. والبعض يقول: «إنّه كان عقيماً»[٣].

مكانته الاجتماعية:

يعتبر الشيخ البهائي ﷺ من ألمع علماء القرن الحادي عشر الهجري؛ لما عُرف من موسوعيّته المَعْرفية في شتّى العلوم، كان مجمع الفنون والمعارف، وله في كلّ علمٍ وفنٍّ اليد الطولى، ومواقفه في العالَم الإسلامي مشهورة.

ولذا قيل في حقّه: «هو علّامة البشر، ومجدِّد دين الأُمّة على رأس القرن الحادي عشر، إليه انتهت رئاسة المذهب والملّة، وبه قامت قواطيع البراهين والأدلّة»[٤].

أقوال العلماء في حقّه:

ترجم حياة المؤلّف كثيرون من متأخّري المؤلّفين في كتبهم وأصحاب المعاجم في معاجمهم، ولا يمكن ذكر جميعها أو جلّها، ولذا نقتصر على بعضها:

١. قال السيّد علي المدني المعروف بابن معصوم في حقّه:

علم الأئمّة الأعلام وسيّد علماء الإسلام، وبحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه، وفحل الفضل الناتجة لديه أفراده وأزواجه، وطود المعارف الراسخ، وفضاؤها الذي لا تحدّ له فراسخ، وجوادها الذي لا يؤمل له لحاق، وبدرها الذي لا يعتريه محاق ... هو علّامة البشر ومجدّد دين

١. انظر «رياض العلماء» ج٥، ص٤٧.
٢. انظر «رياض العلماء» ج٥، ص٩٤.
٣. انظر «أعيان الشيعة» ج٩، ص٢٤٢، «تكملة أمل الآمل» ص٤٤٧.
٤. «سلافة العصر» ص ٢٨٩ و ٢٩٠.

الأئمة على رأس القرن الحادي عشر، إليه انتهت رئاسة المذهب والملّة، وبه قامت قواطع البراهين والأدلّة، فما من فنٍّ إلّا وله فيه القدح المعلّى، والمورد العذب المحلّى، إن قال لم يدع قولاً لقائل، أو طال لم يأت غيره بطائل[١].

٢. وقال السيد مصطفى التفريشي:

جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه، ووفور فضله، وعلوّ مرتبته أحداً في كلّ فنون الإسلام كمن كان له فنّ واحد. له كتب نفيسة جيّدة[٢].

٣. وقال تلميذه المجلسي الأوّل ﷺ:

هو شيخنا وأستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظّم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه ووفور فضله وعلوّ مرتبته أحداً[٣].

٤. وقال الحرّ العاملي ﷺ:

حاله في الفقه والعلم والفضل والتحقيق والتدقيق وجلالة القدر وعظم الشأن وحسن التصنيف ورشاقة العبارة وجمع المحاسن أظهر من أن يذكر، وفضائله أكثر من أن تُحصر، وكان ماهراً، متبحّراً، جامعاً، كاملاً، شاعراً، أديباً، منشئاً، عديم النظير في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضيات وغيرها[٤].

٥. وقال الشيخ محمدرضا الشبيبيّ:

فإنّه شارك مشاركة عجيبة في جميع العلوم والفنون المعروفة في زمانه، عقليّة ونقليّة، ووفّق في التأليف فيها، ومن جملتها: الفقه، الأُصول، الحديث، التفسير، اللغة وعلومها، والحكمة، والفنون الرياضية والفلكيّة.

وقد كتب له التوفيق في مؤلّفاته فذاعت، وأقبل عليها العلماء المتعلّمون في القرون الأربعة الأخيرة، وندر أن يقدّر لغيره ما قدّر له من بقاء الذكر وطيب الأُحدوثة وجميل الأثر....

ما أكثر التآليف والتصانيف التي اندثرت فعفي شأنها وذهب زمانها، أمّا آثار الإمام العاملي

١. «سلافة العصر» ص٢٨٩ و٢٩٠.
٢. «نقد الرجال» ص٣٠٣.
٣. انظر «أعيان الشيعة» ج٩، ص٢٣٥.
٤. «أمل الآمل» ج١، ص١٥٥، الرقم ١٥٨.

على كثرتها فقد غالب الأيّام بجدتها وطرافتها[١].

أساتذته:

وهم كثيرون، ونشير إلى أشهرهم:

١. والده الشيخ حسين عبدالصمد العاملي (م ٩٨٤)، وهو أحد أعلام الطائفة. وتتلمذ عند الشهيد الثاني ﷺ وجاء مع ابنه محمد ـ وهو صغير ـ إلى بلاد العجم.[٢]

٢. المولى عبدالله اليزدي (م ٩٨١)، وهو صاحب الحاشية في المنطق. وصرّح الشيخ البهائي ﷺ في بعض المواضع بأنّه قرأ كلّيات القانون وغيره على المولى عبدالله اليزدي.

٣. الشيخ عبدالعالي الكركي (م ٩٩٣)، وهو ابن المحقّق الكركي.

٤. الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطف المقدسي الشافعي.

٥. المولى علي المذهب المدرّس، أُستاذه في العلوم العقليّة والرياضيّة.

٦. القاضي المولى أفضل، درس الرياضيات على يده.

٧. المولى محمد باقر بن زين العابدين، أُستاذه في الهيئة والحساب.

٨. الحكيم عمادالدين محمود، أُستاذه في الطبّ.

تلامذته والرواة عنه:

وهم كثيرون، ونشير إلى أبرزهم:

١. العلّامة المجلسي الأوّل، وله إجازةٌ من الشيخ البهائي ﷺ.

٢. الشيخ جواد الكاظمي، المعروف بالفاضل الجواد، وله شرح على زبدة الأُصول

١. انظر «أعيان الشيعة» ج ٩، ص ٢٣٥.

٢. وقال الشهيد الثاني ﷺ في إجازته له:

ثم إنّ الأخ في الله، المصطفى في الأُخوّة، المختار في الدين، المرتقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ العالم الأوحد، ذالنفس الطاهرة الزكيّة، والهمّة الباهرة العليّة، والأخلاق الزاهرة الإنسيّة، عضد الإسلام والمسلمين، عزّ الدنيا والدين، حسين الشيخ الصالح العالم العامل التقيّ، خلاصة الإخوان، الشيخ عبدالصمد بن شيخ الأنام شمس الدين محمد، المشتهر بالجبعي العاملي الهمداني، أسعد الله جدّه و جدّد سعده و كبت عدوّه وضدّه. «بحارالأنوار» ج ١٠٥، ص ١٤٨.

وخلاصة الحساب.

٣. المولى محمد محسن الفيض الكاشاني.

٤. صدرالمتألّهين الشيرازي.

٥. الشيخ ماجد البحراني[١].

٦. السيّد نظام الدين أحمد بن زين العابدين العلوي العاملي.

٧. السيّد حسين بن حيدر بن السيّد عزّالدين الكركي[٢].

٨. السيّد عبدالحسيب بن زين العابدين العلوي العاملي.

٩. السيّد نورالدين عليّ بن عليّ بن أبي الحسن الموسوي العاملي[٣].

١. وفي «أعيان الشيعة» ج ٩، ص ٢٤٤: «السيّد ماجد البحراني».

٢. هو الذي قال في حقّ أستاذه:

وكان منصفاً في البحث، كنت في خدمته منذ أربعين سنة في الحضر والسفر، وكان له معي محبّة وصداقة عظيمة... وكنت في خدمته في زيارة الرضاؑ في السفر الذي توجّه فيه التواب الأعلى ـ خلّد الله ملكه أبداً ـ ماشياً حافياً من أصفهان إلى زيارته ؑ فقرأت عليه هناك تفسير القاضة من تفسيره المسمّى بالعروة الوثقى.

«أعيان الشيعة» ج ٩، ص ٢٣٩.

٣. هو الذي كان أخوه صاحب المدارك السيّد محمد بن عليّ الموسوي العاملي.

إزاحة وهم

من المسائل المطروحة في شأن علمائنا الأعلام ـ ولا سيّما من قِبَل بعض الساذجين، وأحياناً من قِبَل أعداء الإسلام، والمعاندين لمذهب الشيعة الاثني عشريّة ـ هي المراودة والمعاونة مع سلاطين الجور ومَن جلسوا على كرسي الخلافة بالغصب والظلم.

ويقال في شأنهم: كيف هم علماء وشيعة أئمّة الهدى (سلام اللّه عليهم أجمعين) وقدوة لعامّة الناس، ومع ذلك كان لهم التعاون الودّي مع حكّام العصر؟!

الصحيح في دفع هذه الشبهة أنّ مع التأمّل في التاريخ والظروف التي عاشوها، وملابسات حياتهم، مع مكانة مدرسة أهل البيت آنذاك يتّضح لنا أنّ تصرّفاتهم ما كانت تعاوناً وتسامحاً مع سلاطين الجور، بل واقع الأمر أنّها كانت في مقام الدفاع عن مدرسة أهل البيت، وتشييد أركانها، والتبليغ التامّ عنها. وقد أُتيحت فرصة ذهبية لبعض علمائنا؛ حيث استفادوا من وراء التعاون الظاهري مع السلاطين أن يصلوا إلى أُمنياتهم الغالية والعزيزة في خدمة مدرسة أهل البيت والتابعين لها، وإحياء التراث الشيعي الذي كان على وشك الاندراس والزوال.

ومن مصاديق أولئك الأعاظم، الفقيه الربّاني، والعارف الصمداني، والمفسِّر العظيم، الشيخ البهائي، الذي عاش في عصر الحكومة الصفويّة وفي زمان سلطنة الشاه عبّاس الصفوي، وقد اغتنم الفُرَص الثمينة في نشر المعارف الحقّة الجعفريّة، وإحياء تراث أهل البيت.

وممّا يشهد على هذا وجود كتب ورسائل علميّة خلفها في تراثنا العظيم، بل الأبنية الشامخة في أقطار العالم الإسلامي التي لا يزال بعضها قائمة على أُصوله، كما في

مدينة أصفهان[١].

ومن جملة تراثه الغالي هذا التفسير القيّم المسمّى بـ«العروة الوثقى» الذي ذكرﷺ في مقدّمته مدحاً للشاه عبّاس الصفوي.

ومن الجدير ـ بالذكر لأهميّة الموضوع، ولدفع غبار الشبهات والشكوك عن ساحة قدس علمائنا الأعلامﷺ، وكونهم معرضين عن الدنيا وزخارفها وما طلبوا الدنيا وما فيها، بل كان مطلبهم إحياء مذهب أهل البيتﷺ والدفاع عنه بتمام الأساليب وخدمة المؤمنين ـ أن نذكر كلماتٍ من علمائناﷺ في شأن هذا العالم النحرير، والورع التقيّ الذي قلّ نظيره في زماننا، الجامع لشتات العلوم، والواقف لجميع حياته في خدمة الإسلام والمسلمين، وإحياء المذهب الشيعي في أرجاء العالم الإسلامي الشيخ بهاء الدين العاملي، رضوان الله تعالى عليه.

فمنها: ما يقول المنشي في كتابه «عالم آرا عباسي»:

تقلّد الشيخ منصب شيخ الإسلام في أصفهان زمن الشاه عباس الكبير خلفاً للشيخ علي المنشار، وتبوّأ مكانته المعروفة في عهد الشاه المذكور. ولم يكن لأحد من كبار الرجال الصفويّين مركز يداني مركزه؛ ولذلك كثر حسّاده ومناوئوه، وكثر الدسّ حوله حتّى تمنّى أنّ والده لم يخرج به من جبل عامل إلى الشرق في كلمة قويّة عبّر بها عن تبرمه من فساد الأخلاق في كثير من أبناء زمانه ومعاصريه.

فقال طيّب الله ثراه:

لو لم يأت والدي ـ قدّس الله روحه ـ من بلاد العرب، ولو لم يختلط بالملوك لكنتُ من أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم، لكنّه ـ طاب ثراه ـ أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه الديار، فاختلطت بأهل الدنيا واكتسبت أخلاقهم الرديئة واتّصفت بصفاتهم، ثمّ لم يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا إلّا القيل والقال والنزاع والجدال، وآل الأمر أن تصدّى لمعارضتي كلّ جاهل، وجسر على مباراتي كلّ خامل.

١. منها عمارة المشهد العلوي في النجف، واكتشاف بعض قوانين الانعكاسات الصوتيّة، وطبقها في بعض مساجد أصفهان، وينسب إليهﷺ أنّه صنع ساعة دائمة الحركة دون أيّ حاجة إلى من يحرّكها، وأنّه أبدع في صنع شمعة أوقدها في أتون حمّام بأصفهان تكفي لمدفئة حمّام بكامله مدّة استمرّت ثلاثة قرون وتزيد، وظلت حتّى هدمها الأتكليز؛ لاكتشاف أسرار اختراعها. انظر «تاريخ جماع» لعلي مروة، ص ١٣٥.

هذه نصّ كلمة الشيخ، وهي نفثة مصدور عبّر بها ـ كما قلنا ـ عن آلامه وامتعاضه وتكاثر حسّاده ومنافسيه، وما كان أكثر هؤلاء الحسّاد والمنافسين بلا شكّ إلّا من ذوي الأطماع وعباد المصالح الشخصيّة والجاه الزائف[١].

ومنها: ما قال الأُستاذ قدري حافظ طوقان:

إنّه عندما علم الشاه عباس حاكم الدولة الصفويّة بعودة الآملي إلى أصفهان ذهب بنفسه إليه، وأحاطه بالإكرام والجلّة، وعرض عليه منصب رئاسة العلماء ومع أنّه لم يقبل هذا المنصب فقد بقي صاحب المقام الأوّل عند الشاه إلى أن وافاه أجله[٢].

ومنها: قال أبو المعالي الطالوي:

تنقلت به الأسفار إلى أن وصل إلى أصفهان، فوصل خبره إلى سلطانها الشاه عباس، فطلبه لرئاسة العلماء فوليها وعظم قدره وارتفع شأنه إلّا أنّه لم يكن على مذهب الشاه في زندقته؛ لانتشار صيته في سداد رأيه، إلّا أنّه غال في حبّ آل البيت وألّف المؤلّفات الجليلة[٣].

ومنها: ما قال الأُستاذ الشبيبي:

كان ﷺ على جانب عظيم من رحابة الصدر وسعة الأُفق، اتّصل بشتّى الطوائف، وباحث مللاً ونحلاً، ولم يتحرج من أخذ الحكمة أينما وجدت. وبذلك نال ثقة أبناء مختلف الملل والنحل، وكان العصر الصفوي بحاجة إلى إمام مثل هذا الإمام المجدّد المصلح؛ بل كان مفتقراً إلى توجيهه وإرشاده في رتق الفتوق ورأب الصدوع الكثيرة في العصر المذكور. وقد عمل على توحيد الآراء وجمع الشتات، وعول السلاطين والأُمراء على آرائه في الإصلاح وحسم مادّة النزاع الداخلي بالوسائل السليمة على قدر الإمكان وفي كثير من الأحيان ... خلق هذا الإمام على حبّ الحريّة والتخفّف، ومجافاة التصنّع والتكلّف، مشغوفاً بطاهر البساطة في الحياة.[٤]

ختم تطوافه بالعودة إلى أصفهان حيث أقام البقيّة الباقية من حياته، ثمّ اتّصل بالشاه عباس الصفوي من جديد، فأكرمه وأعلى مقامه وعهد إليه بمشيخة الإسلام في إيران، فعزّت به دولة العجم، واستنارت برأيه، وكان سلطانها لا يفارقه سفراً أو حضراً، وتبسّمت

١. «أعيان الشيعة» ج٩، ص٢٤٠.
٢. «أعيان الشيعة» ج٩، ص٢٣٧.
٣. «أعيان الشيعة» ج٩، ص٢٤١.
٤. «أعيان الشيعة» ج٩، ص٢٣٦.

له الأيّام في مصاحبة هذا السلطان، فقدّم له مخصصات مالية كبيرة تـوزع ـ حسب رأيـه ومشـورته ـ على الفقراء والمحتاجين، فبسط يده، وفتح أبوابه لكلّ محتاج، «وكانت له دار مشيدة البناء، رحيبة الفناء، يلجأ إليه الأيتام والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل، فكم مهد بها وُضع، وكم طفل بها رُضع، وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشيّاً، ويوسعهم من جـاهه جـناباً مغشياً، مع تمسّكه بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة على الدنيا، والآخرة خير وأبقى، ولم يزل آنفاً من الإنجاس إلى السلطان، راغباً في الغربة عازفاً عن الأوطان»[١].

وخير الكلام في هذا المقام كلام خير الأنام ﷺ:

في حديث عن أبي بصير، عن أبي عبدالله ﷺ قال: سمعته يقول: «ما من جبّار إلّا ومعه مؤمن يدفع الله ـ عزّ وجلّ ـ به عن المؤمنين...»[٢] الحديث.

آثاره العلمية

ترك الشيخ ﷺ تراثاً قيّماً واسعاً في العلوم النظرية منها والعملية والتجريبية، والشروح على مؤلّفاته أكثر من كتبه، والحواشي على مصنّفاته أضعاف ما ألّف وصنّف. وآثاره كثيرة جدّاً، حتّى قيل: تبلغ مائتين، بين كتاب كبير ورسالة صغيرة وقصيدة ولغز.

ونحن نذكر هنا ما عثرنا عليه في كتب التراجـم وبـعض مـقدّمات الكـتب والرسـائل المطبوعة.

والأنسب هنا أن نستفيد من تحقيقات أنيقة وجديدة استقصاها أُستاذ العلوم التفسيريّة ومحقّق الفنون القرآنيّة، الدكتور السيّد محمدباقر حجّتي ﷺ[٣] حول آثار المؤلّف ﷺ وبوّبها

١. انظر «سلافة العصر» ص ٢٩٠ ـ ٢٩١؛ «معالم الأدب العاملي» ص ٢٨٠، نقلاً عن الثقافة الإسلاميّة، العدد الخامس، ص ١٦١، من مقالة الدكتور حسن محمود أبو عليوي.

٢. «الكافي» ج ٥، ص ١١١، ح ١٥؛ «تهذيب الأحكام» ج ٦، ص ٣٣٦، ح ٩٢٩؛ «وسائل الشيعة» ج ١٧، ص ١٨٦، أبواب ما يكتسب به، الباب ٤٤، ح ٤.

٣. قال المحقّق المذكور:

استقصيت مؤلّفات الشيخ البهائي من المجاميع وفهارس المكتبات والموسوعات وكتب التراجم وشتّى مآخذ أُخرى ـ واجتمع لديّ في هذا التحقيق ما لم يجتمع لأحد من قبلُ من كتب الشيخ.

استطعتُ من خلال استقصائي أن أعثر حتّى الآن على مائة وثلاث وعشرين أثر من الشيخ البهائي، ولا شكّ ←

تبويباً موضوعيّاً. ونحن ننقلها مع الترتيب الجديد وضمن فصول، وهي:

الفصل الأوّل: آثاره في الفقه

١. الاثنى عشرية. (في الطهارة).
٢. الاثنى عشرية. (في الصلاة).
٣. الاثنى عشرية. (في الزكاة والخمس).
٤. الاثنى عشرية. (في الصوم).
٥. الاثنى عشرية. (في الحجّ).
٦. الحبل المتين في إحكام أحكام الدين.
٧. الجامع العباسي. (باللغة الفارسية).
٨. المسح على القدمين.
٩. الحريرية[١].
١٠. قصر الصلاة في الأماكن الأربعة.
١١. الذبيحية = تحريم ذبائح أهل الكتاب.
١٢. الذبيحية = تحريم ذبائح جميع الكفّار.
١٣. الفتاوى، في الغسل.
١٤. مشرق الشمسين وإكسير السعادتين[٢].
١٥. الفرائض البهائية، في المواريث من حبل المتين.
١٦. شرح الفرائض النصيرية، للخواجه نصيرالدين الطوسي.
١٧. أحكام سجود التلاوة.

← أنّ غيرها سمّاً قُدّ أو لا زال مجهولاً ـ أكثر من هذا.

... ولا يخفى على المتتبّع الباحث ما يستغرقه مثل هذا التفحّص من وقتٍ طويل، وجَهْد كبير، وصبرٍ ومعاناة.

انظر «الثقافة الإسلاميّة» العدد الخامس، ص١٣ و١٤، نقلاً عن مقالة المحقّق.

١. رسالة في الفقه في عدم صحّة الصلاة في الحرير المحض، حتّى في ما لا تتمّ الصلاة فيه.

٢. سمّي هذا الكتاب بهذا الاسم؛ لاجتماع الكتاب والسنّة فيه، وذكر الشيخ البهائي فيه آيات الأحكام وتفسيرها و ما يناسبها من الأحاديث الصحاح والحسان، فصار كما وصفه المصنّف «مجمع البحرين ومطلع النيّرين».

١٨. استحباب قراءة السورة بعد الحمد في الصلاة.
١٩. أجوبة أسئلة الشاه عبّاس. (باللغة الفارسية).
٢٠. أجوبة المسائل الجزائريّة.
٢١. أجوبة أسئلة الشيخ صالح الجزائري البحراني في مسألة الزنا.
٢٢. الامتناع عن الاستمتاع قبل قبض المهر[١].
٢٣. جواب مسائل الشيخ جابر.
٢٤. جهة القبلة = تحقيق جهة القبلة[٢].
٢٥. جوابات مسائل بعض الناس، تقرب من ستّين مسألة. (باللغة الفارسية).
٢٦. حاشية الاثنى عشرية = شرح الاثنى عشرية، في الصلاة.
٢٧. حاشية إرشاد الأذهان. (للعلّامة الحلّي).
٢٨. حاشية قواعد الأحكام. (للعلّامة الحلّي).
٢٩. حاشية القواعد، المسمّاة بـ«القواعد والفوائد» للشهيد الأوّل.
٣٠. حاشية مختلف الشيعة. (للعلّامة الحلّي).[٣]
٣١. هداية الأُمّة إلى أحكام الأئمّة.

الفصل الثاني: في أُصول الفقه

١. زبدة الأُصول.
٢. الوجيزة[٤].
٣. حاشية زبدة الأُصول.
٤. حاشية شرح العضدي.
٥. حاشية مبادئ الأُصول. (للعلّامة الحلّي).[٥]

١. ويحتمل أن تكون هذه الرسالة لوالد الشيخ البهائي.
٢. وسيأتي ذكرها ذيل كتب الهيئة.
٣. كما نسب إليه في «الذريعة» ج ٦، ص ١٩٥، الرقم ١٠٧١.
٤. هذه رسالة مختصرة في غاية الاختصار في علم الدراية.
٥. نسبها إليه في «أعيان الشيعة» ج ٩، ص ٢٤٥.

٦. شرح حاشية الخطائي على مختصر الأُصول لابن الحاجب.

الفصل الثالث: في الأدب وعلوم العربية

١. الفوائد الصمدية.
٢. الكشكول.
٣. المخلاة.
٤. أسرار البلاغة.
٥. رياض الأرواح. (منظومة).
٦. الكافية.
٧. الزاهرة. (في مائة بيت)[١].
٨. قصيدة في مدح النبيّ ﷺ.
٩. فائدة.
١٠. لغز الفوائد الصمدية. (في النحو).
١١. لغز الكافية. (في النحو).
١٢. لغز القانون. (في الطبّ).
١٣. لغز الزبدة = إعجاز الأصناف = إعجاز الألغاز.
١٤. تهذيب البيان = التهذيب[٢].
١٥. محاسن شعر سيف الدولة.
١٦. لغز الكشّاف (في التفسير للزمخشري).
١٧. مكتوب إلى السيّد ميرزا إبراهيم الهمداني[٣].
١٨. مكتوب إلى السيّد ميرزا إبراهيم الهمداني[٤].

١. يقول الشيخ ﷺ في ديباجتها: «كنت في لزومين ابتليت بالرمد، ولكي لا أكون عاطلاً في العمل اشتغلتُ بإنشاء هذه الأبيات، وسمّيتها الزاهرة».

٢. رسالة مختصرة في غاية الاختصار في النحو، وفي الحقيقة مختصر رسالة أُخرى للشيخ ﷺ في النحو المسمّاة بـ«الفوائد الصمدية»، وإليها شروح.

٣. ملمع عرفاني بالعربية والفارسية، وبعد أن أبدى الشيخ ﷺ عواطفه، تكلّم حول مطالب التجريد.

٤. مكتوب آخر من الشيخ ﷺ إليه.

١٩. تخميس غزل الخيالي البخارائي (باللغة الفارسية).
٢٠. تعزيت نامه.
٢١. حاشية المطوّل. (للتفتازاني).
٢٢. وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان(عج)[١].
٢٣. ديوان الأشعار. (بالفارسية والعربية).
٢٤. شير و شكر. (بالفارسية).
٢٥. طوطي نامه. (بالفارسية).
٢٦. موش و گربه. (بالفارسية).
٢٧. نان و پنير. (بالفارسية).
٢٨. نان و حلوا. (بالفارسية).

الفصل الرابع: في وقائع الأيّام

١. توضيح المقاصد في ما اتّفق من أيّام السنة.

الفصل الخامس: في الأدعية

١. مفتاح الفلاح.
٢. مصباح العابدين.
٣. حاشية الصحيفة السجّاديّة[٢].

١. قصيدة من البحر الطويل، مطلعها:

سرى البرق من نجد فجدّد تذكاري ... عهوداً بحزوى والعذيب وذي قار

و مختمها:

إذا رقدتْ زادت قبولاً كأنّها ... أحاديث نجدٍ لا تملّ بتكرار

وشرحها عددٌ من الأُدباء، مثل الشيخ أحمد بن علي الشهير بـ«المنيني» في سنة ١١٥١، والأمير محمد بن إبراهيم ابن الأمير محمد معظم الحسيني القزويني (م ١١٤٥هـ)، ومن شروحها «سلّم الرحمن». انظر الذريعة، ج١٦، ص٣٧٣.

٢. قال العلّامة الطهراني: «رأيت نسبتها إلى الشيخ بهاء الدين في بعض الفهارس مصرّحاً بأنّها غير شرحها الموسوم بـ«حدائق الصالحين».

٤. الحديقة الهلاليّة = حدائق الصالحين[١].

٥. الحديقة الأخلاقيّة = حدائق الصالحين.

٦. الحديقة = شرح دعاء الصباح = حدائق الصالحين.[٢]

الفصل السادس: في الحديث

١. الأربعون حديثاً = شرح الأربعين حديثاً.

٢. حاشية كتاب «من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه.

١. إنّ كتاب «الحديقة الهلالية» غنيّ بالمطالب المفيدة: الفلسفية، الكلامية، الأخلاقية، العرفانية و اللغوية، و إليك بعض النماذج:

١ـ نقل المصنّف رحمه الله رأي العلّامة الحلّي و ولده فخر المحقّقين حيث ذهبا إلى أنّ الأرض كروية، و ردّ على مَن خالف في ذلك. ص ٨٧ـ ٨٠.

٢ـ إنّه بحث في حركة القمر و منازله و أفلاكه. ص ٨٤ـ٨٥.

٣ـ ردّ على آراء ابن سينا في حياة الأفلاك. ص ٩١ـ٩٣.

٤ـ رأي المؤلّف أنّ النور و بعض الكواكب الأخر ـ غير القمر ـ مستفاد من نور الشمس. ص ١٢١ـ١٢٤.

٥ـ لم يستبعد البهائي (قده) الرأي القائل بنبوّة بعض الحكماء مثل بطليموس و ابرخس. ص ١٠٠ـ١٠٣.

٦ـ ردّ كلام الفلاسفة الذين ذهبوا إلى عدم خرق الأفلاك و أنّ ما ألقوه من أدلّة أوهن من بيت العنكبوت، فإنّ أوضح دليل على ذلك هو المعراج الجسماني للنبيّ ﷺ. ص ٨٣.

و لا يخفى أنّ هناك شروحاً كثيرة على الصحيفة السجّادية، وقد ذكرها العلّامة أقا بزرك الطهراني في «الذريعة» ١٣: ٣٤٥ـ٣٥٩، و من أفضل هذه الشروح هو شرح الشيخ البهائي رحمه الله و السيد علي خان المدني، و اسم شرح الشيخ البهائي هو «حدائق الصالحين» و جعل لكلّ دعاء اسماً معيّناً مثل: الحديقة الأخلاقية، الحديقة العرفية، الحديقة التحميدية... إلخ.

و قد صرّح الشيخ البهائي في خاتمة هذا الكتاب أنّه شرع بتأليفها في قزوين في جمادى الثاني سنة ١٠٠٣، و انتهى من تأليفها في مدينة الكاظمين، و الشاهد على أنّ الشيخ ترك حدائق أُخرى هو إحالته على هذا الكتاب في بقيّة آثاره التي منها كتابه «العروة الوثقى» الذي أشار إليه في ص ١٥٢.

و في الختام نشير إلى أنّ هذا الكتاب كان قد طبع ـ بعد طبعه على الحجر في طهران سنة ١٣١٧ ـ بتصحيح حجّة الإسلام السيد علي الموسوي الخراساني و كان واحداً من سلسلة مصادر بحار الأنوار، التي تصدّت لطبعها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام. («منشر دانش» السنة العاشرة، العدد الثالث، مقالة الشيخ رضا المختاري).

٢. حاول الشيخ ﷺ أن يشرح جميع الأدعية الموجودة في الصحيفة السجادية، ويجعل شرح كلّ دعاء حديقةً. ولمّا لم يُتمّ الكتاب بعد سمّاه «حدائق الصالحين». وأمّا نعرف من هذه الحدائق ثلاث حدائق المذكورة في المتن. نقلاً عن الثقافة الإسلامية، العدد الخامس، ص١٩.

الفصل السابع: في أُصول العقائد

١. إثبات وجود القائم (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).
٢. الاعتقادات = الاعتقادية.
٣. وجوب شكر النعم.
٤. ترجمة ما ألّفه الإمام الرضاعليه السلام إلى المأمون.
٥. أجوبة أسئلة السيد زين الدين = المسائل المدنيّات[1].

الفصل الثامن: في الحكمة والفلسفة

١. وحدة الوجود.
٢. إنكار الجوهر الفرد.
٣. الوجود الذهني[2].

الفصل التاسع: في الرياضيات (الحساب، الهندسة، الهيئة وغيرها)

١. الحساب.
٢. الاسطرلاب.

١. أجوبة أسئلة السيد زين الدين علي بن الحسن بن شدقم الحسيني المدني، أجاب الشيخ عن ستّ مسائل ترتبط بالقرآن الكريم، أفضليّة الإمام المعصوم، عصمة النبيّ والإمام، خروج المهدي وعيسى.

٢. وفي نسبته إلى الشيخ إشكالٌ، ولذا قيل:
أمّا النحل الذي يصل إلى حدّ الافتراء، فهو تحميل الشيخ وزر رسالة تعرف بـ«رسالة في وحدة الوجود». وهي رسالة كبيرة، أو كتاب صغير قصد مؤلّفها تقديم فكرة وحدة الوجود بشكل مقبول، في أوساط أهل الشريعة والحديث، وطبعت في مصر منسوبة إليه، ثمّ نسبت إليه في عامة الفهارس....
وقد أُتيح لي أنّ أزور مكتبة عارف أفندي في استانبول، حيث اطّلعت على النسخة الخطيّة التي أخذ عنها الناشر، فوجدت أنّ اسم المؤلّف الحقيقي هو محيي الدين بهاء الدين المتوفّى سنة ٩٥٣هـ، مثبتاً بشكل واضح جلي، لا لبس فيه ولا إبهام. والظاهر أنّ الناشر ـ للتشابه بين اللقبين ـ وجد الفرصة سانحة لضربة تجارية مجّانية؛ إذ يزين نشرته باسم رجل في شهرة العاملي، بدلاً عن تركي مغمور لا يعرفه أحد. نقلاً من مقالة الشيخ جعفر المهاجر، المذكورة في الثقافة الإسلاميّة، العدد الخامس، ص١٣٧.

٣. بحر الحساب.

٤. تشريح الأفلاك.

٥. حاشية تشريح الأفلاك.

٦. حاشية التكملة، في شرح التذكرة النصيريّة. (في الهيئة).

٧. حلّ إشكالَي عطارد والقمر.

٨. الصُفَيْحة. (في الاسطرلاب).

٩. معرفة التقويم.

١٠. القبلة. (وهي غير رسالة «تحقيق جهة القبلة»).

١١. شرح الصُفَيْحة. (الشرح والمتن من المؤلّف).

١٢. طريقة استعلام تقويم الشمس بالاسطرلاب.

١٣. أنوار الكواكب مستفادة من الشمس.

١٤. التحفة = أوزان شرعي. (باللغة الفارسية).

١٥. تحفهٔ حاتمي = هفتاد باب. (باللغة الفارسية).

١٦. خلاصة الحساب[1].

١٧. تحقيق جهة القبلة[2] = جهة القبلة.

١٨. حاشية شرح التذكرة في الهيئة. (للخواجه نصيرالدين الطوسي).

١٩. حاشية شرح الملخّص في الهيئة. (لقاضي زاده الرومي).

٢٠. الكرّ = تقدير الكرّ.

٢١. رسالة الكرّية، وهي غير رسالة السابقة.

٢٢. شرح الچغميني في الهيئة.

١. نقله للألمانية الأستاذ نِسِلمان(Nesselman) في برلين، سنة ١٨٤٣م، وطبع هناك وترجم هذا الكتاب إلى لغات شرقية عديدة كالفارسية، كما ترجم إلى الفرنسية طبع في رومية سنة ١٨٦٤م، نظراً لفائدته وأهميته.
انظر معجم المطبوعات، ج ٢، ص ١٢٦٣؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٢، ص ٣٤٧.

٢. رسالة تقرب من مائة وخمسين بيتاً، وبحث الشيخ فيها عن جهة القبلة وما فسّر به السمت، وهي غير رسالة «القبلة» التي تقدّم ذكرها ذيل كتب الفقهية.

الفصل العاشر: في الرجال والإجازات

١. طبقات الرجال.

٢. الفوائد الرجالية.

٣. حاشية رجال النجاشي.

٤. حاشية خلاصة الأقوال. (للعلّامة الحلّي).

٥. حاشية معالم العلماء. (لابن شهرآشوب).

٦. الإجازات.

٧. إجازة الشيخ ﷺ للأمير محمدباقر الحسيني، المشهور بـ«ميرداماد».

٨. إجازة الشيخ ﷺ لمحمدحسين بن مجدالدين.

الفصل الحادي عشر: في العلوم الغريبة

١. الجَفْر.

٢. رسالة في الجَفْر. وهذه رسالة أُخرى من الشيخ ﷺ (باللغة الفارسية).

٣. أحكام النظر إلى كتف الشاة.

٤. فالنامه.

الفصل الثاني عشر: في الكتب المجهول موضوعها

١. القوسيّة[1].

٢. الصراط المستقيم[2].

٣. شرح حقّ المبين.

١. قال العلّامة الطهراني: «كتبها في مقابل «القدميّة» للمولى جلال الدين الدواني (م ٩٠٨هـ). انظر الذريعة ج ١٧، ص ٢٠٧، الرقم ١١١٣.

٢. ويحتمل أن يكون «الصراط المستقيم» مع «العروة الوثقى» اسماً واحداً لكتاب واحد: «العروة الوثقى والصراط المستقيم».

الفصل الثالث عشر: في علوم القرآن

وأمّا آثاره التفسيريّة التي عثرنا عليها حتّى الآن في كتب التراجم فهي:

١. العروة الوثقى.

٢. أجوبة أسئلة الخواجوئي:

سأل الخواجوئي الشيخ﵀ مسائل من القرآن الكريم، وأجاب الشيخ﵀ عنها.

٣. أجوبة مسائل الشاه فضل الله:

مكتوب من المؤلّف﵀ في أجوبة المسائل الثلاث للشاه فضل الله، حول أقوال بعض المفسّرين في تفسير آيات من القرآن الكريم:

أ: حول قول البيضاوي عند تفسير آية ﴿وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾[١].

ب: حول قول العلّامة الطبرسي﵀ في مجمع البيان، عند تفسير آية ﴿ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيّتي بواد غير ذي زرع﴾[٢].

ج: حول تفسير آية الإفك ﴿أولئك مبرّؤن ممّا يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾[٣].

٤. تفسير آية ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾[٤]:

تحقيقٌ حول كلام البيضاوي بشأن آيات من سورة المُلْك، سيّما آية ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾ وأنّ التغليب في الآية المذكورة لأجل الإيجاز والمبالغة والتعليل. ذكرها العلّامة الطهراني﵀ باسم «مقالة في وجه التغليب» في قوله تعالى: الآية .... وهذه الحاشية غير حواشيه على أنوار التنزيل للبيضاوي.[٥]

٥. حاشية أنوار التنزيل للبيضاوي:

ألّف الشيخ﵀ عدّة حواشٍ على «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للقاضي البيضاوي:

أ: الحاشية المختصرة التي مرّ ذكرها آنفاً عند تفسير آية المُلْك.

١. البقرة (٢): ١٠٢.

٢. إبراهيم (١٤): ٣٧.

٣. النور (٢٤): ٢٦.

٤. الملك (٦٧): ١١.

٥. «الذريعة» ج٣١، ص٤٠٧.

ب: الحاشية الصغيرة التي كتبت على مقدّمة «أنوار التنزيل» وتفسير سورة الفاتحة، وسورة البقرة إلى الآية: ﴿وإن كنتم في ريبٍ ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾[١].

وحكي عن الخوانساري والعلّامة الطهراني أنّهما حاشية جيّدة نفيسة، أحسن ما كتب على هذا التفسير[٢].

ج: الحاشية الكبيرة التي تسمّى في بعض الفهارس باسم «شرح أنوار التنزيل» أو «الحاشية الكبيرة».

٦. شرح أنوار التنزيل للبيضاوي.

٧. حاشية الكشّاف للزمخشري.

٨. حلّ الحروف القرآنية:

يقول العلّامة الطهراني: «توجد نسخة منها في مكتبة النفيسي المذكور في «شرح زندگانی بهائی = ترجمة حياة الشيخ البهائي» ص ٩٧»[٣].

٩. عين الحياة:

هذا الكتاب تفسير مختصر مزجيّ، نسب تأليفه في «أمل الآمل» و«روضات الجنّات» و«الغدير» إلى شيخنا البهائي ﷺ. وفي هذا الكتاب تفسير سورة الفاتحة، ثمّ البقرة إلى قوله: ﴿فتلقّى آدم من ربّه كلمات﴾[٤] وآل عمران إلى الآية: ﴿إذ قالت امرأة عمران ربّ إنّي نذرتُ لك ما في بطني محرّراً﴾[٥].

١٠. تأويل الآيات:

فيه تفسير كلّ القرآن باللغة الفارسية. ومنهج هذا التفسير يقرب من تفاسير «جواهر التفسير» و«منهج الصادقين» و«خلاصة المنهج»، ونُسب إلى الشيخ ﷺ في بعض كتب التراجم والمعجمات وفهارس المخطوطات[٦].

١. البقرة (٢): ٢٣.

٢. «روضات الجنّات» ج٧، ص٦١؛ «الذريعة» ج٦، ص٤٤.

٣. «الذريعة» ج٧، ص٦٨.

٤. البقرة (٢): ٣٧.

٥. آل عمران (٣): ٣٥.

٦. منها: فهرس مكتبة مدرسة الشهيد مطهّري (سپهسالار)، ج٣، ص ٤٥٥، الرقم ٥٢٢٩.

١١. مشرق الشمسين وإكسير السعادتين:

سمّي هذا الكتاب بهذا الاسم لاجتماع الكتاب والسنّة فيه، وذكر المؤلّفﷺ فيه آيات الأحكام وتفسيرها وما يناسبها من الأحاديث الصحاح والحسان مع التوضيح والبيان، وفيه نحو أربعمائة حديث؛ ولذا يعدّ هذا الكتاب ـ من جهة ـ من الكتب الفقهيّة[1]، ومن جهة أُخرى من الآثار التفسيريّة. طبع مع «الحبل المتين» بطهران سنة ١٣٢١ هق.

١٢. تفسير سورة الفاتحة:

و هو مطبوع في خاتمة كتاب «مفتاح الفلاح»[2] للمؤلّف رحمه‌الله.

و هو تفسير موجز في غاية الإيجاز، وكأنّه خلاصة ما أورد في تفسيره «العروة الوثقى» بعين عباراته. و قد صرّح المؤلّف رحمه الله في بداية تفسيره هذا بما يأتي:

> و قد ختمنا كتابنا هذا بتفسير الفاتحة، رجاءً لحُسن الخاتمة، و ليكون جميع ما يقال في الصلاة و قبلها و بعدها ممّا ذكرناه في هذا الكتاب مفسَّراً مشروحاً، سهل التناول على إخوان الدين و خلّان اليقين، و على الله أتوكّل، و بالله أستعين.[3]

وفاته:

انتقل الشيخ البهائيﷺ إلى جوار ربّه الكريم في الثاني عشر، من شهر شوّال، سنة ثلاثين وألف (١٠٣٠ هـ) بأصفهان، كما ذكره تلميذه المجلسي الأوّل الذي حضر وفاته والصلاة عليه. ثمّ نُقِلَ إلى مشهد الرضاﷺ، ودُفِنَ هناك في داره بجانب الحضرة المقدّسة الرضويّة عملاً بوصيّته، وقبره هناك مشهور مزور إلى يومنا هذا.

وقال تلميذه المجلسي الأوّل: «تشرّفت بالصلاة عليه جميع الطلبة والفضلاء وكثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً»[4].

فسلام عليه يوم ولد، و يوم مات و يوم يبعث حيّاً.

---

١. تقدّم ذكره.

٢. قد أشرنا إلى هذا الكتاب ذيل الفصل الخامس في الأدعيّة، الرقم ١.

٣. «مفتاح الفلاح» ص ٢٨٢.

٤. «أعيان الشيعة» ج ٩، ص ٢٣٤.

الفصل الثاني

العروة الوثقى

كلّ من تعرّض ـ من العلماء وأصحاب التراجم والمعاجم ـ لترجمة شيخنا البهائي ﷺ عدّ هذا الكتاب من مصنّفاته، وهو تفسير مزجيّ من الآيات والروايات، وفيه خلاصة ما أثر عن النبيّ ﷺ وأهل بيته ﷺ في التفسير، وما قاله متقدّمو المفسّرين والمتأخّرون مع تحقيقات أنيقة وتدقيقات رشيقة من المؤلّف ﷺ.

كتبه ﷺ بعد تصنيف حاشيته على «أنوار التنزيل» و«الكشّاف» و«مجمع البيان». وامتاز هذا التفسير بأنّه موجز غاية الإيجاز مع شموله لنكات ولطائف لم تنتظم في كتاب ولا رسالة إلى الآن، كما صرّح المؤلّف ﷺ بهذا الامتياز في مواضع من العروة.

فمنها: أنّه بعد أن فسّر ﷺ قوله تبارك وتعالى: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ وأنّه ذكر في تقديم العبادة على الاستعانة وجوهاً ثمانية، قال في هامشه:

«هذه الوجوه الثمانية لم تنتظم قبل هذا التفسير في سلك»[1].

ومنها: ما ذكره ﷺ في وجوه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، في تفسير الآية الشريفة: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ وهي أربعة عشر وجوهاً، فقال في هامشه:

«اجتماع هذه الوجوه الأربعة عشر في هذا التفسير من جملة مزاياه التي امتاز بها عن باقي التفاسير»[2].

ومنها: ما ذكره ﷺ في وجوه إيثار صيغة المتكلّم مع الغير على المتكلّم وحده، ذيل تفسير

١. انظر ص١٢٦، الرقم ٤، نقلاً عن هامش «ق» و«ش».

٢. انظر ص ١٣٥، الرقم ٣، نقلاً عن هامش «ق» و«ش».

الآية السابقة. فقال في هامشه: «هذه الوجوه أيضاً ممّا لم تجتمع في غير هذا التفسير»[١].

نكتة

والظاهر أنّ المؤلّف ﷺ أراد في هذا الكتاب أن يفسّر القرآن جميعاً؛ لوجوه:

الأوّل: أنّه لم يكتف فيه بتفسير الفاتحة، بل فسّر أيضاً آيات من سورة البقرة وإن لم يمكن له الوصول إلى هذا المقصود، أو أمكن له وفسّرها جميعاً وفقدت ولم يصل إلينا. والله أعلم.

والثاني: أنّه ﷺ صرّح في إجازةٍ له بأنّه تفسير كبير؛ ولذا كتب بخطّه في إجازته لتلميذه السيّد محمد الباقر الحسيني[٢] هكذا:

وكذلك أجزتُ له أدام الله معاليه وقرن بالسعادة أيّامه ولياليه أن يروي عنّي جميع مؤلّفاتي، سيّما التفسير الكبير الموسوم بالعروة الوثقى والتفسير الصغير الموسوم بعين الحياة ....[٣]

والحال أنّ تفسيره الصغير المسمّى بعين الحياة وإن كان تفسير مختصراً، لكنّه ـ بالنسبة إلى هذا الكتاب «العروة الوثقى» ـ كان أكبر تفسيراً وأكثر حجماً؛ لأنّه بعد أن فسّر سورة الفاتحة بدأ في تفسير سورة البقرة إلى قوله عزّ وجلّ ﴿فتلقّى آدم من ربّه كلمات﴾[٤]، ومن سورة آل عمران ينتهي تفسيره إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إذ قالتِ امرأتُ عِمرانَ رَبِّ إنّي نَذَرْتُ لك ما في بَطْنِي مُحَرَّراً﴾[٥].

فوصفه العروة الوثقى بتفسير الكبير مشعر بأنّه أراد أن فسّر الآيات جميعاً.

والثالث: أنّه ﷺ جعل هذا الكتاب في الإجازة المتقدّمة تحت عنوان «جميع مؤلّفاتي» وهو مشعر أيضاً بأنّه ﷺ ألّفها وفرغ من تأليفها، مع وصفه في الإجازة بالتفسير الكبير.

والرابع: أنّه ﷺ صرّح في مقدّمة تفسيره الصغير المسمّى بـ«عين الحياة» بهذه العبارة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ... هذا يا إخوان الدين وخلّان

١. انظر ص ١٢٩، الرقم ٥، نقلاً عن هامش «ق» و «ش».
٢. والظاهر أنّه السيّد ميرداماد المعروف.
٣. انظر مقدّمة التحقيق لهذا الكتاب، نماذج مصوّرة من المخطوطات.
٤. البقرة (٢): ٣٧.
٥. آل عمران (٣): ٣٥.

اليقين ما التمستموا من أقلّ الخلق بضاعةً، وأكثرهم إضاعةً من تأليف تفسير صغير الحجم، وجيز اللفظ، قليل المؤونة، جليل المعونة... طارياً عن مدّ إطناب الأطناب كشحاً، ضارباً عن إنارة شهاب الإسهاب صفحاً؛ فإنّ ذلك موكولٌ إلى تفسيرنا المسمّى «العروة الوثقى» ـ إلى قوله ـ وسمّيته «عين الحياة» راجياً أن يكون وسيلةً إلى النجاة، وذريعةً إلى علوّ الدرجات[1].

ولا يخفى على المتأمّل في هذه العبارة أنّ إرجاع المؤلّف ﷺ الملتمسين لتأليف تفسير كبير وأنّه موكول إلى تفسيره المسمّى بـ«العروة الوثقى» يدلّ على أنّه جعل العروةَ كبيرَ الحجم، مع أنّ الكتاب الموجود بأيدينا المطبوع مراراً، ليس أكبر حجماً من عين الحياة.

والخامس: أنّ المؤلّف ـ قدّس سرّه الشريف ـ بعد أن بيّن في المقدّمة كيفيّة غوصه في بحار علم التفسير، وصرف عمره الشريف من أيّام الشباب إلى زمن طويل وسنين متمادية لتحصيل مقدّمات هذا العلم، فقال:

فأحببتُ أن أجمعَ نفائس تلك العرائس في تأليفٍ في هذا الفنّ الشريف، يخبر بالسرّ المخزون في زوايا كنوزه، ويُظهر الدرّ المكنون من خفايا رموزه، يوصل طلّاب أسرار حقائقه إلى أقصاها، ولا يغادر من جواهره صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها[2].

والحال أنّ هذا التفسير الموجز غاية الإيجاز كيف يناسب إحصاء جواهره صغيرة وكبيرة، كما صرّح به المؤلّف.

العروة الوثقى من منظار المؤلّف ﷺ

ينبغي لتعريف هذا التفسير القيّم، وكذا جهود المؤلّف ﷺ وتجشّمه لتصنيف هذا الكتاب، أن نكتفي بنقل عبارةٍ منه ﷺ في مقدّمته على الكتاب؛ حيث قال:

... ولمّا قضيتُ من مقدّمات علم التفسير وَطَري، ووجّهتُ إلى الكتب المؤلّفة فيه بريدَ نظري، طفقت أُواصل في مطالعتها بين عشيّاتي وأسحاري، وأصرف في كلّ سطر منها شطراً من ليلي ونهاري...

فأحببت أن أجمع نفائس تلك العرائس في تأليفٍ في هذا الفنّ الشريف، يُخبر بالسرّ المخزون

١. «الذريعة» ج ١٥، ص ٣٦٩.
٢. انظر ص ٦٠ـ٦١، من مقدّمة المؤلّف.

في زوايا كنوزه، ويُظهر الدرّ المكنون من خفايا رموزه، يوصل طلّاب أسرار حقائقه إلى أقصاها، لا يغادر من جواهره صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، متضمّناً خلاصة ما ورد في هذا العلم عن سيّد المرسلين، ونقاوة ما نقل فيه عن الأئمّة الطاهرين ـ عليه وعليهم أفضل صلوات المصلّين ـ ومشتملاً على صفوة ما وصل إلينا عن الصحابة المرضيّين، والعلماء الماضين، والسلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين.

... إلى أن وافقني التوفيق، وساعدني الإقبال، فشرعت فيه ... وقد سمّيت هذا التفسير بـ«العروة الوثقى»[1].

العروة الوثقى والطبع

طبع العروة الوثقى قبل هذه الطبعة طبعات عديدة:

طبع في النجف سنة ١٣٠٣ هـ، ثمّ طبع مع «مشرق الشمسين» في طهران سنة ١٣١٥ هـ، ثمّ في سنة ١٣١٩، ثمّ في سنة ١٣٢١ هـ، بالطبع الحجري الأنيق، ثمّ في سنة ١٣٤٤ هـ، وهكذا.

وكما ذكرنا سابقاً حقّقه أحد المحقّقين وعلّق عليه، وطبعه بمناسبة المؤتمر الرابع للأبحاث والدراسات القرآنية في قم، سنة ١٤١٢ هـ، ومع الأسف لمّا كانت فيه أغلاط وإشكالات كثيرة، أردنا بحول الله وقوّته أن نحقّقه ونصحّحه ثانياً، ونسأل الله تعالى أن يوفّقنا لإنجازه وأن يتقبّله منّا بلطفه وكرمه، إن شاء الله.

١. انظر ص ٥٩ ـ ٦١، من مقدّمة المؤلّف.

الفصل الثالث

نحن وهذا الكتاب

من الجدير بالذكر أنّ هذا التفسير قد طبع قبل هذا في سنة (١٤١٢ هـ)، على يد بعض المحقّقين في دار القرآن الكريم للنشر والطباعة، بقم المقدّسة ولكن مع كلّ الجهود التي بذلها هذا المحقّق، ونقدّم له جزيل الشكر على عمله، نجد عند تصفّحنا هذا الكتاب أنّ هناك مواضع وموارد لا زالت تفتقر إلى التحقيق والتصحيح والتعليق عليها على الرغم من قيمة هذا التفسير وجلالة قدره ورفعة شأنه كما نصّ عليه المصنّفﷺ في مقدّمة التفسير. قال:

فأحببتُ أن أجمعَ نفائس تلك العرائس في تأليفٍ في هذا الفنّ الشريف، يُخبر بالسرّ المخزون في زوايا كنوزه، ويُظهر الدرّ المكنون من خفايا رموزه، يوصل طلّاب أسرار حقائقه إلى أقصاها، ولا يغادر من جواهره صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها[1].

هذا النصّ يدلّ بصراحة على قيمة هذا الكتاب وعظمته، فكما قال المصنّفﷺ: «يخبر بالسرّ المخزون في زوايا كنوزه ويظهر الدرّ المكنون من خفايا رموزه، يوصل طلّابَ أسرار حقائقه إلى أقصاها». فكيف يكون نصّ الكتاب والعبائر المذكورة فيه ذات أغلاط وأخطاء، وحتّى في بعض المواضع حصل إسقاط سطر أو سطور؟! مع أنّ المصنّفﷺ معروف بغاية الدقّة والتحقيق، ومشهور بحسن التصنيف ورشاقة العبائر عند المعاجم وتراجم الرجال؛ ولذلك قال الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي مؤلّف الوسائلﷺ في شأنه:

حاله في الفقه والعلم والتحقيق والتدقيق، وجلالة القدر، وعظم الشأن، وحسن التصنيف،

١. انظر ص ٦٠ـ٦١، من مقدّمة المؤلّف.

ورشاقة العبارة، وجمع المحاسن أظهر من أن يذكر[١].

ولأجل ما ذكرناه وأهمّية هذا الأثر التراثي النفيس وعظمة شخصيّة المؤلّف رأينا من الواجب علينا أن نحقّق هذا الكتاب تحقيقاً رائعاً وبديعاً، وخالياً من النواقص بقدر ما يمكن وحسب التوفيق الإلهي، ونسأل منه ـ تعالى ـ حسنَ القبول والنصرة على المقصود، إنّه نعم المولى و نعم النصير.

وقفة مع الطبعة السابقة

ولا يخفى أنّ الخلل والنقصان في عبائر الكتاب ـ حسب الطبع السابق ـ أحياناً يجاوز نطاق الأغلاط المطبعيّة (حذف كلمة أو كلمتين) ويصل إلى حذف سطر أو سطور، ولعدم التطويل نشير باختصار إلى نماذج منها ضمن مطالب أربع:

المطلب الأوّل: المواضع التي أسقط فيها سطراً من نصّ الكتاب

١. ذكر المحقّق المحترم في الطبعة المحقّقة السابقة في ص ١٠٥:

ولهذا أعرض ذلك المسكين عن حمده وشكره مستنداً إلى ذلك الإعطاء كان واجباً عليه سبحانه.

مع أنّ العبارة السليمة والمطابقة للنسخ المخطوطة هكذا:

ولهذا لو أعرض ذلك المسكين عن حمده وشكره مستنداً إلى أنّ ذلك الإعطاء كان واجباً عليه لاستحقّ الذمّ من جميع العقلاء. وما نحن فيه من ذلك القبيل؛ فإنّ خَلْقَنا لم يكن واجباً عليه سبحانه.[٢]

٢. وأيضاً ذكر المحقّق المذكور في ص ١١٠، ذيل تفسير الآية الشريفة ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ بالنسبة إلى وجوه إيثار واختيار صيغة المتكلّم مع الغير على المتكلّم وحده:

أو للإيذان بحقارة نفسه عند باب العظمة والكبرياء عن عرض العبارة منفرداً وطلب الإعانة مستقلاً من دون الانضمام والدخول في جملة جماعة يشاركونه في عرض الهدايا على الملوك

١. «أمل الآمل»، ج ١، ص ١٥٥، الرقم ١٥٨؛ «أعيان الشيعة»، ج ٩، ص ٢٣٤.
٢. انظر ص ١٢٢.

ورفع الحوائج إليهم.

ولكنّ العبارة الصحيحة هكذا:

أو للإيذان بحقارة نفسه عند باب العظمة والكبرياء عن عرض العبادة منفرداً وطلب الإعانة مستقلاً من دون الانضمام والدخول في جملة جماعةٍ يشاركونه في عرض العبادة على ذلك الباب وطلب الإعانة من ذلك الجناب، كما هو الدأب في عرض الهدايا على الملوك ورفع الحوائج إليهم[1].

٣ـ وأيضاً ذكر بعد أسطر في نهاية ص ١١٠:

أو لأنّ في خطابنا ـ عزّ وعلا ـ بأنّ خضوعنا الكامل لأهل الدنيا من الملوك والوزراء ومن ينخرط في سلكهم جرأةً عظيمة وجسارة بيّنة، فعدل في الفعلين عن الإفراد إلى الجمع.

مع أنّ النصّ الصحيح هذا:

أو لأنّ في خطابنا له عزّ وعلا ـ بأنّ خضوعنا التامّ واستمانتنا في المهمّات منحصران فيه (جلّ شأنه) لا يتجاوزان عنه إلى غيره مع خضوعنا الكامل لأهل الدنيا من الملوك والوزراء ومن ينخرط في سلكهم ـ جرأةً عظيمة وجسارة بيّنة، فعدل في الفعلين عن الإفراد إلى الجمع.[2]

٤ـ وأيضاً ذكر في ص ١١٧، ذيل الوجوه التي ذكرها للالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

ومنها أنّ الحمد ـ كما سبق ـ إظهار صفات الكمال على الغير، فما دام للأغيار وجود في نظر السالك فهو يواجههم بإظهار كمالات المحبوب عليهم، وذكر مآثره الجليلة لديهم واضمحلال جميع الأغيار، لم يبق في نظره سوى المعبود بالحقّ.

مع أنّ المتن الصحيح هذا:

ومنها أنّ الحمد ـ كما سبق ـ إظهار صفات الكمال على الغير، فما دام للأغيار وجود في نظر السالك فهو يواجههم بإظهار كمالات المحبوب عليهم وذكر مآثره الجليلة لديهم. وأمّا إذا آل أمره ـ بملاحظة الآثار وملازمة الأذكار ـ إلى ارتفاع الحُجُب والأستار، واضمحلال جميع الأغيار، لم يبق في نظره سوى المعبود بالحقّ[3].

١و ٢. انظر ص ١٢٨.

٣. انظر ص ١٣٤ـ١٣٥.

المطلب الثاني: المواضع التي سقطت منها كلمة أو كلمات

١ـ قال في ص ٤٢ من هذا الكتاب: «إنّ أهمّ ما وجّهت إليه الهمم وبيّضت عليه اللمم».

والحال أنّ العبارة الكاملة هذه: «إنّ أهمّ ما وجّهت إليه الهمم وأحقّ ما بيّضت عليه اللمم»[١].

٢ـ وأيضاً قال في ص ٤٢: «إذ منه تفرّعت فصولها».

والحال أنّ العبارة الصحيحة هذه: «إذ منه تفرّعت أُصولها وتنوّعت فصولها»[٢].

٣ـ وأيضاً ذكر في ص ٦٨: «يبعد صدور مثله».

مع كون العبارة الكاملة هذه: «يبعد صدور مثله عن مثله»[٣].

٤ـ وأيضاً نقل في ص ٧٣، هكذا: «فلزيادة التقدير حينئذٍ ضرورة الخبر».

والحال أنّ العبارة الصحيحة هذه: «فلزيادة التقدير حينئذٍ ضرورة إضمار الخبر»[٤].

٥ـ وأيضاً ذكر المحقّق المذكور ذيل البحث في اشتقاق كلمة «إله» هكذا:

وقيل: هو عَلَم للذات المقدّسة، واستدلّ عليه بوجوه منها:

١ـ أنّه يوصَف ولا يوصف به ومن ثمّ جعلوه في قوله تعالى: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ عطف بيان لا نعتاً.

ولكن إذا لاحظنا الموضوعَ مع دقّة وتأمّل ما، يبرز لنا أنّ الكلام في مفاد لفظ الجلالة، وذكر المصنّفﷺ هذه الآية الشريفة من سورة إبراهيمﷺ شاهداً ومؤيّداً على مقصوده، مع أنّ المؤسف كون النصّ المتقدّم لم يذكر فيه لفظَ الجلالة أبداً. ولا تدلّ عليه إشارة.

والحال أنّ العبارة الصحيحة والمطابقة لنسخ المخطوطة هكذا:

ومن ثمّ جعلوه في قوله تعالى: ﴿إلى صراط العزيز الحميد * الله﴾ عطف بيان لا نعتاً[٥].

٦ـ وأيضاً ذكر في ص ١٠١، ذيل تفسير الآية الشريفة: ﴿مالك يوم الدين﴾ هذه العبارة:

١و٢. انظر ص ٥٨.

٣. انظر ص ٨٤.

٤. انظر ص ٨٨.

٥. انظر ص ٩٦.

أمّا القراءة الثنيّة[1] فمؤونتها أخف، الصفة المشبهة إلى غير معمولها، فهي حقيقية.

من البيّن أنّ هذا النصّ لا يدلّ على مقصود المصنّف، بل يوجب الإجمالَ في بيان مراده وكشف مرامه.

والحال أنّ العبارة الكاملة هكذا:

أمّا القراءة الثنيّة، فمؤونتها أخفّ؛ إذ هي من إضافة الصفة المشبهة إلى غير معمولها، فهي حقيقيّة[2].

المطلب الثالث: المواضع التي هي ضعيفة في تثبيت النصّ وتركيزه، وتحتاج إلى تدقيق أكثر

١ـ ذكر المحقّق المحترم في ص٤٣: «وهاجرت عن الأحبابِ في الكتاب أسبابه وأدواته».

والحال أنّ العبارة الصحيحة هكذا: «وهاجرت عن الأحباب في اكتساب أسبابه وأدواته»[3].

٢ـ وأيضاً ذكر في ص ٤٥: «ويظهر الدرر المكفون في خفايا رموزه».

والعبارة الصحيحة هكذا: «ويُظهر الدرَّ المكنون من خفايا رموزه»[4].

٣ـ وأيضاً نقل في ص ٦٥: «وعليه فقهاء مكة والكوفة؛ وقرأهما سوى حمزة».

والعبارة الصحيحة هكذا: «وعليه فقهاء مكّة والكوفة وقرّاؤهما سوى حمزة»[5].

٤ـ وأيضاً ذكر في ص٦٨ هذه العبارة: «لو أن غرضه تركها مطلقاً حتى من «النمل»؛ وجعل المتروك منها آية، أما تجوّز».

والحال أنّ العبارة الصحيحة هكذا: «أو أنّ غرضه تركها مطلقاً حتّى من «النمل»، وجَعْلُ

١. والمراد من القراءة الثنيّة، قراءة «ملك يوم الدين».
٢. انظر ص ١١٨.
٣. انظر ص ٥٩.
٤. انظر ص ٦٠.
٥. انظر ص ٨١.

المتروك منها آيةً إمّا تجوّز»[١].

٥ـ وأيضاً ذكر في ص ٧٦: «فأعربوا به حينئذٍ ظاهر لا مقدّر».

والحال أنّ العبارة الصحيحة هكذا: «فإعرابه حينئذٍ ظاهر لا مقدّر».[٢]

٦ـ وأيضاً ذكر في ص ٧٩، ذيل تفسير لفظ الجلالة:

وقيل: هو عربي، وأصله «إله». حذفت الهمزة وعوّض عنها الألف واللام. ومن ثمّ لم تسقطا حال النداء، ولا وصلت تماشياً عن حذف الألف العوض أو جزئه.

مع أنّ العبارة الصحيحة هكذا:

وقيل: بل هو عربي، وأصله «إله»، حذفت الهمزة وعوّض عنها الألف واللام، ومن ثمّ لم يسقطا حال النداء، ولا وصلت؛ تحاشياً عن حذف العوض أو جزئه[٣].

٧ـ وأيضاً نقل في ص ٨٨، ذيل تفسير الآية الكريمة: ﴿الرحمن الرحيم﴾ هذه العبارة: «وإلى الاختصاص شمول المؤمن والكافر يؤمّ ما روي عن الإمام».

والحال أنّ العبارة الصحيحة هكذا: «وإلى الاختصاص المذكور وشمول المؤمن والكافر يؤمي ما روي عن الإمام»[٤].

٨ـ وأيضاً ذكر شاهداً في ص ١٠٦، ذيل تفسير كلمة ﴿إيّاك﴾: «إذا بلغ الرجل الستّين فإيّاه وايا الثواب»

هذا المتن من الشواهد المعروفة في اللغة العربيّة، ولو كان المحقّق المذكور مستخرجاً مصدرَه، ما كان يقع في هذا الالتباس!

والحال أنّ العبارة الصحيحة هكذا: «إذا بلغ الرجل الستّين فإيّاه وإيّا الشوابّ»[٥].

٩ـ وأيضاً ذكر في ص ١٠٧: «والعبادة... لا يليق بها إلّا من كان مولّياً لأعلى النعم وأعضمها من الوجود والحيوة».

والحال أنّ العبارة الصحيحة هكذا: «والعبادة... لا يليق بها إلّا من كان مُولِياً

١. انظر ص ٨٥.
٢. انظر ص ٩١.
٣. انظر ص ٩٤.
٤. انظر ص ١٠٤.
٥. انظر ص ١٢٤.

لأعلى النعم وأعظمها من الوجود والحياة»[١].

١٠ـ وأيضاً نقل في ص ١١٨ هذه العبارة: «حتّى لا نطمع إلى من سواك بنظر، ولا تحس منه بعين ولا أثر».

والعبارة الصحيحة هكذا: «حتّى لا نطمح إلى من سواك بنظر، ولا نحسّ منه بعين ولا أثر»[٢].

١١ـ وأيضاً ذكر في ص ٨٢: «وذهب جماعة أن «لفظ الجلالة» في الأصل وصف؛ لكن عالم يطلق على غيره ـ جلّ شأنه ـ».

والحال أنّ المتن الصحيح هكذا:

وذهب جماعة إلى أنّ لفظ الجلالة في الأصل وصف، لكن لمّا لم يطلق على غيره جلّ شأنه[٣].

١٢ـ وأيضاً ذكر في ص ١١١: «فيجوز عن تلك الفرية».

مع أنّ العبارة الصحيحة هكذا: «فيحترز عن تلك الفرية»[٤].

١٣ـ وأيضاً ذكر في خاتمة الكتاب هكذا: «وسِّر لنا الفوز بإتمامه».

والحال أنّ العبارة الصحيحة هذه: «ويَسِّرْ لنا الفوزَ بإتمامه»[٥].

وحاصل الكلام ما قلّ ودلّ نقول: أنّ المتبادر من ملاحظة هذا الكتاب المطبوع والمحقَّق أنّه لو كان هذا الطبع يمتاز بمراجعة نهائيّة ودقّة أساسيّة لَما كان يقع كثيرٌ من الأغلاط والأخطاء فيه، ونحن أشرنا إلى نماذج منها، وإلّا فهي كثيرة ممّا ذكر.

المطلب الرابع: المواضع المتعلّقة بالهوامش

و نزيد قارئنا علماً أنّ ما تقدّم ذكره كان في متن الكتاب، ولكن يجد القارئ الكريم مواضعَ للتحقيق والتصحيح والتعليق في الهوامش التي ذكرت في الطبعة السابقة بحيث لا يمكن غضّ النظر عنها؛ بل هي محتاجة إلى تدقيق آخر؛ ولذلك من اللائق أن نشير

١. انظر ص ١٢٤.
٢. انظر ص ١٣٥.
٣. انظر ص ٩٨.
٤. انظر ص ١٢٩.
٥. انظر ص ١٥٥.

إلى جملة منها:

فمنها: أنّ المحقّق الكريم في ص ٦٥ في التعليقة ٤ يقول: «في استثناء قالون تعريضٌ للبيضاوي» (المؤلّف).

مع أنّ النصّ في كلام المصنّف ﷺ ـ الذي علّق عليه هذا المحقّق ـ هذا: «ووافقهم سعيد بن جبير والزهري وابن المبارك وقالون من قرّاء المدينة».

والالتفاف اليسير يقضي بأنّ هذا النصّ لا يوجد فيه استثناء حتّى يكون الهامش المذكور معطوفاً عليه، بل الواقع أنّ هذا الهامش يتعلّق بالصفحة الآتية (٦٦)، في التعليق على هذا القول من المصنّف ﷺ: «وهو الذي قال به قرّاء البصرة والشام والمدينة إلّا قالون»[1].

ومنها: ذكر المحقق المزبور (شكر الله مساعيه) في ص ٩٤، في ذيل الآية الشريفة ﴿ربّ العالمين﴾ في الهامش[2]:

في هامش نسخة جامعة طهران: جعل شيخنا الطبرسي ـ قدس الله روحه ـ هذه الآية دليلاً على إطلاق العالَم على جميع المخلوقات. وفيه نظر لا يخفى. (المؤلّف رحمه الله).

مع أنّ هذه الجملة من تعليقات المصنّف ﷺ في ص ٩٥، وهي تعليقةٌ على الآية الشريفة في سورة الشعراء: ﴿وما ربّ العالمين ربّ السموات والأرض وما بينهما﴾[3].

وكان من الجدير مراجعة تفسير مجمع البيان[4] للشيخ الطبرسي ﷺ، وإلقاء الضوء على نظره ﷺ حتّى لا يقع هذا الالتباس.

ومنها: ذكر في ص ١٠٩، في الهامش[5]:

«هذه الوجوه الثمانية لم تنتظم قبل هذا التفسير في سلك». (منه رحمه الله).

مع أنّ المصنّف ذكر هذا الهامش في مقام الوجوه المذكورة؛ لتقديم العبادة على الاستعانة في قوله عزّ من قائل: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾.

وفي الحقيقة، هذه التعليقة تتعلّق بالمبحث السابق، ولا ربط لها بهذا البحث أصلاً!

١. انظر ص ٨٢.
٢. انظر ص ١١٢.
٣. الشعراء (٢٦): ٢٣ و٢٤.
٤. «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٦.
٥. انظر ص ١٢٦.

كلمة

إنّ من الضروري والواجب إلفات النظر إليه أنّ هذه التعليقات والحواشي من المصنّفﷺ كانت محطّ نظره ومورد اهتمامه، البالغ حدّ التمام؛ حيث إنّه في بعض المواقع عبّر عنها بأنّها من خصائص هذا الكتاب؛ ولذلك يجب المحافظةُ عليها وصيانتها من الخطإ والحذف، وذِكْرُها في مواقعها المناسبة لها حتّى ينكشف لدينا تمام مقصود المؤلّفﷺ، وإلّا لزادت تعقيداً وإبهاماً في معرفة مرادهﷺ.

ومع ذلك كلّه أشكر من صميم قلبي الجهود التي بذلها المحقّق الكريم في الطبعة السابقة لهذا التفسير، وأدعو له بدوام التوفيق وخدمة مذهب أهل البيتﷺ، وإحياء تراث آل محمّدﷺ، وأن تكون هذه الخطوة الأُولى للخطوات الآتية، ومقدّمةً لأن يدخل في ساحة التحقيق وتهذيب المتون العلمية؛ ليكون في الوقت القريب من الخصّيصين في فنّ التحقيق. وأسأل الله تعالى أن يوفّقني لخدمة الدين، وأن يتقبّلَ منّي هذا الضئيل بأحسن قبول، إنّه وليّ نعمتي وإليه أُنيب.

منهج التحقيق

خطوات التحقيق

أ: جمع النسخ الخطّيّة

اعتمدنا بالإضافة إلى النسخة المطبوعة على ستّ نسخ، هي:

١. نسخة مكتبة جامعة طهران في طهران، المرقّمة ١٧٩٤، ورمزنا لها بـ«د». نُسخت ظاهراً في سنة ١٠٠٩هـ، وهي نسخة جيّدة الخطّ، وعلى هوامشها حواشي كثيرة من المؤلّفﷺ، سيّما ترجمة اللغات مع ذكر مصادرها. ولا ريب أنّها نُسخت أيّام حياة المؤلّف؛ لأنّ في بعض هوامشها مطالب بتوقيع «منه دام ظلّه»، وأيضاً وردت فيها هذه العبارة: «رقم في الحديقة السابعة العباسيّة ... في يوم الخميس من شهر شعبان، سنة ١٠٠٩».

٢. نسخة أُخرى من نفس المكتبة في طهران، المرقّمة ١٧٩١، ورمزنا لها بـ«ش». نُسخت في القرن الحادي عشر، وهي نسخة جيّدة الخطّ، مضبوطة من ناحية الإنشائية واللغوية، وفي آخر النسخة إجازة من المؤلّفﷺ بخطّه الشريف إلى تلميذه السيّد محمدالباقر الحسيني، وهي تلي النسخة المتقدّمة في التقييم.

٣. نسخة مكتبة ملك، ضمن المكتبة الرضويّة، المرقّمة ٤٦٥٧، ورمزنا لها بـ«م». ناسخها مجهول، وهي أيضاً جيّدةُ الخطّ ومضبوطةٌ من جهة الإملائيّة، إلّا أنّها قليلة الهوامش.

٤. نسخة مكتبة آية الله المرعشيﷺ، المرقّمة ٥٠٧٨، ورمزنا لها بـ«ع». والظاهر أنّها نسخت سنة ١٠٤٩هـ، كما وردت في فهرس المكتبة. وعلى هوامشها بعض حواشي المؤلّف بتوقيع «منه».

٥. نسخة المكتبة الرضوية، المرقّمة ٧٨١٢، ورمزنا لها بـ«ق». نُسخت في سنة ١٢٨٩ هـ في النجف الأشرف، نسخها غلام حسين بن علي أصغر الدربندي.

٦. نسخة أُخرى من المكتبة الرضوية، ورمزنا لها بـ«س». نسخها الفاضل الجليل السيّد جبرئيل الملقّب بحكيم الملك، والظاهر كان الفراغ من نسخها سنة ١٠٣٥ هـ.

ب: انتقاء النسخ الخطّيّة و ترتيبها بحسب الأهمّيّة.

ج: تقطيع النصّ و وضع علامات الترقيم عليه.

د: مقابلة النسخ الخطّيّة.

هـ: تخريج الآيات الكريمة.

و: إرجاع الأحاديث إلى مصادرها الرئيسيّة.

ز: عزو الأقوال و الآراء إلى المصادر المنقولة عنها.

ح: إثبات جميع ماعلى النسخ الخطّيّة من هوامش المؤلّف في محلّها.

ط: شرح الكلمات المبهمة و بيان موارد الالتباس.

ى: تقويم النصّ.

س: صياغة الهوامش.

خ: عمل الفهارس الفنّيّة اللازمة للكتاب.

شكر وثناء

وختاماً نحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على ما توفيقنا لإنجاز هذا السِفْر القيِّم، ونشكره شكراً كثيراً.

والواجب علينا أن نتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل إلى كلّ من ساهم وساعد في تحقيق هذا الكتاب، منهم:

الأخ العزيز، الفاضل المحقّق المدقّق، الشيخ رضا المختاري؛ لما تفضّل علينا بإرشادات قيّمة، وكان لي خير معين في مراحل العمل، وكذا الإخوان الأعزّاء الذين تجشّموا العناء لإنهاء هذا الأثر: الأُستاذ الأديب أسعد الطيّب، والشيخ حسين الدرايتي، والشيخ محسن النوروزي، والسيّد خليل العابديني، والشيخ محمّد الربّاني.

ونقدّم الشكر أيضاً إلى الفاضل الجليل، السيّد مصطفى حسينيان؛ لمساهمته في إعداد المقدّمة، فأفاض اللّه عليهم الأجرَ الجزيل والثواب الجميل.

ونسأل اللّه تبارك وتعالى أن يوفّقنا لما يحبّ ويرضى، ويتقبّلَ منّا هذا الضئيل بأحسن قبول، ويجعلَه ذُخْراً لنا ليوم لا بيعٌ فيه ولا خُلَّة.

والحمد للّه أوّلاً وآخراً، وصلّى اللّه على نبيّنا محمّد سيّد الأنبياء والمرسلين، ووصيّه وخليفته بلا فصل مولانا عليٍّ أميرالمؤمنين عليه السلام وآله الطيّبين الطاهرين.

محمّدرضا نعمتي

قم المقدّسة ـ ١٤٢٢هـ / ١٣٨٠ش

صورة الصفحة الأُولى من إجازة الشيخ البهائي
إلى المولى السيّد محمّد باقر الحسيني بخطّه الشريف

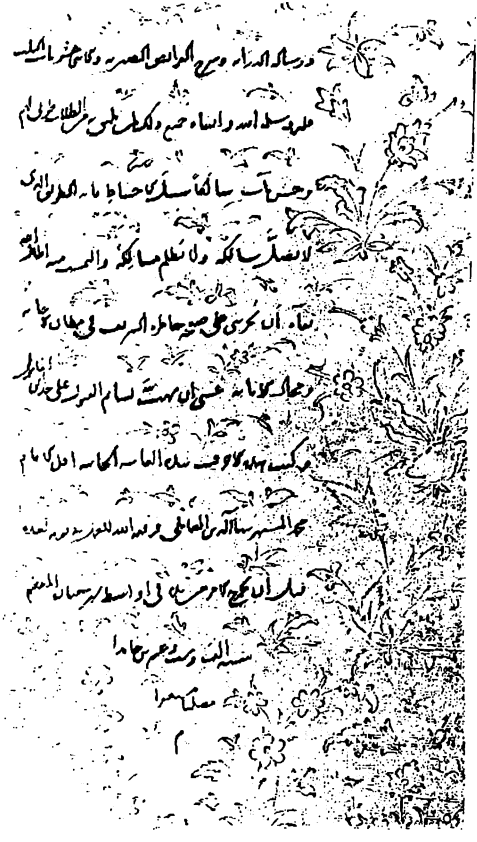

صورة الصفحة الأخيرة من إجازة الشيخ البهائي
إلى المولى السيّد محمّد باقر الحسيني بخطّه الشريف

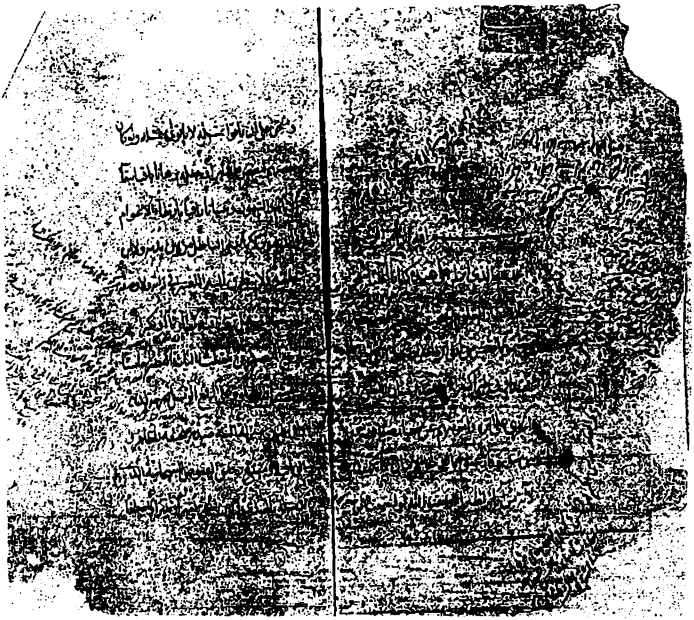

صورة الصفحة الأولى من نسخة «د»

صورة الصفحة الأولى والأخيرة من نسخة «ش»

صورة الصفحة الأولى من نسخة «م»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علا عبده كتابا الهيا تيقن من بحار انهار العلوم الحقيقية تفجرا وخطا
سموا بتقبيس من انواره اسرار الحكمة التي من اتيها فقد اوتي خيرا كثيرا واتحدى فرسان
البيس عز الجري على اثره وانا سهم عن معارضة اقصر سورة من سورته فاذعنوا
بالعجز عن الاتيان بما يكون لايته نظيرا وايقنوا انه لو اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثله لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وجعل ربانا باقيا بقاء
الايام والشهور وتبيانا رافيا بارتفاع الاعوام والدهور لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ولا تطرق اليه التغيير في ذاته ولا وصفه فارجع البصر هل ترى
فيه تفاوتا او نكيرا ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا حسيرا والصلوة على
ارفع الرسل درجة لديه واقربهم منزلة اليه صدر صحيفة المظاهر الربانية ومنبع رحيق
الفيوض السبحانية الذي ارسل بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا واصطفاه
بالنبوة قبل ان يخمر طينة آدم نجيبا وآله مصابيح الاسلام ومفاتيح دار السلامة الذين
البين ورحمة الله على العالمين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وجعل مودتهم
آخر الرسالة تنويها باسمهم وتذكيرا وتبصرة لمن كان سميعا بصيرا وبعد
فان افقر العباد الى رحمة الله الغني محمد الشهير بهاء الدين العاملي وفقه الله في يوم
لغده ان يخرج الامر عن يده يقول ان اتم ما وجب عليه الهم وبقيت عليه اللهم واولى

صورة الصفحة الأولى من نسخة «ع»

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

[illegible] شيخ بهاء الدين العاملي

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده كتابا الهيا متفجرا من بحار انهار العلوم الحقيقية تفجرا وخطابا سماويا تقتبس من انواره اسرار الحكمة التي من اوتيها فقد اوتي خيرا كثيرا والصلاة على فرسان اللسن من اجرى على اثره واعرسهم عن معارضة اقصر سورة من سوره فاذعنوا عن العجز الايمان بما يكون لآية من آياته نظيرا واليقنوا انه لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وجعله برهانا باقيا ببقاء الايام والشهور وتبيانا وافيا بادقاء الاعوام والدهور لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا ينظر اليه التغير في ذاته ولا وصفه فارجع البصر هل ترى فيه فطورا ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا حسيرا والصلاة على ارفع الرسل درجة لديه واعظمهم منزلة اليه صدر صحيفة المظاهر الربانية ومنبع رحيق الفيوض السبحانية الذي ارسله بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا واصطفاه بالنبوة قبل ان يخلق طينة آدم عليه السلام خيرا وآله مصابيح الاسلام ومفاتيح دار السلام ائمة دين المهتدين وحجج الله على العالمين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وجعل مودتهم اجر الرسالة شكرا لهدايتهم وتذكيرا وتبصرة لمن كان سميعا بصيرا وبعد فان افقر العباد الى رحمة الله الغني محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي وفقه الله تعالى في يومه لغده قبل ان يخرج الامر من يده يقول ان اتم ما وجهت اليه الهمم واحق ما بهضت عليه اللهم واولى ما صرفت في حداثة الاعمار واجرى ما اقتضت في ممارسة ايام الليل والنهار هو العلوم الدينية التي بمدارستها يتحصل الفوز باعظم السعادات والمفاخر وبمزاولتها يتوصل الى النجاة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وان اعظمها قدرا واثبتها في سماء الرفعة بدرا هو تفسير كلام الملك العلام الذي هو ملاك تلك العلوم بغير كلام اذ منه اشرقت اصولها وشوقت فصولها واجتنيت اثمارها واجتليت انوارها فلا اقسم بالسبع المثاني

اى تعطيها

صورة الصفحة الأولى من نسخة «ق»

الوداع كذا في مجمع البيان وهو مبني على ان المكي ما نزل قبل الهجرة واحدة ما نزل بعدها ولو بمكة فليراجع
والاستثناء ليس بتام. ومن زعم وبرهنتين الم مخالف لما يلوح من تناسب الاقوال
في الاحرف المقطعة المفتتح بها بعض السور المكية فقد سبق انفا لطائف من الاسرار المستورة التي
استأثر الله سبحانه بعلمها وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل انها تعم بحروف التهجي فانها
عنصر الكلام وهادة اللغات واصناع كتبه المنزلة وهي مباني اسمائه الكريمة وذكر الاحرف المؤثرة منها
اشارة الى الكل عبر بذكر ما هو من اول المخارج ثانيا وسطا واخرا وقيل هي اسماء السور فان اسم كثير من
السور مشتمل على اكثر حروف التهجي كالبقرة وآل عمران والاعراف ويونس وهود ويوسف والرعد
ولذلك اخبر عنها بالكتاب هنا وفي قوله عز وجل منه آيات محكمات هن ام الكتاب انزل اليك الم الكتاب احكمت
آياته وقيل هي اسماء الله تعالى وقد روي ذلك عن امير المؤمنين عليه السلام انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق
وقيل هي اشارة الى كلمات اقتطع منها على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الف
الالف والف الله واللام لطف والميم ملكه وعنه ايضا ان الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد اي القرآن نزل من الله بلسان جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله وقيل هي اشارة
الى العدد الف واحد ولام ثلاثون وميم اربعون وعلى هذا روي عن قول اليهود بعد حساب الجمل كيف ندخل
في دين مدته احدى وسبعون سنة وبتمامها تتم هذه السورة الى قوله وعد يوم الخميس

ثامن شهر المبارك رجب على يد احقر العباد والمشتاقين عظم عنايت
بن علي اصغر الدربندي في سنة تسعة وثمانين ومائتين بعد
الالف من الهجرة النبوية في النجف الاشرف على ساكنه
الف الثناء والتحف والمرجو والمسؤل من الاحباب
ان ينظر بعين الدعاء والرقة الكاتبه
والمستنسخ المستجير بهم استكفيهم بنار
وآية في نسخ هذا الكتاب
بما يعلم به الكتبة الشريفة
بحق محمد وآله الطاهرين

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ق»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده كتابا إلهيا يتفجر من بحاره أنهار العلوم الحقيقية تفجيرا. وخطابا سحريا تنقبض من أنواره أسرار الحكمة النورية أيما انقباض وأقدارا وتحير خيرا كثيرا وأقدر فرسان الفن عن الجري على أثره وأخرهم عن معارضته أقصر سورة من سوره فأذعنوا بالعجز عن الإتيان بما يكون لآياته من آياته نظيرا وأيقنوا أنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وجعله برهانا باقيا ببقاء الأيام والشهور وثبيانا راقيا بارتقاء الأعوام والدهور لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا تتطرق إليه التغيرات في ذاته ولا في صفاته فارجع البصر هل ترى فيه نقاوتا أو نكيرا ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسيا حسيرا والصلاة على أرفع الرسل درجة لديه وأقربهم منزلة إليه سيد صفيه الظاهر الزاهر ومنبع ريحين الفيوض السبحانية الذي أرسل بالهدى و

صورة الصفحة الأولى من نسخة «س»

العروة الوثقى

في تفسير سورة الحمد

للعلامة محمد بن الحسين الحارثي العاملي

المعروف بالشيخ البهائي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي أنزل على عبده كتاباً إلهيّاً تتفجّر من بحاره أنهارُ العلوم الحقيقيّة تفجيراً، و خطاباً سماويّاً تُقتبس من أنواره أسرارُ الحكمة التي مَنْ أُوتِيَها فقد أُوتي خيراً كثيراً[1]؛ و أقعد فُرسانَ اللَّسَن[2] عن الجري على أثره؛ وأخرسهم عن معارضة أقصر سورة من سُوَره؛ فأذعنوا بالعجز عن الإتيان بما يكون لآية من آياته نظيراً، وأيقنوا أنّه لو[3] اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثله لايأتونَ بمثله ولو كان بعضهُم لبعض ظَهيرا[4]، وجعله برهاناً باقياً ببقاء الأيّام والشهور، و تبياناً راقياً بارتقاء الأعوام والدهور ﴿لا يأتيه الباطلُ من بينِ يَدَيه ولا من خَلْفِه﴾[5]، ولا يتطرّق إليه التغيير في ذاته ولا وصفه؛ فارجع البصر هل ترى فيه تفاوتاً أو نكيراً، ثـمّ ارجع البصر كرّتين ينْقلب إليك البصر خاسئاً[6] حسيراً[7].

والصلاة على أرفع الرسل درجةً لديه، و أقربهم منزلةً إليه، صدرِ صحيفة المظاهر

١. إشارةٌ إلى الآية ٢٦٩ من سورة البقرة (٢).
٢. «اللَّسَنُ: الفصاحة» («لسان العرب» ج ١٣، ص ٣٨٦، «لسن»).
٣. في «م»: «لئن».
٤. إشارة إلى الآية ٨٨ من سورة الإسراء (١٧).
٥. فصّلت (٤١): ٤٢.
٦. في «م»: «خاسئاً وحسيراً».
٧. إشارةٌ إلى الآية ٣ ـ ٤ من سورة المُلك (٦٧).

الربّانيّة، و منبع رحيق الفيوض السبحانيّة، الذي أرسله بالهدى ودين الحقّ بشيراً ونذيراً؛ واصطفاه بالنبوّة قبل أن يخمِّر طينة آدمﷺ تخميراً، و آله مصابيح الإسلام، ومفاتيح دار السلام، أئمّة الدين المبين، و حجج الله على العالمين، الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً[١]، و جعل مودّتهم أجر الرسالة[٢]، تنويهاً بشأنهم، و تذكيراً وتبصرةً لمن كان سميعاً بصيراً.

أمّا بعدُ، فإنّ أفقر العباد إلى رحمة الله الغنيّ، محمّداً المشتَهَر بـ«بهاء الدين العاملي» ـ وفّقه الله للعمل في يومه لغده، قبل أن يخرج الأمر من يده ـ يقول:

إنّ أهمَّ ما وُجّهتْ إليه الهِمَمُ، و أحقَّ ما بيُضت عليه اللِّمَمُ[٣]، وأولى ما صُرفت في مدارسته الأعمار، و أحرى ما انقضتْ في ممارسته آناء الليل و النهار، هو العلوم الدينية التي بمُداوَلتها يتحصّل الفوز بأعظم السعادات والمَفاخر، و بمزاولتها يتوصّل إلى النجاة مَن كان يؤمن بالله و اليوم الآخر.

وإنّ أعظمها قدراً، و أنورَها في سماء الرفعة بدراً، هو تفسير كلام الملك العلّام، الذي هو ملك تلك العلوم بغير كلام؛ إذ منه تفرّعت أُصولها، و تنوّعت فصولها، و اجتُنيت[٤] أثمارها، واجتُليت أنوارها.

فلا أُقسم بالسبع المثاني والقرآن العظيم؛ إنّه أولى العلوم بوفور التوقير و التعظيم، فطوبى لقوم ولّوا وجوهَهم شطر مطالبه، وتوجّهوا تلقاءَ مَدْينِ مآربه؛ فأُولئك الذين نالوا من الله كرامةً وتوفيقاً، وانتظموا[٥] في سلك الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسُن أُولئك رفيقاً[٦].

١. إشارةٌ إلى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب (٣٣).
٢. إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة الشورى (٤٢).
٣. «اللِّمّة: شعر الرأس» («لسان العرب» ج ١٢، ص ٥٥١، «لمم»).
٤. «اجتنى الثمرة: تناولها من شجرتها، والاجتناء: يقال لكلّ شيءٍ أُخذ من شجره» («لسان العرب» ج ١٤، ص ١٥٥، «جني»).
٥. في «ق»: «وتنظّموا».
٦. إشارةٌ إلى الآية ٦٩ من سورة النساء (٤).

وإنّ من أعظم نعم الله ـ سبحانه ـ عليَّ، و أتمّ مِنَنه التي لم تبرح متواصلةً لديَّ، أنّي لم أزَل ـ منذ بلغتُ العشرين إلى أن أكملتُ الخمسين ـ متطلّباً لاستكشاف سرّه المكتوم، مترقّباً لارتشاف[1] رحيقه المختوم؛ فأنفقتُ كنز الشَّباب على تحصيل مقدّماته، و هاجرتُ عن الأحباب في اكتساب أسبابه و أدواته، سيّما العِلْمَيْن الجليلَيْن، اللذَيْن لهما به مزيدُ اعتلاق واختصاص، وليس للمتعطّشين إلى زلاله عن التبحّر فيهما من بُدٍّ ولا مناص، أعني بهما: «علمَ المعاني»[2] و «علمَ البيان»[3] اللذَيْن هما الذريعة لمن رام الاطّلاعَ على جواهر أسرار القرآن؛ فلقد امتدّ فيهما كدّي و نَصَبي، حتّى امتزج بهما لحمي [ودمي][4] و عَصَبي، و بلغتُ منهما بتوفيق الله أقصى مُناي، و لم أكن قانعاً بما يقنع به سِواي.

و لمّا قضيتُ من مقدّمات علم التفسير وَطَري[5]، ووجّهت إلى الكتب المؤلّفة فيه بَريدَ نظري، طفقت أُواصل في مطالعتها بين عشيّاتي و أسحاري، و أصرف في كلّ سطر منها شطراً من ليلي و[6] نهاري، أنظم كلّ درّة من دررها في سلك روحي، و أعدُّ الظفَر بفرائد غررها من أعظم فتوحي، معلّقاً على بعضها حواشي شريفة تُزْري[7] نفحاتُها بنسمات الأزهار، و تحكي صفحاتُها جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار،

١. «ارتشف الإناء: استقصى الشُّربَ حتّى لم يدعْ فيه شيئاً. والرشيف: تناول الماء بالشفَتَيْن» («القاموس المحيط» ج ٣، ص ١٤٨ ـ ١٤٩، «الرَّشَفُ»).

٢. علم المعاني: هو علمٌ تُعْرَف به أحوالُ اللفظ العربي التي بها يطابقُ اللفظ مقتضى الحال. انظر «شرح المختصر» للتفتازاني، ص ١٥.

٣. علم البيان: هو علمٌ يُعْرف به إيرادُ المعنى الواحد بطُرَق وتراكيب مختلفة. انظر «شرح المختصر» للتفتازاني، ص ١٢٨.

٤. ما بين المعقوفتين أضفناه من نسخة «م».

٥. «الوَطَر: الحاجة، أو حاجةٌ لك فيها همٌّ وعنايةٌ. فإذا بَلَغْتَها فقد قضيتَ وَطَرَك» («القاموس المحيط» ج ٢، ص ١٦٠، «وطر»).

٦. في «ع» و «د» و «س»: «أو نهاري».

٧. أزْرَى، يُزْري: عابَ. والمراد أنّ نفحات حواشيه أفضل وأطيب من نسمات الأزهار. انظر «لسان العرب»، ج ١٤، ص ٣٥٦، «زري».

كما علَّقته في عنفوان الشباب على تفسير الفاضل البيضاوي[1] من حواشٍ بارعة، تسلك بالطالبين طريقاً قويماً، و تهدي الراغبين صراطاً مستقيماً، وتُهمِد[2] ما هيّجه المحشّون من العَجاج[3] في معارك أنظارهم، و تسكّن ما أثاروه من عِثْيَر[4] اللَّجاج في مدارك أفكارهم، و كما رقمته على بعض مباحث «الكشّاف» و «مجمع البيان» من فرائدَ جِسانٍ أبهى من أيّام الشباب، و أشهى من وصال الأحباب.

وكان قد اجتمع إليّ على تمادي الأيّام، و تحصّل لديَّ على توالي الشهور والأعوام فوائدُ جليلة لم تجتمع إلى الآن في كتابٍ، ولم يطَّلع عليها إلّا واحد بعد واحد من أُولي الألباب، وزوائدُ جزيلة استنبطتها بالنظر الكليل القاصر، والفكر العليل الخاسر، لم يَحُمْ حولَها أبناء الزمان، و لم يطمثهنّ إنسٌ قبلي ولا جانّ؛ فأحببتُ أن أجمعَ نفائس تلك العرائس في تأليفٍ في هذا الفنّ الشريف، يُخبر بالسرّ المخزون في زوايا كنوزه، و يُظهر الدرّ المكنون من خفايا رموزه، يوصل

١. عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي، أبوسعيد، أبوالخير، ناصرالدين: كان إماماً علّامة، عارفاً بالفقه والتفسير والأصلين والعربيّة والمنطق، نظّاراً، صالحاً، متعبّداً، زاهداً، شافعيّاً.
وُلد في مدينة البيضاء ـ قرب شيراز ـ وولي قضاء شيراز مدّة وصُرِفَ عنه، فرحل إلى تبريز و توفّي فيها سنة ٦٨٥هـ. وله تصانيف كثيرة، منها: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» و يعرف بتفسير البيضاوي.
قال صاحب «كشف الظنون»: «هذا كتاب عظيم الشأن، غنيّ عن البيان، لخّص فيه من الكشّاف ما يتعلّق بالإعراب والمعاني والبيان، و من التفسير الكبير ما يتعلّق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلّق بالاشتقاق وغوامض الحقائق و لطائف الإشارات».
انظر «طبقات المفسّرين» للداودي، ج ١، ص ٢٤٨، الرقم ٢٣٠؛ «البداية والنهاية» ج ١٣، ص ٣٠٩؛ «طبقات الشافعيّة» ج ٨، ص ١٥٧؛ «كشف الظنون» ج ١، ص ١٨٦؛ «شذرات الذهب» ج ٥، ص ٣٩٢؛ «معجم المفسّرين» ج ١، ص ٣١٨.
وجديرٌ بالذكر أنّ للشيخ البهائي ﷺ حاشيتَين مخطوطتَين على تفسير البيضاوي، وتمتازان بالدّقة والتفصيل. وهذه اللجنة جادّة في تحقيق هاتين النسختين، ونسأل اللّه ـ سبحانه و تعالى ـ أن يُتمّمَ لنا إنجازَ هذا العمل بأقرب وقت، إنّه سميع مجيب.

٢. في «ق» و «م»: «تمهّد»؛ و في «ع» و «س»: «تلبد»، و ما أثبتناه في المتن من نسخة «ش»، و «هَمَدَ: سكن». انظر «أقرب الموارد» ج ٣، ص ٤٢٥، «همد».

٣. «العَجاج كَسحاب: الغبار والدخان» («القاموس المحيط» ج ١، ص ٢٠٥، «عَجَّ»).

٤. «العِثْيَر: الغبار، التراب، العَجاج الساطع» («لسان العرب» ج ٤، ص ٥٤٠، «عثر»).

طلّاب أسرار حقائقه[١] إلى أقصاها، ولا يغادر من جواهره صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، متضمّناً خلاصَة ما ورد في هذا العلم عن سيّد المرسلين، و نُقاوة[٢] ما نقل فيه عن الأئمّة الطاهرين ـ عليه و عليهم أفضل صلوات المصلّين ـ و مشتملاً على صفوة ما وصل إلينا عن الصحابة المرضيّين، و العلماء الماضين، و السلف الصالحين، رضوان الله عليهم أجمعين.

ولقد كانت عوائق[٣] الزمان، و بوائق[٤] الدهر الخَوّان تمنعني عن الانتصاب لتأليف زواهره، و تصدُّني عن التصدّي لترصيف[٥] جواهره، إلى أن و افَقَني التوفيقُ، و ساعَدَني الإقبالُ، فشرعت فيه في الدولة الأبديّة الاتّصال، وهي أيّام خلافة السلطان الأعدل الأكرم، ظلّ الله على الأمم، محيي ما اندرس من مراسم المجد والكرم، أشرفِ ملوك العصر من العرب والعجم، مزيلِ ظُلَم الظلم عن بساطة البسيطة بكواكب المواكب، مزيحِ غمام الغمائم بغرائب الرغائب و سواهب المواهب، الذي مدّ سرادق الحلم و الرأفة على الداني والقاصي، و نشر لواء اللطف والرحمة على المطيع والعاصي، منتهى مطلبه إعلاء معالم الإيمان على قانون آبائه الطاهرين، و نهاية مقاصده الهداية والإرشاد إلى منهاج الأئمّة المعصومين، و خلاصة مآربه إحياء علوم الدين باستطلاع طوالع أنوار الحقّ من مطالع اليقين، و قصارى مطالبه تجريد أكناف الممالك عن أهل الخلاف أجمعين، المظفّر على الأعداء من تأييد ربّ العالمين، المختصّ مِن إله السماء بالنصر العزيز والفتح المبين، الممتاز بالنسب النبوي والحسب العلوي عن خواقين الزمان، السلطان بن السلطان بن السلطان أبي المظفّر، أجرى الله ـ سبحانه ـ في يحار النصر و التأييد فلكَه، كما جعل اسمه

١. في «ش»: «طلّاب حقائقه» ؛ وفي «ع» و «س»: «طلّاب أسراره».

٢. «النُقاوة»: أفضلُ ما انتَقَيْتَ من الشيء، ونُقاوة الشيء: خيارُه» (لسان العرب» ج ١٥، ص ٣٣٨، «نقا»).

٣. «عوائقُ الدهر: الشواغل» (القاموس المحيط» ج ٣، ص ٢٧٩، «العَوْق»).

٤. «البوائق، جمع البائقة: الداهية، الشرّ» (القاموس المحيط» ج ٣، ص ٢٢٣، «البوق»).

٥. «رَصَّفَ الحجارة: بناه، وَوصَلَ بعضَه ببعض». انظر «تاج العروس» ج ٢٢، ص ٣٤٦، «رصف».

الأشرف مطابقاً لبيّنات خلّد الله ملكه، ولازالتْ رقاب أعاظم السلاطين خاضعةً على بابه، و رؤوس أفاخم الخواقين خاشعةً على تراب أعتابه، ولابرحت في أيّام دولته أقمار العلم بازغةً على التمام، و مهام الملك جاريةً على أعلى مراتب الانتظام، أبي المظفّر «شاه عبّاس الصفوي» بهادرخان[1].

و قد سمّيتُ هذا التفسير بـ«العُروة الوُثقى»، وأرجو أن يكون وسيلة إلى ما هو خير وأبقى.

ثمّ ألتمس منكم ـ يا أصحاب الطِباع القويمة، والأوضاع المستقيمة، والخواطر المجتمعة، والأفكار غير المتوزّعة ـ أن تمنّوا علىَّ بإصلاحِ الفساد، و ترويج الكساد، وإسبال[2] ذيل المسامحة والعفو، على ما فيه من الخَلَل و الهفو؛ فإنّ تحقيق غررالحقائق يتعسّر مع تزاحم أفواج العوائق، و الغوصَ على دررالدقائق يتعذّر عند تراكم أمواج العلائق. و من الله الاستمداد والاستعانة؛ إنّه وليّ التوفيق و الإعانة.

١. أشرنا سابقاً إلى الأسباب التي دعت الشيخ اليماني ﷺ إلى مدح السلطان و تعاونه معه. انظر ص ١٥ـ١٨ من مقدّمة التحقيق.

٢. «أسبل الإزارَ والستر: أرخاه، وأسبل الدمع: أرسله». انظر «أقرب الموارد» ج ١، ص ٤٩٢، «سبل».

سورة فاتحة الكتاب

[لفظ السورة]

السورة: إمّا مستعارة[1] من سُور[2] المدينة؛ لإحاطتها بما تضمّنته من أصناف المعارف والأحكام كإحاطة السور بما يحتوي عليه؛ أو مجاز مرسل[3] من السُورة بمعنى المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة؛ إذ لكلّ واحدة من السُوَر الكريمة مرتبة في الفضل عاليةٌ، ومنزلة في الشرف رفيعةٌ؛ أو لأنّها توجب علوَّ درجة تاليها وسموَّ منزلته عند الله سبحانه.

و قيل: واوها مبدل من الهمزة، أخذاً من السُؤْر بمعنى البقيّة والقِطعة من الشيء[4].

واختلفوا في رسمها عرفاً:

فقيل: «طائفة من القرآن مصدَّرةٌ فيه بالبَسْمَلة[5] أو براءةٌ[6]»؛ فأُورد على طَرْده

١. الاستعارة: هي مجاز تكون علاقته المشابهة. كأسد في قولنا: «رأيت أسداً يرمي»، أو هي اللفظ المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصلي لعلاقة المشابهة. انظر «شرح المختصر» للتفتازاني، ص ١٥٥.

٢. في نسخة «م»: «سورة».

٣. المرسل: هو ما كانت العلاقة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي غير المشابهة، كاليد إذا استعملت في النعمة، ومن أقسامه: تسمية الشيء باسم جزئه أو كلّه، وباسم سببه أو مسبّبه و.... انظر «شرح المختصر» للتفتازاني، ص ١٥٦.

٤. «البرهان في علوم القرآن» ج ١، ص ٢٦٣، في بيان لفظ السورة؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ٦٦، في ذكر معنى السورة؛ «روح المعاني» للآلوسي، ج ١، ص ٣٤، في ذكر معنى السورة.

٥. في هامش «ق»: «أي: بإحداهما، فلا يرد أنّه لا يصدق على شيء من السور أنّه مبدوّ بالبسملة أو براءة». (منه ﷺ).

٦. «الجمل على الجلالين» ج ١، ص ٨، في معنى السورة؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١١٤، نحوه.

الآيةُ الأُولى[١] من كلّ سورة، فزيد عليه: «متّصلٌ آخرها فيه بإحداهما»؛ فأُورد على عكسه سورةُ الناس، فزيد عليه: «أو غيرُ متّصل فيه بشيء منه[٢]» فاستقام، كذا قيل[٣]؛ ولعلّه ـ مع هذا ـ عن الاستقامة بمعزل؛ لورود بعض سورةالنمل أعني أوائلها، المتّصل بالبسملة آخرها، و أواخرها المتّصل بها أوّلها.

وقيل: «طائفة من القرآن مترجَمَة بتَرْجَمة خاصّة»[٤]؛ ونقض طرده بآية الكرسي. ورُدّ بأنّ المراد بالترجمة الاسمُ، و تلك إضافة محضة لم تبلغ حدَّ التسمية.

و أنت خبير بأنّ القول ببلوغ سورتَي الإسراء والكهف ـ مثلاً ـ حدَّ التسمية دون آية الكرسي لا يخلو من تعسّف.

و الأولى أن يراد بالترجمة مايكتب في العنوان، و منه ترجمة الكتاب، فالمراد بها هنا ما جرت العادة برسمه في المصاحف[٥] عند أوّل تلك الطائفة من لقبها، و عدد آياتها، و نسبتها إلى أحد الحرمين الشريفين؛ فيسلم الطرد.

وما يُتراءى من فَساد العكس ـ لعدم صدق الرسم حينئذٍ على شيءٍ من السور قبل اعتياد رسم الأُمور المذكورة في المصاحف ـ فممّا لايخفى وجه التفصّي عنه.

فإن قلت: قد ذهب جماعة من قدماء الأُمّة إلى أنّ «الضُحى» و «ألَم نَشرَح» سورة واحدة، و كذا «الفيل» و «لإيلاف»[٦]. و هومذهب جماعة من فقهائنا[٧]

١. في هامش «ق»: «المراد بالآية الأُولى أوّل الآيات المتّصلة بالبسملة، وإلّا فأوّل الآيات عندنا هي البسملة». (منه ﷺ).

٢. في هامش «ق»: «ربما يظهر أنّ الظاهر أنْ يقال: «بشيء منهما» بإعادة الضمير إلى البسملة وبراءة، فهو فاسد؛ لعود الانتقاض بالآية الأُولى من كلّ سورة». (منه ﷺ).

٣. لم نعثر عليه.

٤. «حاشية محيي الدين شيخزاده على تفسير البيضاوي» ج ١، ص ١٠، في معنى السورة؛ «الجمل على الجلالين» ج ٤، ص ٦١٣، في بيان معنى السورة.

٥. في «ع» و «س» و «د»: «المصحف المجيد».

٦. «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ٢٠، ص ٢٠٠، ذيل تفسير الآية (١) من سورة قريش.

٧. «التبيان» للطوسي، ج ١٠، ص ٤١٢، ذيل تفسير الآية (١) من سورة قريش؛ «شرائع الإسلام» للمحقّق الحلّي، ج ١، ص ٧٣؛ «جامع المقاصد» ج ٢، ص ٢٦٢.

ـ رضوان الله عليهم ـ، فقد انتقض طرد كلٍّ من هذين التعريفين بكلٍّ واحدةٍ من تلك الأربع.

قلت: هذا القول و إن قال به جمع من السلف والخلف إلّا أنّ الحقَّ خلافُه. و استدلالُهم بالارتباط المعنوي بين كلٍّ و صاحبتها، و بقول الأخفش والزجّاج[1]: إنّ الجارّ في قوله ـ عزّوعلا ـ: ﴿لإيلاف قُريش﴾[2] متعلّق بقوله ـ جلّ شأنه ـ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْف مأكُول﴾[3]، وبعدم الفصل بينهما في مصحف أُبيّ بن كعب[4] ضعيفٌ؛ لوجود الارتباط بين كثير من السور التي لاخلاف بين الأُمّة في تعدّدها، فليكن هذا من ذاك.

وكلام الأخفشَين[5] لاينهض حجّةً في أمثال هذه المطالب. و تعلّق الجارّ بقوله سبحانه: ﴿فَلْيَعبُدوا رَبَّ هذا البَيْت﴾[6] لامانع عنه[7].

وعدم الفصل في مصحف أُبيّ لعلّه سهو منه على أنّه لايصلح معارضاً لسائر مصاحف الأُمّة.

وأمّا ما ذكره جماعة من مفسّري أصحابنا الإمامية ـ رضوان الله عليهم ـ كشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي في تفسيره المسمّى بـ«التبيان»[8]، وثقة الإسلام أبي علي

١. حكاه عنه الطبرسي في «مجمع البيان» ج ١٠، ص ٤٥٠، ذيل إعراب الآية (١) من سورة قريش؛ «معاني القرآن وإعرابه» للزجّاج، ج ٥، ص ٣٦٥.

٢. قريش (١٠٦): ١.

٣. الفيل (١٠٥): ٥.

٤. قال الشيخ: «أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار: من أصحاب رسول الله ﷺ يكنّى أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعين، وكان يكتب الوحي، آخى رسول‌الله ﷺ بينه و بين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، شهد بدراً والعقبة الثانية، وبايع لرسول‌الله ﷺ».

وعدّه البرقي في آخر رجاله من الاثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر. انظر «معجم رجال الحديث» ج ١، ص ٣٦٤، الرقم ٣٧٤، (أُبيّ بن كعب).

٥. أي: الأخفش والزجّاج؛ و في «م»: «الأخفش».

٦. قريش (١٠٦): ٣.

٧. في «م»: «منه».

٨. «التبيان» ج ١٠، ص ٤١٢، ذيل تفسير الآية (١) من سورة قريش.

الطبرسي في تفسيره الموسوم بـ«مجمع البيان» من ورود الرواية بالوحدة عن أئمّتنا عليهم السلام[١] فهذه الرواية لم نظفر بها.

وما اطّلعنا عليه ـ من الروايات التي تضمّنتها أُصولنا ـ لا يدلّ على الوحدة بشيء من الدلالات؛ بل لعلّ دلالة بعضها على التعدّد أظهرُ[٢]؛ و أقصى ما يُستنبط منها جوازالجمع بينهما في الركعة الواحدة، وهو عن الدلالة على الوحدة بمراحَل.

و ما تشرّفنا بمشاهدته في مشهد مولانا و إمامنا أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام من المصاحف التي قد شاع و ذاع في تلك الأقطارأنّ بعضها بخطّه عليه السلام وبعضها بخطّ آبائه الطاهرين ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ يؤيّد ما قلناه من التعدّد، فإنّ الفصل في تلك المصاحف بين كلٍّ من تلك السور الأربع و صاحبتها على وتيرة الفصل بين البواقي من غير فرق. والله أعلم بحقائق الأُمور.

١. «مجمع البيان» ج ١٠، ص ٤٤٩، ذيل بيان فضل سورة قريش.

٢. في هامش «ق» و «ش»: «قوله: لعلّ دلالة بعضها على التعدّد أظهر» إلى آخره، المراد به ما رواه المفضّل. قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول:
«لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلّا «الضحى» و «ألم نشرح» و «ألم تركيف» (سورة الفيل) و«لإيلاف». وهذه الرواية ظاهرة في عدم الوحدة، كما لا يخفى». (منه قدس سره)
ولمزيد التوضيح لاحظ «نورالثقلين» ج ٥، ص ٥٩٣.
ووردت الرواية في «مجمع البيان» ج ١٠، ص ٤٤٩، ضمن فضل سورة قريش.

فصل

[في أسماء السورة]

[الأوّل: فاتحة الكتاب]

فاتحة الشيء[1] أوّلُ أجزائه، كما أنّ خاتمته آخرها، فهي في الأصل: إمّا مصدر بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب؛ أو صفة، و التاء فيها للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالذبيحة؛ وقد تُجعل للمبالغة، كعلّامة.

ثمّ إن اعتبرت أجزاء الكتاب سُوَراً، فالأوّلية هنا حقيقيّةٌ؛ و إن اعتبرت آياتٍ أو كلماتٍ مثلاً ـ فمجازيّةٌ؛ تسميةً للكلّ باسم الجزء.

و إضافة السورة إلى الفاتحة من إضافة العامّ إلى الخاصّ، كبلدة بغدادَ، و إضافة الفاتحة إلى الكتاب من إضافة الجزء إلى الكلّ، كرأس زيد؛ فهما: لاميتان؛ و ربما جُعلت الثانية بمعنى «من» التبعيضيّة تارةً والبيانيّة أُخرى.

والأوّل وإن كان خلاف المشهور[2] بين جمهور النحاة إلّا أنّه لايُخرِج إلى حمل

---

١. في هامش «ق»: «قوله: فصل: فاتحة الشيء أوّله. اعلم أنّ فاتحة كلّ شيء أوّله. فـقيل: الفـاتحة فـي الأصـل مصدر بمعنى الفتح، كالكاذبة بمعنى الكذب، ثمّ أُطلقت على أوّل الشيء تسمية للمفعول بالمصدر؛ لأنّ الفـتح يتعلّق به أوّلاً، وبواسطته يتعلّق بالمجموع فهو المفتوح الأوّل.

وقيل: الفاتحة صفة، ثمّ جعل لأوّل شيء؛ إذ به يتعلّق الفتح بمجموعه فهو كالباعث على الفـتح، وأُدخـل التـاء علامة كما في النطيحة. وهذا هو الوجه؛ لأنّ فاعله في المصادر قليل. وقـس على الفاتحة حالَ خاتمة». (منه ﷺ).

٢. في هامش «ق» و «ش»: «فإنّ المشهور بينهم أنّ الإضافة لا تكون بمعنى «من» التـبعيضيّة، وأنّ «مـن» التـي تكون الإضافة بمعناها هي البيانيّة». (منه ﷺ).

«الكتاب» على غير المعنى الشائع المتبادر، والثاني بالعكس.

ثمّ تسمية هذه السورة بهذا الاسم [لوجوه:]

[الأوّل:] إمّا لكونها أوّلَ السور نزولاً، كما عليه جمّ غفير من المفسّرين[١].

[الثاني:] وإمّا لما نقل من كونها مفتَتَحِ الكتاب المثبتِ في اللوح المحفوظ[٢].

[الثالث:] أو مفتتحَ القرآن المنزلِ جملةً واحدة إلى سماء الدنيا[٣].

[الرابع:] أو لتصدير المصاحف بها على ما استقرّ عليه ترتيبُ السور القرآنية وإن كان بخلاف الترتيب النزولي[٤].

[الخامس:] أو لافتتاح ما يُقرأ في الصلاة من القرآن بها[٥].

فهذه وجوه خمسة لتسميتها بفاتحة الكتاب.

و ربما يُخدش الرابعُ منها بتقدّم تلك التسمية على هذا الترتيب؛ لوقوعها في الحديث النبوي، ووقوعِه بعد عصر الرسالة؛ والخامسُ بأنّ المراد بـ«الكتاب» هنا الكلُّ لا البعض، وهي في الصلاة فاتحة البعض لا الكلّ، على أنّ إطلاق «الكتاب» على البعض من المستحدثات[٦] بعد هذه التسمية؛ إذ هو اصطلاح أُصوليّ.

ويمكن دفع الخدشَيْن:

أمّا الأوّل: فبأنّ تلك التسمية لمّا كانت مأخوذة من الشارع، فلعلّه سمّاها بذلك؛ لعلمه بتصدير الكتاب العزيز بها فيما بعدُ، كما يقال من أنّها سمّيت بالسبع المثاني بمكّة قبل نزولها بالمدينة؛ لعلمه ـ سبحانه ـ بأنّها سيثنّى نزولها بها؛

١. «غرائب القرآن» ج ١، ص ٢٦؛ «الجمل على الجلالين» ج ٤، ص ٦١٤.

٢. «روح المعاني» للآلوسي، ج ١، ص ٣٥، حكايةً عن المرسي.

٣. قال ابن عبّاس: «أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ...». لاحظ «مجمع البيان» ج ١٠، ص ٤٠٥، ذيل تفسير الآية (١) من سورة القدر.

٤. «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧، ذيل أسمائها.

٥. «التبيان» ج ١، ص ٢٢؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧؛ «جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري ج ١، ص ٣٦؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٧٩.

٦. في «د»: «المحدثات».

على أنّ القول بأنّ ترتيب السور القرآنيّة على هذا النمط ممّا وقع بعد عصر الرسالة ليس أمراً مجمعاً عليه بين الأُمّة، كيف؟ وبعض السلف مصرّون على أنّ ترتيب المصحف المجيد على ما هو عليه الآنَ إنّما وقع في عصره ﷺ طبقَ ما اقتضاه رأيه الأقدس.

و أمّا الثاني: فبتطرّق القدح إلى بعض مقدّماته و سيّما حكاية الاستحداث، كيف؟ وتجويزُهم كون السورة هي المشار إليه في قوله ـ عزّ وعلا ـ: ﴿ذلك الكتاب﴾ شاهدُ صدقٍ بخلافه؛ على أنّ تسمية البعض باسم الكلّ مجاز شائع لا حجْر فيه، فلا مانع من أن يكون هذا منه.

[الثاني والثالث:[1] أُمّ القرآن وأُمّ الكتاب]

و من أسمائها أُمّ القرآن و أُمّ الكتاب، لأنّها جامعة لأُصول مقاصده، و محتوية على رؤوس مطالبه، والعرب قد يسمّون ما يَجمع أشياءَ عديدةً أُمّاً، كما يسمّون الجلدةالجامعة للدماغ وحواسّه أُمَّ الرأس، واللواءَ الذي يجتمع العسكر تحته أُمّاً؛ ولأنّها كالفَذْلَكَة[2] لما فصّل في القرآن المجيد، فكأنّه نشأ وتولّد منها بالتفصيل بعد الإجمال، كما سمّيت مكّة المشرّفةُ بأُمّ القرى؛ لأنّ الأرض دُحيت من تحتها.

ووجه اشتمال هذه السورة الكريمة على مقاصد الكتاب العزيز:

إمّا أنّ تلك المقاصد راجعة إلى أمرين: هما: الأُصول الاعتقاديّة[3]، والفروع العمليّة[4]؛ أوهما: معرفة عزّ الربوبيّة وذلّ العبوديّة.

---

١. مابين المعقوفتين أضفناه لمزيد التوضيح، و في جميع النسخ المخطوطة: «فصل».

٢. «الفَذْلَكَة، مصدرٌ ويرادُ بها في كلام العلماء إجمالُ ما فصّل أوّلاً، و كلُّ ما هو نتيجة متفرّعة على ماسبق حساباً كان أو غيره، ومجملُ الكلام وخلاصته». («أقرب الموارد» ج ٢، ص ٩٠٩، «الفذلكة»).

٣. أي: من أوّلها إلى ﴿مالك يوم الدين﴾.

٤. أي: من ﴿إيّاك نعبد﴾ إلى الآخر.

وإمّا أنّها ترجع إلى ثلاثة هي: تأدية حمده و شكره ـ جلّ شأنه ـ، والتعبّد بأمره ونهيه، و معرفة وعده و وعيده[١].

وإمّا إلى أربعة هي: وصفهُ ـ سبحانه ـ الكمال، والقيام بما شرّعه من وظائف الأعمال، و تبيّن[٢] درجات الفائزين بالنعم والإفضال، و تذكّرُ دركات الهاوين في مهاوي الغضب والضلال.

وإمّا إلى خمسة هي: العلمُ بأحوال المبدأ والمعاد، و لزومُ جادّة الإخلاص في العمل والاعتقاد، والتوسّلُ[٣] إليه ـ جلّ شأنه ـ في طلب الهداية إلى سبيل الحقّ والسداد، والرغبةُ في الاقتداء بالذين ربحت تجارتهم بإعداد الزاد ليوم التناد، والرهبةُ من اقتفاء أثر الذين خسروا أنفسهم بترك الزاد و إهمال الاستعداد. ولا مرية في تضمّن هذه السورة الكريمة جميعَ هذه المطالب العظيمة.

[الرابع: السبع المثاني][٤]

و من أسمائها السبع المثاني؛ إذ هي سبع آيات اتّفاقاً[٥]، وليس في القرآن ما هوكذلك سواها، غيرَ أنّ بعضهم عدّ التسميةَ آية دون ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾[٦]، وبعضهم عكس[٧].

١. «روح المعاني» للآلوسي، ج ١، ص ٣٥؛ «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ٥٧؛ «الكشّاف» ج ١، ص ٢٣، في حاشية السيّد الشريف الجرجاني.

٢. في «ش»: «تبيين».

٣. في «ق»: «التوصل».

٤. مابين المعقوفتين أضفناه لمزيد التوضيح، وفي جميع النسخ المخطوطة: «فصل».

٥. «التبيان» ج ١، ص ٢٢؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧؛ «جامع البيان» للطبري، ج ١، ص ٧٣؛ «الجامع لأحكام القرآن» ج ١، ص ١١٤.

٦. «جامع البيان» للطبري، ج ١، ص ٣٧؛ «الكشّاف» ج ١، ص ٢٤؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ٢٠٣ و ٢٠٧؛ «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ٥.

٧. «جامع البيان» للطبري، ج ١، ص ٣٧؛ «الكشّاف» ج ١، ص ٢٤؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ٢٠٣ و ٢٠٧؛ «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ١، ص ٥.

ويراد بالتثنية:

[الأوّل: إمّا] مطلق التكرير؛ لأنّها تُكرَّر كلَّ يوم عشراً فصاعداً. [الثاني:] و إمّا لأنّها تُثنّى في كلّ صلاة مفروضة؛ ولا ترد صلاة الجنازة[1]؛ لأنّها صلاة مجازية عندنا.

و ما ذكره ثقة الإسلام أبو عليّ الطبرسي ـ طاب ثراه ـ في «مجمع البيان» ـ من أنّها تُثنّى قراءتها في كلّ صلاة فرض و نفل[2] ـ يُشكل بالوتر عندنا، ولعلّه لم يعتدّ بها؛ لندرتها؛ أو أنّه يرى أنّ الوِتر[3] مجموع الثلاث بضميمة الشفع، كما وردت به الروايات الصحيحة[4].

وفيه ما فيه[5].

وفي كلام صاحب «الكشّاف»: «لأنّها تُثنّى في كلّ ركعة»[6]. وهو بظاهره غير صحيح، و وجوه[7] التكلّف لتوجيهه مشهورة، أجودها: حمل «الركعة» على الصلاة

١. في «م»: «الجنائز».

٢. «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧.

٣. في هامش «ق» و «ش»: «المشهور بين فقهائنا ـ قدّس الله أسرارهم ـ أنّ الوتر اسمٌ للركعة الواحدة الواقعة بعد الشفع؛ لكن المستفاد من الروايات الصحيحة أنّ الوتر مجموع الثلاث، وقد أوردْناها في كتابنا الموسوم بـ(الحبل المتين)». (منه ﷺ).

٤. «الكافي» ج ٣، ص ٤٥٠، كتاب الصلاة، باب صلاة النوافل، ح ٣٥؛ «تهذيب الأحكام» ج ٢، ص ١٣٢، ح ٥١١، كتاب الصلاة، باب كيفية الصلاة، ح ٢٧٩.

٥. في هامش «ق» و «ش»: «إشارة إلى أنّ هذا الجواب غير حاسم لمادّة الإشكال: فإنّ الوتر وإن كان اسماً لمجموع الثلاث إلّا أنّ الركعة الثالثة منقطعة عن الأُولَيين؛ لتخلّل التسليم وافتتاحها بتكبير جديد، فهي صلاة على حدة، فتدبّر». (منه ﷺ).

٦. «الكشّاف» ج ١، ص ٢٤.

٧. في هامش «ق»: «قد أوردنا بعض تلك الوجوه في حواشينا على تفسير القاضي». (منه ﷺ).
ونحن ننقل بعضَ حواشي المؤلّف ـ: ـ على كلام صاحب الكشّاف، في حاشيته على تفسير البيضاوي، حيث قال: «وقد يحمل الركعة في كلام العلّامة [صاحب الكشّاف] على معناها الحقيقي، ويوجّه بوجوه:
الأوّل: أنّ مراده أنّها تثنّى في كلّ ركعة بأُخرى في الأُخرى، ففي الأُولى بالثانية، وفي الثانية بالأُولى؛ وأمّا الوتر فليست من مذهبه. وفيه تكلّف.

←

تسميةٌ للكلّ باسم الجزء. ولا يرد عليه الوتر؛ إذ ليست في مذهبه، ولا صلاة الجنازة ـ و إن جعلت صلاة حقيقة ـ؛ لعدم إطلاق الركعة عليها.

وأمّا ما ذكره صاحب «التفسير الكبير» ـ من أنّها تُثنّى في كلّ ركعة من الصلاة[1] ـ فعجيب. ولك أن تجعل لفظة «مِن» في كلامه بيانيةً، فيكون غرضه الإشارةَ إلى توجيه كلام صاحب «الكشّاف»؛ لكنّه لا يخلو من بُعد. وليس من دأبه في ذلك الكتاب الاقتصارُ على أمثال هذه الإشارات في أمثال هذه المقامات؛ وإنّما ذلك دأب «البيضاوي»[2] و مشربه، و بين المشربَيْن بونٌ بعيد.

[الثالث:] وإمّا لأنّها قد تثنّى نزولها، فمرّة بمكّة حين فرضت الصلاة، وأُخرى بالمدينة حين حوّلت القبلة.

[الرابع:] وإمّا لاشتمال كلٍّ من آياتها السبع على الثناء عليه ـ جلّ شأنه ـ إمّا تصريحاً أو تلويحاً، و هو مبنيّ على ما هو الصحيح من عدّ التسمية آيةً منها، و عدّ ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بعضاً من السابعة، و إلّا فتضمُّنُها الثناءَ غيرُ ظاهر.

[الخامس:] و إمّا لتكرّر ما تضمّنته من المقاصد؛ فالثناء عليه ـ سبحانه ـ قد تكرّر في جملتي «البَسْمَلَة» و «الحَمْدَلَه»، و تخصيصُه ـ عزّوعلا ـ بالإقبال عليه وحدَه والإعراض عمّا سواه قد تكرّر في جملتَي «العبادة» و «الاستعانة»، و طلبُ الهداية إلى الصراط المستقيم مكرّر بـ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ كما أنّ سؤال البُعد

* وأمّا ما يقال ـ من أنّه توجيه لكلامه بما لا يرتضيه؛ لأنّها غير واجبة في الأخيرتين عن الخفية، والعلّامة منهم ـ ففيه أنّ استحبابها فيه كافٍ في هذا التوجيه، كما لا يخفى.

الثاني: أنّ «في» للسببيّة، والمراد أنّها تثنّى في الصلاة بسبب ركعة لا بسبب الركوع والسجود كالطمأنينة، ولا بسبب ركعتين كالتشهّد، ولا بسبب صلاة كالتحريم والتسليم. وبُعْده ظاهر، كما لا يخفى.

والثالث: أنّ «في» بمعنى «مع». والمعنى: تثنّى مع كلّ ركعة. ويفهم منه عرفاً أنّها تثنّى مع كلّ ركعة مثنّاة، كما يقال: «فلان يأكل مع كلّ أحد»، أي: يأكل مع كلّ أحد يأكل معه. وفيه تعسّف». من حاشيته المخطوطة الثانية على تفسير القاضي.

١. «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٨١.

٢. تقدّمت ترجمته في ص ٦٠.

عن الطريق غيرالقويم مكرّر بذكر ﴿المغضوب عليهم﴾ و ﴿الضالّين﴾.

فهذه وجوه خمسة في تسميتها بالسبع المثاني.

[الخامس: الحمد]

و من أسمائها سورة الحمد؛ إمّا لاشتمالها على لفظه، كما هو ملحوظ في أسماء سائر السور، أو لتضمّنها ـ هي، أو كلٌ من آياتها ـ معناه على ما قلناه قُبَيْلَ هذا.

فصل

[في أسماء أُخرى]

هذه الأسماء الخمسة هي أشهر أسماء هذه السورة الكريمة و لها أسماء أُخرى، متفاوتة في الشهرة، أكثرها مستنبط من الحديث:

[الأوّل:] فتسمّى سورةالكنز؛ لما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «نزلت فاتحة الكتاب بمكّة في كَنْز تحت العرش»[1].

[الثاني:] والوافية؛ لأنّها لاتبعّض في الصلاة، بخلاف باقي السور عند كثير من الأُمّة[2].

[الثالث:] والكافية؛ لأنّها تكفي في الصلاة غيرها من السور عند أكثر الأُمّة ولا يكفي غيرها عنها[3]؛ أو لأنّه يترتّب عليها ما يترتّب على غيرها من البركة والفضل وكثيرٍ من الآثار من دون العكس.

وما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أُمُّ القُرآن عوض عن غيرها وليس غيرُها عوضاً عنها»[4] يحتمل الوجهَيْن.

---

١. «أسباب النزول» للواحدي، ص ١٦؛ «كنز العمّال» ج ١، ص ٥٦٠، ح ٢٥٢١.

٢. «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٨٢؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١١٣.

٣. «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٨٢؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١١٣.

٤. «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٨٢؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١١٣؛ «الدرّالمنثور» للسيوطي، ج ١، ص ١٨.

[الرابع:] و تسمّى الشفاءَ والشافيةَ؛ لما روي عنه ﷺ: «فاتحةُ الكتاب شفاءٌ من كُلِّ داءٍ»[١].

[الخامس:] و الأساسَ؛ لما مرّ في تسميتها بالفاتحة؛ ولقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ؛ إنّ لكلّ شيء أساساً ... إلى أن قال: وأساس القرآن الفاتحة[٢].

[السادس:] وتسمّى تعليمَ المسألة؛ لأنّه ـ سبحانه ـ علّم فيها عبادَه آدابَ السؤال من الثناء على المسؤول منه[٣] أوّلاً، ثمّ الإخلاصِ في التوجّه إليه والإعراضِ عمّا سواه، ثمّ عرضِ الحاجة عليه.

[السابع:] و تسمّى سورةَ الصلاة، والصلاةَ أيضاً؛ لوجوب قرائتها فيها؛ و لما روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «قالَ الله ـ عزّ وجلّ[٤] ـ: قَسَّمْتُ الصّلاةَ بَيْني و بَيْنَ عَبْدي نِصْفَيْنِ ...»[٥]. والمراد بها الفاتحة، كما يظهر من تتمّة الحديث.

١. «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٨؛ «سنن الدارمي» ج ٢، ص ٥٣٨، ح ٣٣٧٠؛ «كنز العمّال» ج ١، ص ٥٥٧، ح ٢٥٠٠.

٢. «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١١٣.

٣. في «ق»: «عنه».

٤. في «ق»: «تعالى»، كما في مجمع البيان.

٥. «عيون أخبار الرضا ﷺ» ج ١، ص ٢٦٩، الباب ٢٨، ح ٥٩؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٨؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١١١، «الدرّ المنثور» ج ١، ص ١٨.

[فصل]

[بحث في النزول]

وقد اختلفوا في أنّها مكّيّة أو مدنيّة؟ والأوّل هو المرويّ عن ابن‌عبّاس[1] ـ رضي الله عنهما ـ. وقد يستدلّ عليه بقوله ـ عزّ وعلا ـ في سورة الحِجْر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾[2]، وهي مكّيّة بنصّ جماعة من السلف[3].

وأمّا ما روي ـ من أنّ السبع المثاني هي السبع[4] الطُّوَل[5] ـ فلا ينهض بمعارضة[6] الروايات الدالّة على أنّها الفاتحة[7]؛ لكنّ التعبير عن المستقبل المتحقَّق الوقوع بالماضي

١. «أسباب النزول» للواحدي، ص ١٦؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١١٥.

٢. الحجر (١٥): ٨٧.

٣. «أسباب النزول» للواحدي، ص ١٦؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٨٣.

٤. في هامش «ق» و «ش»: «قوله: هي السبع الطول. الطُّوَل ـ بضمّ الطاء و فتح الواو ـ جمع طولى سوّيت أطول، والمراد بها سورة البقرة، و آل عمران، والنساء، والسائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع التوبة؛ لأنّها في حكم السورة الواحدة؛ لنزولها معاً ولذلك سمّيتا القرينتَيْن، وذهب بعضهم إلى أنّ السابعة سورة يونس». (منه ﷺ).
وكذا في «د» مع تفاوت يسير بأنّ في آخره هذه العبارة: «لنزولهما معاً، و تسمّيان القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة ...». (منه ﷺ).

٥. «سنن النسائي» ج ٢، ص ١٤٠؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١٠، ص ٥٤ ـ ٥٥، ذيل تفسير الآية ٨٧ من سورة الحجر.
وفي «م»: «السبع الطوال».

٦. في «ع» و «س» و «د»: «لمعارضة».

٧. «سنن الترمذي» ج ٥، ص ٢٩٧، ح ٣١٢٤ ـ ٣١٢٥؛ «سنن النسائي» ج ٢، ص ١٣٩؛ «تفسير العيّاشي» ج ١، ص ٣٦، ح ١٧؛ «التبيان» ج ١، ص ٢٠؛ «مجمع البيان» ج ٦، ص ١٢٩، ذيل تفسير الآية ٨٧ من سورة الحجر.

شائع في القرآن المجيد؛ فالأولى الاستدلال بما شاع و ذاع من أنّ الصلاة فُرضت بمكّةَ، و لم ينقل إلينا صلاة خالية عن الفاتحة مع توفّر الدواعي إلى نقل أمثال ذلك.

والقُول بأنّها مدنيّة منسوبٌ إلى مجاهد[١]. وهو متروك.

وقيل: إنّها مكّيّة مدنيّة؛ لنزولها في كلٍّ من الحرمين الشريفَيْن[٢]، كما مرّ.

وقد يُزيَّف بأنّ النزول ليس إلّا الظهور من عالَم الغيب إلى عالَم الشهادة، وهذا ممّا لايقبل التكرّر.

ودفعُه ظاهرٌ على منْ عرف حقيقةَ الوحي. والله سبحانه أعلمُ بحقائق الأُمور.

١. «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٨٣؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١١٥.

٢. «الكشّاف» ج ١، ص ٢٣؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٨٤؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٧.

﴿بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾

[بحث في البسملة]

أطبق الأُمّة على أنّها بعض آية من القرآن[1]، ولكن طال تشاجر هم في شأنها أوائلَ السور الكريمة، المصدَّرة بها في المصاحف المجيدة هل هي هناك جزء من كلٍّ واحدة من تلك السور، سواء الفاتحة و غيرها؟ أو أنّها جزء من الفاتحة وحدَها لا غير؟ أو أنّها ليست جزئاً من شيء منها؛ بل هي آية فَذّة من القرآن، أُنزلت للفصل بها بين السور؟ أو أنّها لم تنزل إلّا بعضَ آية في سورة النمل، و ليست جزئاً من غيرها و إنّما يأتي بها التالي والكاتب في أوائل السور تبرّكاً و تيمّناً باسمه ـ جلّ وعلا ـ؟ أو أنّها آيات من القرآن أُنزلت بعدد السور المصدّرة بها من غير أن يكون شيء منها جزءاً لشيء منها؟.

والقول الأوّل[2] هو مذهب أصحابنا ـ رضي الله عنهم[3] ـ و قد وردت به الروايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام[4] وعليه فقهاء مكّة والكوفة وقُرّاؤهما ـ سوى حمزة[5] ـ

١. انظر «التبيان» ج ١، ص ٢٤؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٠؛ «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ٥.

٢. القول بأنّ البسملة جزءٌ من كلّ واحدة من السور.

٣. «التبيان» ج ١، ص ٢٤؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٠.

٤. «تفسير العيّاشي» ج ١، ص ٣٣، ح ٥ و ص ٣٥، ح ١٢؛ «تهذيب الأحكام» ج ٢، ص ٢٨٩، ح ١١٥٧، باب كيفيّة الصلاة، ح ١٣.

٥. في هامش «م» و «ش» و«د» و «ع»: «في استثناء حمزة تعريض بالبيضاوي». (منه ﷺ).

ووافقهم سعيد بن جُبَيْر والزُّهري وابن المبارك و قالون من قرّاء المدينة[١]، وبه قال أكثر الشافعيّة[٢].

والقول الثاني[٣] هو المختار عند القليل منهم[٤].

والقول الثالث[٥] هو الراجح عند متأخّري فقهاء[٦] الحنفيّة و إن كان المشهور بين جماهير قدمائهم هو القول الرابع[٧]، وهو الذي قال به قرّاء البصرة والشام والمدينة إلّا قالون[٨]، وعليه فقهاء هذه الأمصار، كـ«مالك» و «الأوزاعي»، ووافقهم حمزةُ من قرّاء الكوفة[٩].

وقال بعض المتأخّرين: إنّ أبا حنيفةَ لم ينصّ في البسملة بشيء، لكن لمّاكان كوفيّاً و قد نصّ الكوفيّون على جزئيّتها دونه، ظنَّ أنّها ليست من السورة عنده[١٠].

ولا يخفى أنّ عدم نصّه فيها لا يدلّ على ما ظنَّ، بشيء من الدلالات؛ لاحتمال توقّفه في أمرها.

١. «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ٢٠١؛ «الكشّاف» ج ١، ص ٢٥؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ٩٣ و ٩٦؛ «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، ج ١، ص ١٧؛ «تفسير أبي السعود» ج ١، ص ٨.

٢. حكاه عنهم الزمخشري في «الكشّاف» ج ١، ص ٢٥؛ والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ج ١، ص ٩٣.

٣. القول بأنّ البسملة جزءٌ من سورة الفاتحة لا غير.

٤. «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ٩٦؛ «حاشية السيّد الشريف الجرجاني على الكشّاف» ج ١، ص ٢٥.

٥. القول بأنّ البسملة ليست جزءاً بل هي آية فذّة أُنزلت للفصل بين السور.

٦. «الكشّاف» ج ١، ص ٢٤ ـ ٢٥؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ٢٠٢؛ «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، ج ١، ص ١٧؛ «تفسير أبي السعود» ج ١، ص ٨.

٧. القول بأنّ البسملة لم تنزل إلّا بعض آية في سورة النمل.

٨. «حاشية السيّد الشريف الجرجاني على الكشّاف» ج ١، ص ٢٥؛ «حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي» ج ١، ص ١٣؛ «النشر في القراءات العشر» ج ١، ص ٢٧١.

وفي هامش «م» و «ع» و «ش» و «د»: «في استثناء قالون تعريضٌ بالبيضاوي». (منه ﷺ).

٩. «الكشّاف» ج ١، ص ٢٤؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ٢٠٠.

١٠. «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ٥؛ «حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي» ج ١، ص ١٣.

وأمّا القول الخامس:[1] فقد نسبه صاحب «النشر» إلى أحمدَ وداود[2]. فلا عبرة بما قيل من أنّه مجرّد احتمالٍ لم يقل به أحد[3].

لنا: ماروي عن أُمّ سَلَمةَ ـ رضي الله عنها ـ عن النبيّ ﷺ أنّه قرأ سورة الفاتحة[4]، و عدّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * الحمدلله ربّ العالمين﴾ آية[5]، وما روي أنّه ﷺ قال: «فاتحة الكتاب سبع آيات، أُولاهنّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾»[6].

ولاختلاف ظاهر هذين الحديثَيْنِ اختُلف في أنّها آية برأسها أم مع ما بعدها؟

وأمّا الجمع بينهما ـ بأنّ الثانيَ من قبيل قولنا: أوّل البروج الدرجة الأُولى من الحَمَل، و أوّل آيات الفاتحة حرف الباء ـ فهو كما ترى.

وبعضهم روى حديثَ أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ بوجهٍ لا يخالف هذا الحديثَ، هكذا قالت: قرأ رسول الله ﷺ الفاتحةَ، فعدّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ آية، ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾ آية، ﴿الرحمن الرحيم﴾ آية، ﴿مالك يوم الدين﴾ آية، ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾ آية، ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ آية، ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين﴾[7] آية.

١. القول بأنّ البسملة في أوائل السور آياتٌ من القرآن بعدد السُوَر المصدَّرة بها من دون جزئيّتها لشيء منها.
وفي هامش «ع»: «هذا تعريضٌ للمولى الفاضل أبي السعود؛ حيث قال: إنّه لم يقل بذلك أحد».

٢. «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، ج ١، ص ١٧؛ «النشر في القراءات العشر» ج ١، ص ٢٧٠.

٣. «تفسير أبي السعود» ج ١، ص ٨، و فيه بعد ذكر القول الخامس يقول: «وهذا القول غير مُعزى في الكتب إلى أحد».

٤. في «س»: «فاتحة الكتاب».

٥. «سنن الدارقطني» ج ١، ص ٣٠٧، ح ٢١؛ «سنن البيهقي» ج ٢، ص ٦٦، ح ٢٣٨٥، نحوه؛ «الدرّ المنثور» ج ١، ص ٣ و ٧.

٦. «سنن البيهقي» ج ٢، ص ٦٧، ح ٢٣٨٩، نحوه؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ٢٠١، موافق للمتن؛ «الدّر المنثور» ج ١، ص ٨.

٧. «سنن الدارقطني» ج ١، ص ٣١٢، ح ٣٧، نحوه؛ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ٢٠١، موافق للمتن. وفي هامش «ع»: «إن قلتَ: هذه الروايات إنّما تدلّ على وجوب قراءة البسملة مع السورة، و أنّ كونها جزءاً منها لا دلالة فيها على ذلك.

←

ولنا أيضاً ما رواه[١] أصحابنا في الصحيح عن محمّد بن مسلم، قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن السبع المثاني و القرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال: «نعم». قلت: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ من السبع؟ قال: «نعم، هي أفضلهنّ»[٢].

وما رووه[٣] أيضاً من أنّ يحيى بن عمران الهمداني، كتب إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يسأله عن مصلٍّ قرأ البسملة في الفاتحة، فلمّا صار إلى السورة، ترك البسملة، فكتب عليه السلام بخطّه: «يُعيدها»[٤].

وأمّا[٥] الاستدلال على هذا المطلب، بالرواية عن ابن عبّاس رضي الله عنه[٦] أنّه قال ـ حين ترك الناس البسملةَ في أوائل السور ـ: مَن تركها فقد ترك مائةَ وأربعَ عشْرةَ آية من كتاب الله[٧]. ففيه ما فيه؛ لأنّها إنّما تدلّ على بطلان القول الثاني والثالث والرابع، لا على الأوّل؛ لانطباقها على الخامس[٨]، على أنّ في متنها خَلَلاً يبعد صدور مثله

← قلتُ: كلّ من قال بوجوب قراءة البسملة مع السورة، قال: إنّها جزء منها. فالقولُ بالأوّل دون الثاني خرقٌ للإجماع المركّب». (منه قدس سره).

١. عطف على قوله: «لنا ما روي عن أُمّ سلمة ...».

٢. «تهذيب الأحكام» ج ٢، ص ٢٨٩، ح ١١٥٧، باب كيفيّة الصلاة، ح ١٣.

٣. في هامش «م» و «ق» و «ع»: «إن قلتَ: هذه الروايات إنّما تدلّ على وجوب قراءة البسملة مع السورة، والمطلوب كونها جزءاً منها، ولا دلالة فيها على ذلك.

قلتُ: كلّ من قال بوجوب قراءة البسملة مع السورة قال: إنّها جزء منها. فالقول بالأوّل دون الثاني خرقٌ للإجماع المركّب». (منه قدس سره).

٤. «تهذيب الأحكام» ج ٢، ص ٦٩، ح ٢٥٢، باب كيفية الصلاة، ح ٢٠؛ «الاستبصار» ج ١، ص ٣١١، ح ١١٥٦، باب الجهر ببسم الله ...، ح ٣.

وإليك نصّ الحديث: عن يحيى بن عمران أبي عمران الهمداني قال: كتبتُ إلى أبي جعفر عليه السلام: جعلتُ فداك، ما تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أمّ الكتاب. فلمّا صار إلى غير أمّ الكتاب من السورة تركها، فقال العيّاشي: ليس بذلك بأس؛ فكتب بخطّه: «يعيدها» مرّتين على رغم أنفه، يعني العيّاشي.

٥. في النسخ المخطوطة: «فصل».

٦. في «ق» و «س»: «عنهما».

٧. الكشّاف» ج ١، ص ٢٦.

٨. في هامش «ع»: «أي: لأنّها كما ينطبق على الأوّل ينطبق على الخامس. ولا دلالة للعامّ على الخاصّ». (منه قدس سره).

عن مثله؛ لخلوّ «برائة» عن التسمية، فالصواب ثلاث عشرةَ آية.

وإصلاحه بأنّه يرى تصديرَها بها، أو نزولَ الفاتحة مرّتين، أو أنّه ألحق المعدومَ بالمتروك تغليباً وتوبيخاً[1]، أو أنّ غرضَه تركُها مطلقاً حتّى من «النمل»، وجعْلُ المتروك منها آيةً إمّا تجوّز، أو لاستلزام ترك البعض تركَ الكلّ، تعسّفٌ؛ إذ لو كان رأيه ذلك لَنقل، كما نقل سائر آرائه في أمثال ذلك؛ و التغليب يُسقط الاستدلال؛ لاحتماله في أكثر من واحدة؛ و جعْلُ ما لا شُنْعةَ فيه جزئاً من التشنيع شنيعٌ.

والكلام إنّما هو في أوائل السور، فإقحام غيرها ـ مع أنّها لم تترك ـ فيه لغو لايليق بمثله.

وأمّا الاستدلال[2] بالإجماع على أنّ مابين الدّفّتين كلام الله ـ جلّ وعلا[3] ـ، وباتّفاق الأُمّة على إثباتها في المصاحف مع مبالغتهم في تجريد القرآن، فنِعْمَ الاستدلال على أنّها من القرآن، لا على ما هو المدّعى من جزئيّتها للسور المصدَّرة بها.

[بحث في القراءة]

ثمّ في هذا المقام بحث[4] يَحسن التنبيه عليه، و هو أنّه لا خلاف بين فقهائنا ـ رضوان الله عليهم ـ في أنّ كلّ ماتواتر من القراءات تجوز القراءة به في الصلاة[5]،

١. في هامش «م» و «ع»: «فكان ابن عبّاس ﷺ يقول لهم: إنّ الله ـ سبحانه ـ تركها في سورة واحدة و هي سورة براءة. وأنتم تتركونها في مائة وأربع عشرة سورة». (منه ﷺ).

٢. في هامش «م» و «ع» و «ش» و «ق»: «فيه تعريضٌ بالقاضي البيضاوي: فإنّه استدلّ على ذلك بهذين الأمرين». (منه ﷺ).

٣. في «ق»: «جلّ شأنه».

٤. في هامش «م» و «ع» و «ش»: «هذا البحث من خواصّ هذا الكتاب». (منه ﷺ).

٥. في «مجمع البيان» ج ١، ص ٣٨، قال: «فاعلم أنّ الظاهر من مذهب الإماميّة أنّهم أجمعوا على جواز القراءة بما تداولته القرّاء بينهم من القراءات، إلّا أنّهم اختاروا القراءة بما جاز بين القرّاء، وكرهوا تجريد قراءة مفردة، والشائع في أخبارهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد». ذيل الفنّ الثاني: في ذكر أسامي القرّاء....

ولم يفرّقوا بين تخالفها في الصفات، أو في إثبات بعض الحروف والكلمات، كـ«مَلك» و «مالك»، و قوله تعالى: ﴿تجرى مِن تحتها الأنهارُ﴾[1] بإثبات لفظة «من» و تركها[2]، فالمكلّف مخيّر في الصلاة بين الترك والإثبات؛ إذ كلٌّ منهما متواتر، و هذا يقتضي الحكم بصحّة صلاة من ترك البسملة أيضاً؛ لأنّه قد قرأ بالمتواتر من قراءة حمزةَ و أبي عمرو ابن عامر وورش عن نافع؛ وقد حكموا ببطلان صلاته[3].

فقد تناقض الحُكْمان، فإمّا أن يصارَ إلى القدح في تواتر الترك، و هو كما ترى؛ أو يقالَ بعدم كلّيّة تلك القضيّة ـ و إن عقدوها كلّية ـ و يُجعلَ حكمُهم هذا تنبيهاً[4] على تطرّق الاستثناء، فكأنّهم قالوا: كلّ ما تواتر تجوز القراءة به في الصلاة إلّا ترك البسملة قبل السورة، و لعلّ هذا أهونُ. وللكلام في هذا المقام مجال واسع. والله أعلم.

١. التوبة (٩): ٧٢، ٨٩.

٢. في هامش «ع» و «ق» و «ش»: «هذه الآية في سورة التوبة، قرأ ابن كثير بإثبات لفظة «من» وباقي القرّاء السبع بتركها». (منه ﷺ).

٣. انظر «التبيان» ج ١، ص ٢٤؛ و «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٠؛ و «روح المعاني» ج ١، ص ٤٠.

٤. في «ق» و «س»: «منبّهاً».

فصل

[في باء البسملة]

«الباء» إمّا للاستعانة أو المصاحبة، و ربما رُجِّحت الأُولى بكونها أوفقَ بقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و بأنّ جعْل الاسم الكريم ذريعةً يتوصّل بها إلى الفعل يشعر بزيادة مدخليّته فيه، حتّى كأنّه لايتأتّى ولا يوجد بدونه، والمصاحبة عَرِيَّةٌ عن ذلك الإشعار.

والتبرّك الذي ربما يتراءى معهما مشتركٌ؛ إذ ليس معنى لشيء منهما ولا لازماً له وإنّما نشأ من خصوص المادّة؛ فإنّ ذكر اسمه ـ سبحانه ـ مثمر للبركة على أيّ نحو جرى؛ والسورة بجملتها مقولة على ألسنة العباد؛ إرشاداً لهم إلى طريق التبرّك بأسمائه، والحمدِ على نعمائه، والإخلاصِ في الإقبال عليه، وسؤالِ الهداية من لديه.

وأمّا متعلّق الباء فلك إضماره خاصّاً و عامّاً، فعلاً واسماً، مؤخّراً و مقدَّماً، ولعلّ أولى هذه الثمانية، أوّلها، أعني: الخاصَّ الفعليّ المؤخَّر، فالتقدير: «بسم الله أقرأ»[1] لا أبدأ؛ لأنّ الفعل ـ الذي تلا البسملة و بدأ القارئ بها فيه ـ قراءة.

ولوروده خاصّاً عند الذكر في قوله تعالى: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[2]، فكذلك عند

١. في هامش «م» و «ع»: «المراد «أقرأ» و ما في معناه كأتلو ـ مثلاً ـ، وقس عليه «أبدأ» وما في معناه كأشرع». (منه ﷺ).

٢. العلق (٩٦): ١.

الحذف؛ إذ القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً. و في الحديث: أنّ النبيّ ﷺ أمر من أوى إلى فراشه أن يقول: «بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ»[١]. و في حديث أبي ذرٍّ وحذيفةَ ـ رضي الله عنهما ـ أنّه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه، يقول: «باسمك اللهُمَّ أحيا وأمُوتُ»[٢].

و لأنّ ما يدلّ على ملابسة الاسم الأقدس لمطلق القراءة أولى ممّا هو صريح في التقييد بابتدائها، كيف؟ والأحقّ بأن يقصد بالبسملة الاستعانةُ عليه هو القراءة بجملتها؛ لتقع بأجمعها على الوجه اللائق من حضور القلب و عدم اشتغاله في أثنائها بغير الإقبال على الحقّ جلّ شأنه.

وما قيل من اقتضاء إضمار «أبدأ» العملَ بحديث[٣] الابتداء لفظاً و معنى، و إفضاء تقديرِ «أقرأ» إلى رفض العمل به لفظاً[٤] فممّا لا يستحقّ في مثل هذه المقامات الإصغاءَ إليه، فضلاً عن التعويل عليه[٥].

وأمّا إيثاره على «قرائتي»[٦]؛ فلزيادة التقدير حينئذٍ ضرورة إضمار الخبر[٧]؛ إذ تعلُّق الظرف بها يمنع جعلَه خبراً لها؛ على أنّ تقدير الفاعل بارزاً ليس

١. «صحيح البخاري» ج ٨، ص ٨٧، كتاب الدعوات، باب التعوّذ والقراءة عند النوم، ح ٥٩٦١.

٢. «صحيح البخاري» ج ٨، ص ٨٨، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، ح ٥٩٦٥ و ٥٩٦٦؛ «بحارالأنوار» ج ٧٣، ص ٢١٨، باب القراءة والدعاء عند النوم، ح ٢٥.

٣. «التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام» ص ٢٥؛ «الكشّاف» ج ١، ص ٣١؛ «كنز العمّال» ج ١، ص ٥٥٥، الباب السابع، الفصل الثاني، ح ٢٤٩١.

٤. هذا القول منسوب إلى الخسرو الروسي كما نقل الآلوسي في «روح المعاني» ج ١، ص ٤٩.

٥. في هامش «ق» و «ع» و «ش»: «أمّا أوّلاً: فلأنّ المحافظة على موافقة لفظ الحديث إنّما يليق أن تُجعل نكتةً في كلام المصنّفين ومن ينخرط في سلكهم لا في كلام الله ـ تعالى شأنه ـ كما لا يخفى على من له طبع سليم.
وأمّا ثانياً: فلأنّ البحث إنّما هو في ترجيح تقدير الفعل الخاصّ كـ«أقرأ» و«أتلو» وما في معناهما على تقدير الفعل العام كـ«أبدأ» و«أشرع» وما شاكلهما، كما يقتضيه استدلالهم الأوّل والثالث، لا في ترجيح تقدير خصوص «أقرأ» أعني فعلاً مصدره القراءة على خصوص «أبدأ» أعني فعلاً مصدره البداءة.
والحاصل أنّ هذه النكتة كما أنّ فيها خروجاً عن قانون الأدب، ففيها خروج عن موضع النزاع أيضاً». (منه عفي عنه).

٦. أي «بسم الله قراءتي».

٧. في هامش «ع» و «ش»: «فالتقدير: قراءتي حاصلة بسم الله». (منه عفي عنه).

كتقديره مستتراً[١].

وأمّا تأخير العامل؛ فلما فيه من تقديم ما هو الحقيق بالتعظيم؛ ولاقتضائه قصرَ الاستعانة و التبرّكِ على اسمه ـ جلّ وعلا[٢] ـ قصراً حقيقيّاً أو إضافيّاً قلبيّاً؛ ردّاً على المشركين في قولهم: «باسم اللات و العُزّى»[٣]؛ وليُوافق تقديم الاسم الكريم على ما تلاه تقدّم مسمّاه على ما سواه.

وكان من حقّ الباء أن تُفتح؛ وفاقاً لسائر أخواتها من التاء والكاف والواو والفاء وغيرها من حروف المعاني[٤] التي لمّا كثُر الابتداء بها ـ و قد مُنع إفرادها ورفضهم الابتداءَ بالساكن من سكونها الذي هوالأصل في المبنيّات ـ عوّضوها عنه بالفتحة التي هي أُخته في الخفّة، و إنّما كسروها؛ لانفرادها من بينهنّ بلزوم الحرفيّة والجرّ، فحرّكوها بالكسرة المناسبة للسكون الذي هو حِلْية الحروف، مناسبةَ القلّة للعدم[٥]؛ ولتكون حركتها موافقة لأثرها، كما كسروا لامَ الأمر ولامَ الجرّ داخلةً على مُظْهَر؛ لتمتاز عن لام الابتداء فيما لايظهر فيه أثر العامل كالمبنيّ و التقديريّ والموقوف عليه، ولم يَخْشَوا التباسَ اللّامين الأوّلَيْن؛ لتمايز مدخولَيْهما بالفعليّة والاسميّة، ولاالأخيرَيْن حالَ الدخول على مضمر؛ للتمايز بالاتّصال والانفصال.

وأمّا كسر الجارّة لـ«ياء» المتكلّم؛ فللتناسب، كما أنّ فتح لام المستغاث للتميّز عن المستغاث له؛ مع أنّ وقوعه موقع كاف «أدعوك» قد صيّره في حكم المضمر.

١. في هامش «ع» و «ش» و «ق»: «أي إنّ تقدير قراءتي يقتضي تقدير فاعل بارز وهو ياء المتكلّم، وتقدير «أقرأ» إنّما يقتضي تقديره مستتراً استتاراً واجباً؛ إذ استتار الفاعل في المضارع المبدوء بالهمزة واجب». (منه ﷺ).

٢. في «ق»: «جلّ شأنه».

٣. حكاه ـ عنهم ـ الزمخشري في «الكشّاف» ج ١، ص ٢٩، حيث قال: «لأنّهم كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم، فيقولون: باسم اللات، باسم العزّى، فوجب أن يقصد الموحِّد معنى اختصاص اسم الله ـ عزّوجلّ ـ بالابتداء».

٤. قال السيّد الشريف الجرجاني: «حروف المعاني: ما يقابل الأسماء والأفعال، فإنّها موضوعة للمعاني، وأمّا الألفاظ المبسوطة التي يتركّب منها الكلم فتسمّى حروف المباني». لاحظ «حاشيته على الكشّاف» ج ١، ص ٣٢.

٥. قال السيّد الشريف الجرجاني: «والكسر بمنزلة العدم؛ لقلّته؛ إذ لا يوجد في الأفعال ولا في غير المنصرف من الأسماء ولا في الحروف إلّا على الندرة». لاحظ «حاشيته على الكشّاف» ج ١، ص ٣٣.

فصل

[في معنى الاسم]

الاسم عند البصريّين من الأسماء المحذوفة الأعجاز، المسكَّنةِ الأوائل؛ تخفيفاً لكثرة الاستعمال، المبدوءة حالَ الابتداء بهمزة الوصل؛ جرياً على ما هو دَأبهم من الابتداء بالمتحرّك، فقرنوها بما يَثبت في الابتداء و يسقط في الوصل؛ قضاءً لحقّ العادة والأصل.

واشتقاقه من السموّ؛ لأنّه رفعةٌ للمسمّى و أصله سِمْو كـنِصْف وعُـضْو. وعـند الكوفيّين من «السِمَة»، وأصله «وَسْم»، فعوّضوا عن الواو همزة وصلٍ، فلم يكـثر إعلاله بحذف لامه وإسكان فائه.

ويشهد للأوّل اطّراد تـصريفه ـ جـمعاً وتـصغيراً ونـحوهما ـ عـلى «أسـماء» و«سُميّ» و «سَمَّيْتُ»؛ دون أوسام و وُسَيْم ووَسَّمْتُ. والقلبُ ـ مع بُعده ـ لايطّرد.

و أمّا ورود سُمَّى ـ كهُدًى ـ في قوله:

واللهُ أسماك سُـمَىً مـباركاً[1] [آثـرك اللـه بـه تـباركاً][2]

فلا ينهض شاهداً؛ لمجيء سُمُ ـ بالضمّ ـ في قوله:

«بسم الذي في كلّ سورة سُمُه»[3].

١. مابين المعقوفتين أضفناه من نسخة «ق».

٢. انظر «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١٠٠.

٣. حكاه الزمخشري في «الكشّاف» ج ١، ص ٣٤؛ والطبرسي في «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٠.

فلعلّه هو الوارد هناك أيضاً، فإعرابه حينئذٍ ظاهر لا مقدَّر.

ويرد على الثاني أنّ المعهود في كلامهم تعويض الهمزة عن العَجُز كـ«ابن» ونظائره، لا عن الصدر؛ بل المعهود التعويض عنه بالهاء كالزِنَة والعِدَة ونحوهما.

[هذا][1] و قد اشتهر الخلاف في أنّ الاسم هل هو غير المسمّى أو عينه؟ ونُسب الأوّل إلى المعتزلة، والثاني إلى الأشاعرة، وتحيّر النحارير[2] في تحرير محلّ البحث بحيث يصير قابلاً للنزاع حتّى قال بعضهم: إنّ البحث فيه عبث[3]؛ و هو كذلك بحسب الظاهر؛ فإنّه إن أُريد اللفظُ فلامِرْية في أنّه غير المسمّى؛ إذ لايشكّ عاقل في أنّ لفظَ «فرس» مثلاً، غير الحيوان الصاهل، ولفظَ «النارِ» غير الجسم المحرق، ولا حاجة فيه إلى الاستدلال[4] بتألّف الاسم من أصوات غير قارّة، و اختلافِه باختلاف الأُمم، و تعدّدِه تارة و اتّحادِه أُخرى، بخلاف المسمّى.

و إن أُريد ذات الشيء ـ كما في قولنا: «الفرس مركوب» مثلاً ـ كان عبارةً عن المسمّى.

وإن أُريد به الصفة ـ كما هو رأي الأشعري[5] ـ انقسم انقسامها عنده إلى ما هو عين المسمّى كـ«الموجود» و إلى ما هو غيره كـ«الخالق»، و إلى ما ليس هو ولا غيره كـ«العالم».

و قد يقال: إنّه كما قد يعلم أنّ مراد اللافظ من الاسم اللفظ تارة والمسمّى أُخرى، نحو «زيد كلمة» و «عمرو متكلّم» فقد لايعلم إرادة أحدهما بخصوصه، نحو «أحمدُ

١. مابين المعقوفتين أضفناه من نسخة «ق».

٢. «النحارير، جمع النحرير: الحاذق الماهر، العاقل المجرّب، الفطن البصير في كلّ شيء» («لسان العرب» ج ٥، ص ١٩٧ «نحر»).

٣. «التفسير الكبير» ج ١، ص ١١٦، وفيه قال: «فثبت أنّ الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث».

٤. في هامش «ق» و «ش»: «فيه تعريضٌ بالقاضي البيضاوي؛ فإنّه استدلّ بذلك». (منه ﷺ).

٥. «روح المعاني» ج ١، ص ٥٢.

مبارك» و «خالد منصرف» و «خسرو أعجميّ» عند عدم قرينة حاليّة أو مقاليّة معيّنةٍ للمراد. و حينئذٍ، فهل يُحمل الاسم على اللفظ، أو على المسمّى؟ فهذا هو محلّ النزاع بين الفريقين. وهو كما ترى.

وأمّا قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾[1]، ووقوعُ النكاح والطلاق بالحمل على الأسماء فلا يدلّان على العينيّة؛ لوجوب تنزيه أسمائه ـ جلّ وعلا ـ عن الرَفَث وسوء الأدب واحتمالِ الإقحام ـ كما في قول لُبَيد:

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلام عَلَيكُما[2] .....

وقيامِ القرينة الصارفة. وإدخالُ «الباء» على الاسم دون لفظ الجلالة؛ للإشعار بأنّه كما يستعان بذاته ـ سبحانه ـ كما قال ـ جلّ شأنه ـ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] كذلك يستعان بذكر اسمه المقدّس؛ ولما في قولنا: «بالله الرحمن الرحيم» من إيهام قصر الاستعانة والتبرّك على هذه الأسماء؛ ولأنّ الشائع في الاستعانة على سبيل التبرّك أن تكون بأسمائه ـ تعالى ـ لا بذاته سبحانه؛ ولأنّه أوفق بالردّ على المشركين في قولهم: «باسم اللات والعزّى»[4].

وأمّا التعليل بالفرق بين اليمين والتيمّن[5]، فهو كما ترى.

١. الأعلى (٨٧): ١.

٢. حكاه عنه الطوسي في «التبيان» ج ١، ص ٢٥؛ والطبرسي في «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٣.

وفي هامش «د»: «[والبيت] للبيد يخاطب ابنتَيه في وقت وفاته، وكان عمره مائة وخمساً و أربعين سنة. وقبله:

تمنّى ابـنتاي أن يـعيش أبـوهما ... وهل أنـا إلّا مـن رَبيعَةَ أو مُـضَرْ

فَقُوما وقُولا بـالذي قـد عَـلِمْتُما ... ولا تَخْبِشا وَجهاً ولا تَحلِقا شَـعَرْ

وقُولا هـو المَـرْءُ الذي لا خَـلِيلَهُ ... أضـاعَ ولا خـانَ [...] ولا غَـدَرْ

إلى الحَولِ ثمّ اسمُ السّلامِ عليكُما ... ومن يَبكِ حولاً كاملاً فقد اعْـتَذَرْ

٣. الفاتحة (١): ٥.

٤. حكاه عنهم الزمخشري في «الكشّاف» ج ١، ص ٢٩.

٥. قال السيّد الشريف الجرجاني: «فإن قلت: ما فائدة اسم، وهلّا قيل: بالله الرحمن الرحيم؟

قلتُ: فائدته الفرق بين التيمّن واليمين؛ وذلك لأنّ التيمّن باسم الله لا بذاته، وكذا اسمه يجعل آلة للفعل لا ذاته، بخلاف اليمين؛ فإنّ الحلف به لا بأسمائه التي هي ألفاظ». لاحظ «حاشيته على الكشّاف» ج ١، ص ٣١.

ولم يكتبوا الألف ـ على ما هو الرسم ـ؛ لكثرة كتابة «بسم الله»، فناسبها التخفيفُ؛ بخلاف قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1].

١. الواقعة (٥٦): ٧٤، ٩٦؛ الحاقّة (٦٩): ٥٢.

فصل

[في لفظ الجلالة]

قد اختلف كلام أهل الكمال، وتشعّبت المذاهب و الأقوال في لفظ الجلالة المقدّسة، كما اضطربت الأنظار والآراء، وتاهت[1] أفكار العقلاء في مدلولها المحتجبِ بأنوار العظمة و الجلال، عن خفافيش الوهم و الخيال، فكأنّه قد انعكس بعض أشعّة المعنى على اللفظ، فبهرت أبصار المتطلّعين إلى طريقه، وتَلَجْلَجَتْ[2] ألسنتهم عند بيانه و تحقيقه.

فقيل: هو لفظ عِبْريّ[3].

وقيل: سريانيّ و أصله «لاها»[4]، فُعرِّب بحذف الألف الأخيرة و إدخال الألف و اللام عليه.

وقيل: بل هوعربيّ و أصله «إله»، حذفت الهمزة و عوِّض عنها الألف واللام[5]، ومن ثَمّ لم يسقطا حالَ النداء، ولاوصلت؛ تحاشياً عن حذف العوض أو جزئه، وخصّ القطع به؛ لتمحّضها حينئذ في العوضية تحرّزاً عن اجتماع أداتي التعريف.

١. «تاهَ، يتيه، تَيْهاً و تَيهاناً. تاهَتْ: تَحيَّرتْ» («لسان العرب»، ج ١٣، ص ٤٨٢، «تيه»).
٢. «لَجْلَجَ، تَلَجْلَجَ. واللَّجْلَجَةُ: ثِقْلُ اللسان ونَقْصُ الكلام» («لسان العرب» ج ٢، ص ٥٥٣، «لجج»).
٣. حكاه ـ عن البلخي ـ الرازي في «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٩؛ «روح المعاني» ج ١، ص ٥٦.
٤. لاحظ «روح المعاني» ج ١، ص ٥٦؛ و «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٦٩.
٥. حكاه ـ عن الخليل وسيبويه ـ الآلوسي في «روح المعاني» ج ١، ص ٥٧.

وقيل: بل حذفها مقيس على تخفيفها، فالتعويض من خواصّ الاسم المقدّس، و هو في الأصل اسم جنس يقع على كلّ معبود، ثمّ غلب على المعبود بالحقّ[1].

وأمّا لفظ الجلالة المقدّسة، فلم يطلق إلّا على المعبود بالحقّ تعالى وتقدّس. ثمّ اختُلف في اشتقاق الإله:

فقيل: من «أَلَه» كعَبَدَ وَزْناً و معنىً، إلاهَة كعِبادة وأُلوهَة وأُلوهِيَّة -بالضمّ-، و هو بمعنى المألوه، كالكتاب بمعنى المكتوب[2].

وقيل: من أَلِه - بالكسر- فقيل: هو بمعنى «تحيّر»؛ لتحيّر العقول فيه[3].

وقيل: بمعنى «سَكَن»؛ لأنّ الأرواح تسكن إليه، و القلوب تطمئنّ بذكره[4].

وقيل: بمعنى «فَزِع من أمرٍ نزل عليه»، ومنه أَلَهه غيرُه إذا أزال فزعه و أجاره؛ لأنّ العابد يفزع إليه و هو يُجيره في الواقع أو في زعمه الباطل[5].

وقيل: بمعنى «أولع»؛ إذ العباد مولَعون بذكره والتضرّع إليه[6].

وقيل: من «وَلِهَ» - بالكسر - إذا تحيّر و تخبّط عقلُه، و كان أصله «وِلاه» فقلبت الواو همزة؛ لثِقل كسرتها[7].

وقيل: أصل لفظ الجلالة «لاه» مصدر لاهَ يَليه لاهاً ولَيْهاً: إذا احتجَب و ارتفع؛ لأنّه - سبحانه - محتجب عن إدراك الأبصار والبصائر، ومرتفع على كلّ شيء

١. لاحظ «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٦٤، ذيل المسألة الثانية؛ و «روح المعاني» ج ١، ص ٥٥.

٢. حكاه - عن الزمخشري - الآلوسي في «روح المعاني» ج ١، ص ٥٦.

٣. حكاه - عن أبي عمر - أبوحيّان في «البحر المحيط» ج ١، ص ١٢٤؛ وانظر «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٦٦.

٤. حكاه - عن المبرّد - أبوحيّان في «البحر المحيط» ج ١، ص ١٢٤؛ وانظر «التفسير الكبير» ج ١، ص ١٦٥.

٥. حكاه - عن ابن إسحاق - أبو حيّان في «البحر المحيط» ج ١، ص ١٢٤؛ وانظر «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٦٧ - ١٦٨.

٦. كما في «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ٧؛ و «روح المعاني» ج ١، ص٥٦؛ و «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٦٧.

٧. «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ٨؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١٠٢.

وعمّا لايليق بعزّ شأنه و سموّ سلطانه[١].

وقيل: هو علَم للذات المقدّسة[٢]، و استدلّ عليه بوجوه:

منها: أنّه يوصف ولايوصف به، ومن ثَمّ جعلوه في قوله تعالى: ﴿إلى صراطِ العزيزِ الحَميدِ * الله﴾[٣] عطف بيانٍ لا نعتاً.

و يرد عليه: أنّه لايستلزم العَلَميّة، ولا ينفي كونه اسم جنس؛ وأيضاً فالصفات الغالبة تُعامَل معاملةَ الأعلام في كثير من الأحكام.

ومنها: أنّ العرب لم تترك شيئاً من الأشياء التي تحتاج في المحاورات إلى التعبير عنها إلّا وضعت له اسماً، فكيف تترك موجِدَ الأشياء و خالقَها من دون اسم؟!

ويرد عليه: ما ورد أوّلاً على الأوّل.

ومنها: أنّه ـ سبحانه ـ يوصَف بصفات خاصّة به ـ جلّ شأنه ـ فلا بدّ له من اسم مختصّ به تجري عليه تلك الصفات؛ إذ الموصوف أخصُّ أو مساوٍ.

ويرد عليه ما ورد ثانياً على الأوّل[٤].

ومنها: أنّه لو كان وصفاً ـ كمايقال من أنّه موضوع لمفهوم واجب الوجود المنحصر في فرد ـ لم يكن قول: «لاإله إلّا الله» مفيداً للتوحيد، مثل «لا إله إلّا الرحمن»؛ إذ يكون حينئذٍ مفيداً لانحصار «الإله» في هذا المفهوم الكلّي، ويمكن أن يكون قائله معتقداً أنّ لذلك المفهوم أفراداً كثيرة.

وربما يعارض بأنّه لو كان عَلَماً لفردٍ معيَّن من مفهوم واجب الوجود، لم يكن

١. هذا القول منسوب إلى سيبويه على ما في حاشية «روح المعاني» ج ١، ص٥٦؛ وانظر «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٦٦.

٢. «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ١٦٢.

٣. إبراهيم (١٤): ١ ـ ٢.

٤. في هامش «ع»: «إن قلتَ: ربما يوجد في كلام بعض المتكلّمين أنّ قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ دليل سمعيّ على التوحيد، والظاهر أنّ الجواب لا يجري هنا.

قلتُ: لعلّ كلامهم من قبيل قولنا: قرأت: «أ»، «ب»، «ت»، كما قالوا في قوله: «قلت لها معي معالب مامه» فتأمّل». (منه ﷺ).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[١] مفيداً للتوحيد؛ لجواز أن يكون لذلك المفهوم فردان أو أكثرُ في نفس الأمر، ويكون لفظ الجلالة عَلَماً لأحدهما، مع أنّهم جعلوا السورة من الدلائل السمعيّة للتوحيد.

ويمكن أن يقال[٢]: إنّ أوّل هذه السورة إنّما هو دليل سمعيّ على الأحديّة التي هي عدم قبول القسمة بأنحائها، و أمّا الواحديّة بمعنى نفي الشريك فإنّما تستفاد من آخرها أعني قوله ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَلَم يَكُنْ لَهُ كفواً أَحَدٌ﴾[٣]. وبالنظر إلى ذلك سُمِّيت سورةَ التوحيد.

١. الإخلاص (١١٢): ١.

٢. في هامش «ع»: «هذا الجواب لوالدي قدّس الله روحه». (منه ﷺ).

٣. الإخلاص (١١٢): ٤.

فصل

[في وَصْفيّة لفظ الجلالة]

وذهب جماعة[1] إلى أنّ لفظ الجلالة في الأصل وصف، لكن لمّا لم يطلق على غيره ـ جلّ شأنه ـ أصلاً، لا في الجاهليّة ولا في الإسلام، وصار له ـ تعالى ـ كالعَلَم، أُجري مجراه، وليس في الحقيقة عَلَماً.

واستدلّوا على بطلان القول بالعلَميّة بوجوه:

منها: أنّ معنى الاشتقاق هو كون أحد اللفظَيْن مشاركاً للآخَر في المعنى والتركيب، و هذا حاصل بينه وبين الأُصول المذكورة قُبَيْلَ هذا.

ومنها: أنّه لو كان علَماً، لَما أفاد ظاهر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فى السَّموات﴾[2] معنىً صحيحاً؛ لإشعاره حينئذٍ بالمكانية ـ تعالى الله عنها علوّاً كبيراً ـ بخلاف ما لوكان وصفاً بمعنى المعبود بالحقّ.

وفيه: أنّ الاسم قد يلاحظ معه معنى يصلح به لتعلّقِ الظرف، كما يلاحظ في «حاتم» معنى الكَرَم، و في «الأسد» معنى الإقدام؛ فليلاحَظ هنا المعبود بالحقّ؛ لاشتهاره ـ سبحانه ـ بذلك في ضمن هذا الاسم المقدّس.

ومنها: أنّ ذاتَه ـ تعالى ـ من حيث هي من دون اعتبار أمر حقيقيّ أو غيره

١. منهم القاضي البيضاوي في «أنوار التنزيل» ج ١، ص ٨.
٢. الأنعام (٦): ٣.

غير معقولة للبشر، فلايمكن أن يدلّ عليها بلفظ[١].

وأُورد عليه: أنّ أقصى ما يلزم منه عدمُ تمكّن البشر من وضع العَلَم له ـ جلّ شأنه ـ لا ما هو المدّعى من أنّه ليس له ـ سبحانه ـ عَلَمٌ؛ وقد صحّ أنّ أسماءه تعالى توقيفيّة، فيجوز أن يضع هو لذاته المقدّسة عَلَماً؛ على أنّ القول بعدم تمكّن البشر من وضع العلم محلُّ كلام؛ إذ يكفي في وضع الاسم تعقّلُ المسمّى بوجه يمتاز به عمّا عَداه.

ولقائلٍ أن يقول: إنّ غرض المستدلّ أنّ وضع العَلَم لخصوصيّة الذات المقدّسة لا يليق بالحكمة؛ لجريانه مجرى العبث؛ لأنّ الغرض من الوضع هو التفهيم والتفاهم، لكنّ الدلالة على الذات المقدّسة بالعَلَم ـ بحيث يفهم منه المعنى العَلَمي ـ غير ممكنة؛ وإحضارُ المسمّى بشخصه في ذهن السامع عند إطلاق العَلَم ممّا لا سبيل إليه فيما نحن فيه؛ فإنّا معاشر البشر لا يخطر ببالنا عند سماع العَلَم نفسُ الموضوع له، أعني «الذات المقدّسة» أصلاً؛ لتقدّسها عن التلوّث بالحضور على وجه التشخّص في أذهاننا؛ بل لا نعقله[٢] ـ جلّ شأنه ـ إلّا بصفات و سلوب وإضافات يمكننا فهمَ معانيها.

والظاهر[٣] أنّ هذا ليس مختصّاً بنا؛ بل الملائكة أيضاً مشاركون لنا في القصور عن إدراك المعنى العَلَمي؛ فقد ورد في الحديث: «إنّ اللهَ احتَجبَ عن العقول كما احتَجبَ عن الأبصارِ، وإنّ الملاءَ الأعْلى يطلُبونَه كما تطلُبونَه أنتُم»[٤].

وأمّا حكاية تمكّن البشر من وضع العَلَم للذات المقدّسة فلا يخفى ما فيه؛ فإنّها

١. في هامش «ق» و «ش»: «مبنى هذا الاستدلال على ما اشتهر من أنّ العَلَم ما وضع للذات مع جميع المشخّصات» (منه ﷺ).

٢. في «د»: «لا نتعقله».

٣. في هامش «د»: «إشارة إلى جواب ما لعلّه يقال: من أنّ تفهيم المعنى العَلَمي يمكن أن يكون بالنظر إلى الملكيّة». (منه ﷺ).

٤. «بحار الأنوار» ج ٦٦، ص ٢٩٢، كتاب الإيمان والكفر، باب صفات خيار العباد....

إنّما تُدرَك بمفهومات كلّية منحصرة في فرد، فيكون اللفظ موضوعاً في الحقيقة لمفهوم كلّي لا لجزئيّ حقيقيّ؛ فلا يكون عَلَماً.

فإن[١] جُعل المفهوم الكلّي آلةً للوضع، وجُعل الموضوع له الخصوصيّةَ التي يصدق عليها هذا المفهوم ـ كما قيل في هذا ونظائره ـ لم يكن عَلَماً، و انتظم في سلك المضمرات و أسماء الإشارات و ما هو من ذلك القبيل، فتأمَّلْ و[٢]تبصّر.

١. في «ق» و «د» و «س»: «وإن».

٢. في هامش «د»: «الأمر بالتأمّل والتبصّر إشارة إلى ماتضاعيف هذا الفصل من المباحث التي تظهر بالتأمّل الصادق». (منه ﷺ).

تتمّة[1]

[في تفخيم لفظ الجلالة]

تفخيم لام الجلالة المقدّسة طريقة شائعة لا يجوز خلافها، وذلك إذا انضمّ ما قبلها أو انفتح، لا إذا انكسر. وربما قيل بالتفخيم في الأحوال الثلاثة[2]؛ و نقل ذلك عن بعض القُرّاء؛ و ربما أوهمه كلام «الكشّاف»[3].

وحذف الألف منها لحنٌ تبطل به الصلاة، وإنّما ورد في الشعر للضرورة. ولا ينعقد به[4] اليمين عندنا؛ إذ ليس من الأسماء المختصّة ولا الغالبة.

وفصّل بعض الشافعيّة[5]، فقال: أمّا اليمين الصريح ـ و هو عندهم ما ينعقد بمجرّد التلفّظ بالاسم، ولايحتاج معه إلى أن ينوي الحالف الذاتَ المقدّسة كالحلف بالأسماء المختصّة به تعالى، كالخالق والرحمن ـ فلاينعقد به. وأمّا اليمين الكنائي ـ وهو عندهم ما يحتاج فيه إلى النيّة المذكورة كالحلف بالأسماء المشتركة، كالحيّ والسميع والبصير ـ فينعقد معها.

وأمّا أصحابنا ـ رضي الله عنهم ـ فلا يجوّزون الحلفَ بالأسماء المشتركة

١. في «ش» و «ق»: «فصل».

٢. «روح المعاني» ج ١، ص ٥٨. و فيه «قيل في الثلاثة».

٣. «الكشّاف» ج ١، ص ٤٠.

٤. أي: بلفظ الجلالة المحذوف عنه الألف.

٥. «المجموع» ج ١٨، ص ٢٢.

غير الغالبة، ويعتبرون القصدَ المذكور في المختصّة و الغالبة معاً[١]، وتفصيلُ ذلك في الكتب الفقهيّة. والله أعلم.[٢]

١. «الدروس الشرعيّة» ج ٢، ص ١٦٢، كتاب اليمين.

٢. في هامش «د»: «رقم في الحديقة السابعة العبّاسيّة ـ أدام الله تعالى أيّام دولته الخاقانيّة ـ في يوم الخميس من شهر شعبان سنة ١٠٠٩».

فصل

[في تفسير ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾]

الرحمة رقّة في القلب وتأثّر يقتضي التفضّلَ والإحسان؛ ويوصف بها ـ سبحانه ـ باعتبار غايتها التي هي فعل لا باعتبار مبدئها الذي هو انفعال؛ لتنزّهه ـ جلّ شأنه ـ عنه، وأكثرُ أسمائه ـ تعالى ـ تؤخذ بهذا الاعتبار، كـ﴿الرحمن الرحيم﴾ وهما صفتان مشبّهتان من «رَحِمَ» بعد جعله لازماً بمنزلة الغرائز بنقله إلى «رَحُمَ» بالضمّ.

والأظهر منع صرف «رحمن»؛ لإلحاقه بالغالب في بابه، لا لتحقّق الشرط من انتفاء «فعلانة»، باختصاصه بالله ـ سبحانه ـ؛ لأنّه عارض مع انتفاء الشرط عند من اعتبر وجود «فَعْلى».

وهو أبلغ من الرحيم؛ لأنّ زيادة المباني تنبئ في الأغلب عن زيادة المعاني، كما في «قطع» و «قطّع». وهي هنا إمّا باعتبار الكمّ، وعليه حملوا ما ورد في الدعاء المأثور: «يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة»[1]؛ لشمول رحمة الدنيا للمؤمن والكافر، واختصاص رحمة الآخرة بالمؤمن؛ و إمّا باعتبار الكيفيّة، و عليه حملوا ما ورد في الدعاء أيضاً: «يارَحْمنَ الدُّنيا وَالآخرةِ ورَحيمَ الدُّنيا»[2]؛ لجُسامة نِعَم الآخرة بأجمعها، بخلاف نعم الدنيا.

---

١. «تفسير البغوي» ج ١، ص ٣٨؛ «كشف الأسرار وعدّة الأبرار» ج ١، ص ٧.

٢. «الصحيفة السجّاديّة» ضمن دعاء (٥٤)، في استكشاف الهموم؛ «عيون أخبار الرضا عليه السلام» ج ٢، ص ١٩، باب ٣٠، ذيل الحديث ٣٧، و فيهما: «يارحمن الدنيا والآخرة و رحيمها».

وأنت خبير بأنّ زيادة المعنى في المشتقّ تكون بزيادة مدلوله التضمّني، أعني المعنى المصدري، ولا ريب أنّ رحمة الآخرة كما هي زائدة على رحمة الدنيا كيفاً، فهي زائدة عليها كمّاً أيضاً؛ لتواترها وعدم انقطاع[١] أفرادها؛ بل لانسبة للمتناهي إلى غير المتناهي، و هذا يقتضي عدم استقامة الاعتبار الأوّل في الدعاء الأوّل، فكأنّهم اعتبروا فيه زيادة أفراد متعلّق المعنى المصدري، أعني المرحومين، ولعلّهم عدّوا جميع أنواع الرحمة الواصلة إلى الشخص الواحد رحمةً واحدة.

ثمّ لمّا كان ﴿الرحمن﴾ بمعنى البالغ في الرحمة غايَتها، اختصّ بالله ـ سبحانه ـ، ولم يطلق على غيره [تعالى][٢]؛ لأنّه هو المتفضّل حقيقةً، و مَن عداه طالبٌ بلطفه وإحسانه إمّا ثناءً دنيويّاً، أو ثواباً أُخرويّاً، أو إزالةَ رقّة الجنسيّة، أو إزاحةَ خساسة البخل وحبّ المال. ثمّ هو كالواسطة؛ فإنّ ذات النعمة وسوقَها إلى المنعَم وإقدارَه وتمكينَه من إيصالها إلى غير ذلك كلّها منه جلّ شأنه و عظم امتنانه.

وإلى الاختصاص المذكور وشمول المؤمن والكافر يُومِئ ما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: «الرحمن اسم خاصّ لصفة عامّة، والرحيم اسم عامّ لصفة خاصّة»[٣].

[بحث في تقديم «الرحمن»]

وتقديمه على الرحيم ـ مع اقتضاء الترقّي العكسَ؛ لتقدّم رحمة الدنيا؛ وللمحافظة على رؤوس الآي؛ ولأنّه ـ لاختصاصه بالله سبحانه ـ صار كالواسطة بين العَلَم والوصف، فناسب توسُّطَه بينهما؛ ولأنّ الملحوظ أوّلاً في باب التعظيم و الثناء هو عظائم النَعماء وجلائل الآلاء، و ما عداها يجري مجرى التتمّة والرديف.

١. في «ق»: «انقضاء».
٢. ما بين المعقوفتين أضفناه من «ق».
٣. «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٤؛ «روح الجنان» ج ١، ص ٢٣.

وفي ذكر هذه الأسماء في البسملة ـ التي هي مفتتح الكتاب الكريم ـ تحريك لسلسلة الرحمة، و تأسيسٌ لمباني الجود و الكرم، وتشييد لمعالم العفو و الرأفة، وإيماء إلى مضمون: «سَبَقَتْ رَحْمَتي غَضَبي»[1]، و تنبيه على أنّ الحقيق بأن يُستعان بذكره في مجامع الأُمور هو المعبود الحقيقيّ البالغ في الرحمة غايتَها، والمُولي للنعم بجملتها، عاجلِها وآجلِها، جليلِها وحقيرِها.

هذا، و ربما يوجد في كلام بعضهم[2] أنّ في وصفه ـ جلّ شأنه ـ بالرحمة الأُخرويّة ردّاً على المعتزلة القائلين بوجوب إيصال الثواب إلى العِباد في مقابل سوابق أعمال الخير، الصادرةِ عنهم؛ فإنّ الوجوب عليه ـ جلّ شأنه ـ لايجامع التفضّلَ والإحسانَ اللذين هما معنى الرحمة بالنسبة إليه سبحانه.

وأنت خبير بأنّهم لايقولون بأنّ جميع ما يصدر عنه ـ تعالى ـ من النعم الأُخرويّة واجب عليه؛ ليلزمهم أن لايكون ـ جلّ شأنه[3] ـ متفضّلاً بشيء منها، و إنّما مذهبهم وجوب بعض تلك النعم، أعني التي استحقّها المكلّفون في مقابلة الأعمال الصادرة عنهم، والآلام الواصلة إليهم.

وأمّا باقي أنواع النعم وأصناف الإحسان ـ التي لا يحصر قدرها، ولا يقدر حصرها ـ فهم لا ينكرون أنّها تفضّلٌ منه ـ جلّ شأنه ـ و إحسانٌ و ترحّمٌ و امتنان.

وعساك تسمع في هذا كلاماً مبسوطاً، إن شاء الله تعالى.

١. «عيون أخبار الرضا عليه السلام» ج ١، ص ٢٥٦، باب ٢٨، ح ٣٠؛ «الكافي» ج ١، ص ٤٤٣، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ووفاته، ح ١٣.

٢. في هامش «ق» و «ش»: «المراد به البيضاوي وغيره». (منه عليه السلام).

٣. في «ق»: «سبحانه وتعالى».

﴿الْحَمْدُ﴾

هو الثناء على مزيّة اختياريّة من إنعام أو غيره. ولامه جنسيّة أو استغراقيّة أو عهديّة[1] أي: حقيقةُ الحمد، أو جميع أفراده، أو الفرد الأكمل[2] منه ثابتٌ ﴿لِلَّهِ﴾ ثبوتاً قصريّاً كما يفيده لام الاختصاص، ولو بمعونة المقام.

وقد اشتهرامتيازه عن الشكر بمعاكسته له في خصوص المورد وعموم المتعلّق، كما اشتهر امتيازه عن المدح بقيد الاختيار[3].

١. في هامش «ع»: «هذه الاحتمالات الثلاثة خيرها أوسطها، ويؤيّده ما رواه عمدة الإسلام محمدبن يعقوب الكليني من أنّه ضاعت إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقلة بأسبابها، ثمّ وجدت بعد ذلك على ماكانت عليه، فلمّا أخبروه عليه السلام بوجدانها رفع رأسه إلى السماء، وقال: «الحمد لله». ثمّ قال: «ماتركت حمداً إلّا أثنيته له جلّ شأنه».

وهذا الكلام منه عليه السلام وإن كان محتملاً لقصده اختصاص الجنس الذي يؤول إلى استغراق الأفراد على طريق... لكنّ الأظهر في المحاورات و التشايع المتداوَل خلافُه، وفي «التفسير الكبير»: لو قال الحامد: «أحمد الله» لكان قد ذكر في حمده فقط. ولو قال: «الحمد لله» بعد، دخل حمده وحمد غيره جميعاً من لدن آدم إلى قول أهل الجنّة: ﴿وَآخِرُ دَعْوِيهِم أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾». (منه عليه السلام).

والآية المذكورة في سورة يونس (١٠): ١٠؛ ولمزيد التوضيح راجع «التفسير الكبير» للرازي، ج ١، ص ٢٢٤ ـ ٢٣٠.

٢. في هامش «ع»: «المراد بالفرد الأكمل من الحمد هو مايليق لعزّ جلاله تعالى، كما قال سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله: «لا أُحصي ثناءاً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك...» وهذا الوجه ممّا استفدتُه من الأُستاذ المحقّق مولانا عبدالله اليزدي ـ قدّس الله روحه ـ حال قراءة «المطوّل» لديه، وهو وجه وجيه؛ فإنّ ما نصفه به ـ سبحانه ـ من الصفات ربما كان بمراحل عن سرادقات كماله، كما نذكره عن قريب». (منه عليه السلام).

٣. في هامش «ع»: «أي الممدوح عليه لا الممدوح به، وهو خصوص المورد وعموم المتعلّق». (منه عليه السلام).

ودعوى امتيازه بإشعاره بآلائها إلى المَثنيّ عليه دون المدح ممّا لم يثبت.

وما جاء في الحديث ـ من نفي الشكر عمّن لم يحمد[١] ـ، وما ذكروه ـ من أنّ حمدنا له (جلّ شأنه) يشمل الموارد الثلاثة ـ لا يقدحان في الأوّل، كما أنّ ما اشتهر ـ من حمده (سبحانه) على الصفات الذاتيّة، و ما ورد من إثبات المحموديّة لغير الفاعل، فضلاً عن المختار في قوله تعالى: ﴿مَقاماً مَحمُوداً﴾[٢]، وقولهم: «عند الصباح يحمد القوم السُّرى»[٣] إلى غير ذلك ـ لا يقدحان في الثاني؛ إذ الغرض المبالغة، بناءً على كون الحمد أكملَ شُعَب الشكر وأشيَعها؛ ومعنى الشمول كون كلّ من الموارد الثلاثة حامداً له سبحانه بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وإن من شيءٍ إلّا يسبّح بحمده﴾[٤].

والحمدُ على الصفات باعتبار الآثار المترتّبة عليها[٥]، أو على نفس الذات المقدّسة؛ بناءً على ما هو التحقيق من العينيّة؛ أو لتنزيلها منزلة أفعال اختياريّة لاستقلال الذات بها و كونها كافيةً فيها، و مجيء المحمود بمعنى المرضيّ غيرُ عزيز في اللغة، أو هو من قبيل صفة الشيء بوصف صاحبه.

هذا، وقد عرفت فيما سبق أنّ هذه السورة الكريمة مقولة عن ألسنة العِباد[٦]، و لاريب أنّ حمدهم جار على طبق ما يعتقدونه ثناءً، ويعدّونه مدحاً وتمجيداً،

١. «إتحاف السادة المتّقين» ج ٩، ص ٤٩؛ «كنز العمّال» ج ٣، ص ٢٥٥، ح ٦٤١٩؛ «الكشّاف» ج ١، ص ٤٧، وفيه: قوله عليه الصلاة والسلام: «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبد لم يحمده».

٢. الإسراء (١٧): ٧٩.

٣. «مجمع الأمثال» ج ٢، ص ٣١٨؛ «جمهرة الأمثال» ج ٢، ص ٣٨؛ «المستقصى في أمثال العرب» ج ٢، ص ١٦٨.

٤. الإسراء (١٧): ٤٤.

٥. في هامش «ع»: «أي الآثار المترتّبة على نفس الذات. فقوله: «أو على نفس الذات» معطوف على قوله «عليها» (منه ﷺ).

٦. تقدّم في ص ٧١، حيث قال المؤلّف ﷺ: «والسورة بجملتها مقولة على ألسنة العباد؛ إرشاداً لهم إلى طريق التبرّك بأسمائه ...».

بحسب ما أدّت إليه مألوفاتهم[١]، و استقرّت عليه متعارفاتهم، وهذا يؤذن بتوسيع دائرة الثناء وعدم تضيّقها[٢] بالقصر على ما هو كذلك بحسب نفس الأمر؛ فإنّ ما يُثنى به عليه ـ سبحانه ـ ربما كان بمراحلَ عن سرادقات كماله، وبمَعزل عن أن يليق بكبرياء جلاله؛ لكنّه ـ جلّ شأنه ـ رخّص لنا في ذلك، و قَبِل منّا هذه البضاعة المُزجاة؛ لكمال كرمه و إحسانه؛ بل أثابنا عليها بوفور لطفه وامتنانه، كما أنّه ـ سبحانه ـ لم يوجب علينا أن نصفه إلّا بمثل الصفات التي ألْفناها و شاهَدْناها و كانت بحسب حالنا مزيّةً، و بالنسبة إلينا كمالاً، كالكلام والحياة والإرادة والسمع والبصر و غيرها ممّا أحاطت به مداركنا، و انتهت إليه طليعة أوهامنا؛ دون ما لم تصل إليه أيدي عقولنا، ولا تتخطّى إلى عِزّ ساحته أقدامُ أفهامنا.

وناهيك في هذا البَاب بكلام الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، فقد روي عنه عليه السلام أنّه قال لأصحابه: «كُلّ ما ميّزتُموهُ بأوهامِكُم في أدقّ معانيه مَخلوقٌ، مَصنوعٌ مثلكم، مَردودٌ إليكم، ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ للّه زبانيتين؛ فإنّ ذلك كمالها، و تعتقد أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما، و هكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به، وإلى الله المَفْزع»[٣].

ومَنْ تأمّل هذا الكلامَ الشريف بعين البصيرة، فاحَت[٤] عليه من أزهاره نفحةُ

١. في هامش «ع»: «هذا الكلام مبنيٌّ على الإغماض عن جعل اللام عهديّةً، بل وعن جعلها استغراقيّة أيضاً». (منه ﷺ).

٢. في «ش» و «د»: «تضييقها».

٣. «الحجّة البيضاء» ج ١، ص ٢٢٠، كتاب قواعد العقائد، ذيل الباب (٢) في التوحيد؛ «بحار الأنوار» ج ٦٦، ص ٢٩٣، باب صفات خيار العباد ... ذيل عبارات المنقولة عن الشيخ البهائي. وإليك نصّ الحديث من «محجّة البيضاء»: وعن الباقر عليه السلام: «هل سمّي عالماً وقادراً إلّا لأنّه وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين، وكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم، مردودٌ إليكم، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت، ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ للّه زبانيتين؛ فإنّهما كمالها، وتتصوّر أنّ عدمهما نقصان لمن لا يكونان له. هكذا حال العقلاء فيما يصفون اللّه تعالى به فيما أحسب. وإلى الله المفزع».

٤. «فاحَتْ ريح المِسْك: انتشرت رائحتُه» («لسان العرب» ج ٢، ص ٥٥٠، «فوح»).

قدسيّة تعطّر مشامَّ الأرواح، ولاحَتْ لديه من أنواره شعشعةٌ إنسيّة تُحيي رميمَ الأشباح.

هذا، وإنّما لم يعامَل الحمدُ هنا معاملةَ سائر إخوته من المصادر المنصوبة على المفعوليّة المطلقة بعامل مقدّر لا يكاد يُذكر، نحو «شُكْراً» و «عَجَباً»، وجُعل متحلّياً بحلية الرفع بالابتداء؛ إيثاراً للدوام و الثّبات على التجدّد والحدوث؛ وإشعاراً بأنّه[1] حاصل له ـ تعالى شأنه من دون ملاحظة إثباتِ مثبتٍ.

وقول قائل: «أحمد الله حمداً» و نحوه، و محافظة على بقاء صلاحيّته للاستغراق، فإنّها ممّا تفوت على ذلك التقدير، كما لايخفى. والله أعلمُ.

١. في هامش «ع»: «ذكر وجوهاً ثلاثة، واقتصر في الكشّاف على الأوّل». (منه ﷺ).

﴿رَبِّ العالَمِينَ﴾

أي: مالكهم الحقيقي. و «الربّ» إمّا مصدر بمعنى التربية[1]، وهي تبليغ الشيء كمالَه تدريجاً، وُصف به للمبالغة، كالعدل. والتجوّزُ إمّا عقليّ أو لغويّ، والمبالغة في الأوّل أشدُّ، وما يُظنّ من انتفائها في الثاني رأساً ليس بشيء؛ إذالتقدير لتصحيح الحمل لايوجب انتفائها بالكلّية، وإن كنت في مرية من ذلك، فانظر إلى حكمهم بأنّ التشبيه المضمَر الأداةِ أبلغُ من مذكورها.

وإمّا صفة مشبّهة من «رَبَّه، يَرُبّه» بعد نقله إلى فَعُل -بالضمّ-[2]، كما سبق[3] مثله في «الرحمن». ولا إشكال في وصف المعرفة به؛ إذ الإضافة حينئذٍ حقيقيّة من قبيل: «كريم البلد»؛ لانتفاء عمل النصب، مع أنّ المراد الاستمرارُ دون التجدّد. وسمّي به المالك؛ لأنّه يحفظ ما يملكه، و يربّيه، ولايطلق على غيره تعالى إلّا مقيّداً

١. في هامش «ع»: «والتربية إمّا باقية على حقيقتها من غير تأويل وإن كان المقصد من الكلام صدر من حقيقته، أو خارجة عن حقيقتها مؤوّلة بالمربّي أو ذي التربية، فعلى الأوّل التجوّزُ عقليّ، وعلى الثاني لغوي اعتباري أو غيره». (منه ﷺ).

٢. في هامش «ع»: «هذا الوجه هو مختار صاحب الكشّاف، وفيه من التكلّف ما لا يخفى؛ فإنّ نَقْلَ فَعَل -بالفتح- إلى فَعُل -بالضمّ- قليلٌ جدّاً، و مع ذلك فالمبالغة منتفية فيه رأساً والوجه الأوّل يمكن تنزيل كلام الكشّاف ثانياً على شقّيه معاً، كما قرّره بعض المدقّقين في حواشي البيضاوي. وإن كان أوّل الشقّين هو الأظهر منه، كما هو ظاهر». (منه ﷺ).

٣. تقدّم في ص ١٠٣.

كـ«ربّ الدار»، أو مجموعاً كـ«الأرباب».

ولعلّ النكتة في ذلك هي: أنّه ـ سبحانه ـ هو المربّي الحقيقي لكلّ ما حواه نطاقُ الإمكان، و شمّ رائحةً من الوجود، وهم بأسرهم مربوبون، منحطّون عن مرتبة تربية الغير؛ فإن وُجِدَت من بعضهم ـ بحسب الظاهر ـ تربيةٌ، فهي في الحقيقة تربية منه ـ جلّ شأنه ـ أجراها على يده، فهو الربّ حقيقة.

وإطلاق الربّ على غيره مجاز يحتاج إلى قرينة، فجعلوا تلك القرينة: إمّا التقييد أو الجمع.

و«العالَم» اسم لما يُعلم به الشيء، و كثيراً ما تجيء صيغة فاعَل ـ بالفتح ـ اسماً للآلة التي يُفعل بها الشيء كـ«الخاتَم» و«الطابَع» و«القالَب»، لكنّه غُلب فيما يُعلم به الصانع ـ عزّ شأنه ـ ممّا اتّسم بسِمَة الإمكان، أعني في كلّ جنس من أجناسه تارةً، كما يقال: «عالَم الأفلاك» و «عالَم العناصر» و عليه جرى قوله ـ جلّ وعلا[1] ـ: ﴿وَما رَبُّ العالمين[2] * قالَ رَبُّ السَّمواتِ والأرض وَما بَينَهُما﴾[3]، وفي مجموع تلك الأجناس أُخرى، كما يقال: «عالَم المخلوقات» و«عالَم الممكنات» أعني: جميع ما سوى الله ـ تعالى ـ مجرّداً أو ماديّاً، فلكيّاً أو عنصريّاً.

وأمّا إطلاقه على كلّ واحد من آحاد أفراد الجنس، فهو و إن كان ممّا لا مِرية في جوازه؛ إذ ما في خطّة الوجود من نقير ولا قطمير إلّا وفيه حجج قاطعة على وجود الصانع الخبير، إلّا أنّ الغلبة لم تتّفق في غير ذينك المعنَيَيْن، ولعلّه في الآية الكريمة بالمعنى الأوّل؛ إذ هو بالمعنى الثاني لايُجمَع؛ لعدم جريان التعدّد فيه، و إنّما جُمع معرَّفاً باللام؛ للإشعار بشمول ربوبيّته ـ جلّ شأنه ـ جميعَ الأجناس.

ثمّ لمّا كان مطلَقاً على الجنس بأسره لم يبعد تنزيله منزلة الجمع، بل قال في

١. في «ع»: «عزّ وعلا»، وفي «ق»: «تعالى».

٢. في هامش «د» و «ق»: «جعل شيخنا الطبرسي ـ قدّس الله روحه ـ هذه الآية دليلاً على إطلاق العالَم على جميع المخلوقات، وفيه نظر لايخفى». (منه ﷺ).

٣. الشعراء (٢٦): ٢٣ ـ ٢٤.

«مجمع البيان» بانخراطه في سلك الجموع التي لا واحد لها كـ«النفر» و«الجيش»[١].

وكما يستغرق الجمع المعرَّف آحادَ مفرده وإن لم يصدق عليها، كما قالوه في قوله تعالى: ﴿واللّهُ يُحبُّ المُحسنينَ﴾[٢] كذلك يشمل «العالَم» أفراد الجنس المسمّى به وإن لم يطلق عليها، كأنّها آحاد مفرده التقديري، فلفظ «العالَمين» بمنزلة جمع الجمع، فكما أنّ «الأقاويل» يتناول كلَّ واحد من آحاد الأقوال، كذلك هذا اللفظ يتناول كلَّ واحد من آحاد الأجناس. و إنّما جُمع بالواو والنون؛ تغليباً لأجناس العقلاء ـ من الملائكة والإنس والجنّ ـ على غيرهم.

وقيل: هو في الأصل اسم لذوي العلم، وتناولُه لغيرهم بالتبع[٣].

وقيل: للثقلين فقط[٤]، وعليه جرى قوله ـ سبحانه ـ: ﴿لِيكونَ للعالَمينَ نَذيراً﴾[٥].

وقيل: للإنس منهم[٦].

هذا، وقد يُجعل قوله ـ جلّ شأنه ـ ﴿رَبِّ العالَمينَ﴾ دليلاً على افتقار الممكنات في بقائها إلى المؤثّر.

ويقرَّر تارةً: بأنّ الصفة المشبّهة تدلّ على الثبوت والاستمرار، فتربيته ـ سبحانه ـ لها[٧] مستمرّة، وأعظمُ أفرادها ما هو مناط بقيّة الأفراد الأُخر، أعني: استمرار إفاضة نور الوجود عليها إلى الأمد الذي يقتضيه حالها.

وفيه: ما لا يخفى.

١. «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٥.

٢. آل عمران (٣): ١٣٤، ١٤٨.

٣. لاحظ: «الكشّاف» ج ١، ص ٥٤؛ و «روح المعاني» ج ١، ص ٧٩، نقلاً عن السيوطي.

٤. حكاه عن ابن عطية في «البحر المحيط» ج ١، ص ١٣٠؛ وفي «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٦، «قيل».

٥. الفرقان (٢٥): ١.

٦. وهو قال الإمام الصادق عليه السلام على ما حكاه الآلوسي في «روح المعاني» ج ١، ص ٧٩.

وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: «قيل: هم الإنس؛ لقوله تعالى: ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾». لاحظ «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٦.

٧. أي: للممكنات.

وأُخرى: بأنّ شمول التربية للممكنات بأسرها ـ على ما يفيده تعريف الجمع ـ يعطي ذلك؛ إذ تربية بعضها ـ كبعض الجمادات ـ ليست إلّا استمرارَ إفاضة نور الوجود عليه؛ واختصاصُه بذلك دون غيره ممّا لا يقبله العقل السليم.

وأمّا جعله إشارةً إلى الدليل العقلي المشهور في إثبات هذا المرام، فهو كما ترى.

﴿الرَّحْمنِ الرَّحيمِ﴾

[وجه التكرار في الرحمن الرحيم]

قد يَتمسّك بذكرِ هما مَن قال[1] بعدم كون «البسملة» جزءاً من الفاتحة[2]؛ زاعماً لزومَ التكرار من دون ثمرة، وليس بشيء؛ إذ لو لم يكن فيه إلّا تشييدُ مباني الرحمة؛ والإشعارُ في مفتتح الكتاب بأنّ اعتناء ـ عزّ وعلا ـ بها أكثرُ و أشدُّ من الاعتناء ببقيّة الصفات، لكفى. كيف؟ و إنّه لمّا كان في وصفه ـ سبحانه ـ بكونه ربّاً للعالَمين إشارةٌ إلى المبدأ، و في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ إشارةٌ إلى المعاد، ناسب أن يتوسّط بينهما ما يشير إلى حسن صُنْعه[3] ـ جلّ شأنه ـ فيما بينهما.

و أيضاً، ففيه بسط بساط الرجاء بالتنبيه على أنّ مالك يوم الجزاء رحمنٌ رحيمٌ، فلاتيأسوا أيّها المذنبون من صَفْحه عن ذنوبكم في ذلك اليوم الهائل، واستوثِقوا برحمته الكاملة أن لا يفضحكم على رؤوس الأشهاد ﴿يَومَ تُبلَى السرائر﴾[4].

وأيضاً، فتوسيط هذَين الوصفَيْن بين التخصيص بالحمد والتخصيص بالعبادة

١. في هامش «ق» و «د»: «فيه تعريض لمولانا خسرو الرومي». (منه ﷺ).

٢. تقدّم البحث عنها مبسوطاً في ص ٨١ ـ ٨٥.

٣. في «د» و «ق» و «س»: «صنيعه»، و في «م»: «صنعيه».

٤. الطارق (٨٦): ٩.

يتضمّن الإيماءَ إلى أنّ المستأهل للحمد والمستحقَّ للعبادة هو البالغ في الرحمة أقصى غاياتها، والمُولي للنعم عاجِلِها و آجِلِها، جليلِها و حقيرِها.

[﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّين﴾]

[تفسير المالك]

﴿مالك﴾: قرأه عاصم والكسائي ويعقوب وخلَف، وقرأ باقي العشرة: ﴿مَلِك يوم الدين﴾[1].

وقد تؤيِّد القراءة الأُولى بالانطباق على قوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿يَومَ لا تَملِك نَفسٌ لنَفسٍ شيئاً والأمرُ يَومئذٍ للّه﴾[2]؛ والثانيةُ بأنّها أدخلُ في التعظيم، و أنسبُ بالإضافة إلى يوم الدين، و أشدُّ طِباقاً لقوله ـ جلّ شأنه ـ: ﴿لِمَنِ المُلك اليَومَ للّهِ الواحِدِ القَهّار﴾[3] و أنّه ـ سبحانه ـ وصف نفسه في خاتمة الكتاب بالمَلِكيّة بعد وصفه بالربوبيّة[4]، فيناسب الجريان في فاتحته على ذلك المنوال[5].

وما يتراءى ـ من خدش هذا الوجه بمخالفة الترتيب النزولي للترتيب الحالي ـ ليس بذاك؛ إذ يكفي سبق علمه ـ عزّ وعلا[6] ـ باستقرار ترتيب القرآن على ما هو

١. لاحظ: «الحجّة للقرّاء السبعة» ج ١، ص ٧ ـ ٨؛ «حجّة القراءات» ص ٧٧؛ «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ج ١، ص ٢٥.

٢. الانفطار (٨٢): ١٩.

٣. غافر (٤٠): ١٦.

٤. إشارة إلى الآيَتَين في سورة الناس: ﴿قُلْ أعوذ بربّ الناس * مَلِكِ الناس﴾.

٥. في هامش «ق»: «وأنّها غنيّة عن توجيه وصف المعرفة بما ظاهره التنكير». (منه ﷺ).

٦. في «ع»: «جلّ وعلا»؛ وفي «ق»: «تعالى».

عليه الآنَ.

و«المالِك»: مَنْ له التصرّف في الأعيان التي في حوزته كيف يشاء.

و«المَلِك»: مَنْ له التصرّف في الأُمور العامّة بالأمر والنهي، على سبيل الغلبة والاستيلاء.

[تفسير الدِّين]

و﴿الدِّين﴾: الجزاء ـ خيراً كان أو شرّاً ـ و منه قولهم: «كما تدين تدان»[١].

والمرويّ عن الباقرعليه السلام أنّ المراد به: «الحساب»[٢]. وإضافة اسم الفاعل إلى الظرف؛ لإجرائه مجرى المفعول به توسّعاً، والمراد: مالك الأُمور كلّها في ذلك اليوم.

وسوَّغ وصف المعرفة به إرادة المضيّ تنزيلاً لمحقَّق الوقوع منزلةَ ما وقع، على وَتيرة ﴿ونَادى أصحابُ الجَنَّةِ﴾[٣]، أو إرادة الاستمرار الثبوتي بناءً على التنزيل المذكور[٤]، و بقاء ذلك اليوم أبداً. و على التقديرَيْن فالإضافة حقيقيّة موجبة للتعريف.

وأمّا القراءة الثنية، فمؤونتها أخفّ؛ إذ هي من إضافة الصفة المشبّهة إلى غير معمولها، فهي حقيقيّة، مثل: «كريم البلد»؛ إذ إضافتها اللفظيّة منحصرة في الإضافة إلى الفاعل؛ لاشتقاقها من اللازم، و هذا يصلح مؤيِّداً خامساً لهذه القراءة.

---

١. «الكافي» ج ٢، ص ١٣٤، باب ذمّ الدنيا والزهد فيها، ح ١٨؛ وص ١٣٨، باب القناعة، ح ٤؛ «نهج البلاغة» الخطبة ١٥٣، ص ٢٨١؛ «معاني الأخبار» ص ٤٧، باب معنى حروف الجمل، ذيل الحديث ٢ و ٣.
«مجمع البيان» ج ١، ص ٦٠؛ «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١٤٤.

٢. «التبيان» ج ١، ص ٣٦؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٦٠.

٣. الأعراف (٧): ٤٤.

٤. في هامش «ق» و «د»: «في قوله: بناءً على التنزيل المذكور، إشارةٌ إلى ما في ظاهر كلام البيضاوي من القصور». (منه ﷺ).
وأيضاً في هامش «ق» و «د»: «قوله: بناءً على التنزيل المذكور، أي تنزيل غير الواقع منزلة ما هو الواقع بالفعل، لا منزلة ما وقع في الماضي، كما هو المتبادر من العبارة. فلا تغفل». (منه ﷺ).

فإن قلت: لِمَ لَمْ يُجعل في القراءة الأُولى بدلاً لتخفّ المؤونة أيضاً؛ فقد اختار المحَقِّقون جوازَ إبدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة؟

قلنا: لأنّ البدل هو المقصود بالنسبة، والغرض أنّ الحمد ثابت له ـ جلّ وعلا ـ باعتبار هذه الصفات؛ و هو يفوت على ذلك التقدير، كما لا يخفى.

وتخصيص اليوم بالإضافه ـ مع أنّه ـ عزّ سلطانه ـ مَلِكٌ، ومالِكٌ لجميع الأشياء في كلّ الأوقات والأيّام ـ لتعظيم ذلك اليوم الهائل؛ ولمناسبة الإشارة إلى المعاد، كما أنّ ﴿ربّ العالمين﴾ إشارة إلى المبدأ، و ما بينهما إشارة إلى ما بين النشأتين كما مرّ؛ ولأنّ المُلْك والمِلْك الحاصلَين في هذه النشأة لبعض الناس ـ بحسب الظاهر ـ يزولان ويبطلان في ذلك اليوم، وينسلخ الخلائق عنهما انسلاخاً بيّناً، وينفرد ـ جلّ شأنه ـ بهما انفراداً ظاهراً على كلّ أحد[1].

وفي إجراء هذه الصفات الأربع[2] عليه ـ تعالى ـ تعليلٌ وتمهيدٌ لما اكتنف بها سابقاً ولاحقاً، من اختصاص الحمد به ـ سبحانه ـ وقصر العبادة والاستعانة عليه عزّ سلطانه، وإيماءٌ ـ ولو بمعونة مقام التمدّح ـ إلى أنّ هذه الصفات هي الموجبة للتخصيص والقصر المذكورَيْن، وأنّ من لم يتّصف بها لا يستحقّ أن يُحمد، فضلاً عن أن يُعبد.

وفي ذكرها بعد اسم الذات[3]، الدالّ على استجماع صفات الكمال تلويحٌ بأنّ من يحمده الناس ويعظّمونه إنّما يكون حمدهم وتعظيمهم له لأحد أُمور أربعة:

إمّا لكونه كاملاً في ذاته وصفاته.

وإمّا لكونه محسناً إليهم ومنعماً عليهم.

وإمّا لأنّهم يرجون الفوزَ في الاستقبال بجزيل إحسانه وجليل امتنانه.

١. في «م»: «واحد».

٢. في هامش «د»: «الربّ، والرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين».

٣. في هامش «د»: «أي: وفي ذكر الصفات الأربع بعد اسم الذات وهو الله».

وإمّا لأنّهم يخافون من قهره و كمال قدرته و سطوته؛ فكأنّه ـ جلّ وعلا ـ يقول: يا معشر الناس! إن كنتم تحمدون وتعظّمون للكمال الذاتي والصفاتي، فإنّي أنا ﴿اللّه﴾؛ وإن كان للإحسان والتربية والإنعام، فأنا ﴿ربّ العالمين﴾؛ و إن كان للرجاء و الطمع في المستقبل، فأنا ﴿الرحمن الرحيم﴾؛ و إن كان للخوف من كمال القدرة والسطوة، فأنا ﴿مَلِك يوم الدين﴾.

فصل

[في سرّ التحميد للّه]

قد يُظَنُّ[1] أنّ استحقاقه ـ جلّ شأنه ـ للحمد بسبب الرحمة التي هي تفضّل وإحسان ممّا لايستقيم على مذهب المعتزلة القائلين بوجوب إيصال الثواب؛ وقد أسلفنا في آخر تفسير البسملة[2] ما تنحسم[3] به مادّة هذا الظّن رأساً.

فإن قلت: إنّ قولهم بوجوب كلّ ماهو أصلحُ بحال العِباد عليه ـ تعالى ـ ينفي التفضّلَ بالكلّيّة؛ إذ لا مِرْية في أنّ كلّ فرد من أفراد الإحسان و أصناف الامتنان أصلحُ بحالهم، فتكون واجبة عليه ـ جلّ شأنه ـ فلا يكون متفضّلاً بشيء منها، فلا يستحقّ الحمدَ عليها عندهم، فقد عاد المحذور.

قلت: إنّه لم‌يذهب إلى‌الكلّيّة إلّا شِرْذمة منهم لا يُعبأ بهم ولا بكلامهم؛ والمحقّقون على أنّ هذه القضيّة جزئيّة، وقد نبّه ـ على ذلك ـ المحقّقُ الطوسي[4] في «التجريد»[5] ولم يتنبّه[6] لذلك شُرّاح كلامه.

---

١. في هامش «ق» و «ش»: «والظانّ: البيضاوي، وفاقاً للبعض». (منه ﷺ).

٢. تقدّم في ص ١٠٥.

٣. «حَسَمَ، يَحْسِمُ، حَسْماً، انْحَسَمَ: قَطَعَ» (لسان العرب» ج ١٢، ص ١٣٤، «حسم»).

٤. في هامش «ق» و «ش»: «حيث قال: «والأصلح قديجب» بإدخال «قد» على الفعل المضارع لإفادة التعليل». (منه ﷺ).

٥. «كشف المراد» ص ٣٤٣.

٦. في «ق» و «ش»: «لم ينبّه».

والحاصل: أنهم إنّما يوجبون الأصلح الذي لو لم يفعله، لكان مناقضاً لغرضه. قالوا: لمّا كان غرضه ـ جلّ شأنه ـ من إظهار المعجزة على يد النبيّ ﷺ تصديقَ الخلق له، فيجب أن يخلق فيهم ما يبصرونها به إن كانت من المبصَرات، أو ما يسمعونها به إن كانت من المسموعات؛ لئلّا يكون بإهمال ذلك مناقضاً لغرضه؛ و كذلك لمّا كان غرضه من خلقنا أن نعبدَه، كما قال ـ عزّ وعلا ـ: ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فيجب عليه إرشادنا إلى ذلك بإرسال الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ وإلّا لَفات الغرض، وعلى هذا قِسْ.

وحينئذٍ يبقى الجدال معهم في تعليلهم أفعالَه ـ تعالى ـ بالأغراض، وإجرائهم هذه الآيةَ وأمثالَها من الآيات على ظاهرها. وسنتكلّم فيه في موضعٍ يليق به، إن شاء الله تعالى.

على أنّهم يقولون: إنّ وجوب الشيء لاينافي التفضّل به إذا نشأ وجوبه من تفضّلٍ سابق، كمن ألزم نفسه ـ بعهد أويمين ـ أن يتصدّق على المسكين الفلاني بمالٍ جزيل؛ فإنّه إذا أوصل ذلك المالَ إليه، عُدّ في العرف متفضّلاً عليه، ولهذا لو أعرض ذلك المسكين عن حمده و شكره ـ مستنداً إلى أنّ ذلك الإعطاء كان واجباً عليه ـ لاستحقّ الذمّ من جميع العقلاء، و ما نحن فيه من ذلك[2] القبيل؛ فإنّ خَلْقَنا لم يكن واجباً عليه ـ سبحانه ـ لكن[3] لمّا أوجَدَنا من كتْم العدم تفضّلاً وإحساناً، وألْبَسَنا خلعةَ الوجود تطوّلاً وامتناناً؛ لنتأهّل للقرب من ساحة جلاله، ونستعدَّ للاستضائة بأنوار جماله، وجب بسبب ذلك التفضّل أُمور أُخر لايُخرجها الوجوبُ عن كونها تفضّلاً، كما في المثال المذكور ﴿وللّه المَثَل الأعلى﴾[4]. وبه الاعتصام، وإليه الرجعى.

١. الذاريات (٥١): ٥٦.
٢. في «ق»: «هذا».
٣. في «م»: «لكنّه».
٤. النحل (١٦): ٦٠.

﴿إيّاكَ نَـعْبُدُ وإيّاكَ نَـسْتَعينُ﴾

أكثر النحاة[1] على أنّ «إيّا» هو الضمير، والكافَ والياءَ والهاءَ الملحقةَ بها حروف زيدت لبيان الخطاب والتكـلّم والغـيبة[2]، كـتاء «أنت» و كـاف «أرأيـتك» بـمعنى «أخْبِرني»[3] المزيدة لتأكيد الخطاب.

وقال الزجّاج: هو اسمٌ مظهر يضاف إلى المضمرات الثلاث[4]. واحتجّ الخـليلﷺ

١. في هامش «د»: «كالخليل وسيبويه والأخفش والمازني وأبي علي وغيرهم».

٢. كما في «مجمع البيان» ج ١، ص ٦٢؛ «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص١٣؛ «روح المعاني» ج ١، ص ٨٦؛ و «الدرّ المصون» ج ١، ص ٥٥.

٣. في هامش «ع»: «يعني التاء. والعرب تقول: «أرأيتك» هل جاء الأمر؟ أخبرني عن مجيئه، قال تـعالى حكـايةً عن إبليس: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ أي: أخبرني عن هذا الذي كرّمْتَه عليّ. لِمَ كرّمْتَه؟». (منه ﷺ).
والآية المذكورة في الهامش من سورة الإسراء (١٧): ٦٢.

٤. «معاني القرآن وإعرابه» للزجّاج، ج ١، ص ٤٨.
وجدير بالذكر، وبالرغم من أنّه جاء في كتاب «معاني القرآن وإعرابه» هكذا: «هو اسم مضمر». ولكن مع القليل من التأمّل والدقّة يتّضح لنا أنّ هذا وقع سهواً من النسّاخ.
مضافاً ـ إلى ستّ نسخ مخطوطة فيها تصريح بأنّه «اسم مظهر» ـ جاء في كتاب «الدرّ المصون» للسمين الحلبي، ج ١، ص ٥٥، هكذا: «واختلفوا فيه، هل هومن قبيل الأسماء الظاهرة أو المضمرة؟ فالجمهور على أنّه مضمر. وقال الزجّاج: هو اسم ظاهر».
وأيضاً نقل العلّامة الطبرسي: في «مجمع البيان» ج ١، ص ٦٢، هكذا: «قال أبو إسحاق الزجّاج: و«إيّا» اسم للضمير المنصوب إلاّ أنّه ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات ...».
وكذا قال السيّد الشريف الجرجاني؛ في حاشيته على الكشّاف، ج ١، ص ٦٠: «قال الزجّاج ومتابعوه: «إيّا» اسم مظهر مبهم مضاف إلى المضمرات».

على الإضافة بقولهم: «إذا بلغ الرجل الستّين، فإيّاه وإيّـا الشّـوابّ»[١]. وهـو نِـعْم الشاهد لولا شذوذه.

وقيل: هي الضمائر[٢]، و«أيّ» دعامةٌ مخرجةٌ لها عن الاتّصال إلى الانفصال.

وقيل: بل المجموع[٣].

[العبادة]

والعبادة: أعلى مراتب الخضوع والتذلّل، ولذلك لا يليق بها إلّا من كـان مـولياً لأعلى النِعَم وأعظمها من الوجود والحياة و توابعها.

و من قال: إنّها لاتستعمل إلّا في الخضوع لله تعالى[٤]؛ لعلّه أراد هذا، وإلّا فظاهره مصادم لقوله تعالى: ﴿إنّكم و ما تَعبُدُونَ من دون الله حَصَبُ جَهَنّم﴾[٥].

وأمّا ما رواه عمدة الإسلام، محمد بن يعقوب الكـلينيﷺ فـي الكـافي، عـن أبي جعفر، محمد بن عليّ الباقرﷺ: «مَنْ أصغى إلى ناطِقٍ فَقَد عَـبَدُه، فـإن كـانَ الناطقُ يُؤدّي عَنِ اللهِ فَقَدْ عَبَدَ اللـهَ، وإن كـان يُـؤدّي عـنِ الشّـيطان فَـقَدْ عـبدَ الشيطانَ»[٦]، فلعلّه ورد على سبيل المبالغة، أو أنّ العبادة فيه بمعنى الطاعة.

وما في «مجمع البيان» من إنكار القول بأنّها بمعنى الطاعة[٧]، لعلّ المراد به إنكار

١. حكاه عـن الخـليل فـي «مـجمع البـيان» ج ١، ص ٦٢؛ ولاحـظ «مـعاني القـرآن» للـزجّـاج، ج ١، ص ٤٨؛ «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ١٣.

«الشَّوابّ»: جمع شابّة، وهي الفتاة في أوّل شبابها» («لسان العرب»، ج ١، ص ٤٨٠، «شبب»).

٢. «الدرّ المصون» ج ١، ص ١٥٥؛ وفي «حاشية السّيد الشـريف عـلى الكشّـاف» ج ١، ص ٦٠. نـقلاً عـن بـعض الكوفيّين وابن كيسان.

٣. «معاني القرآن و إعرابه» للزجّاج، ج ١، ص ٤٩؛ «إعـراب القـرآن» للـنحّاس، ج ١، ص ١٧٣؛ «الدرّ المـصون» ج ١، ص ١٥٥؛ وفي «حاشية السّيد الشريف على الكشّاف» ج ١، ص ٦٠. نقلاً عن قوم من الكوفة.

٤. «الكشّاف» ج ١، ص ٦٢؛ «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ١٣.

٥. الأنبياء (٢١): ٩٨.

٦. «الكافي» ج ٦، ص ٤٣٤، باب الغناء، ح ٢٤.

٧. «مجمع البيان» ج ١، ص ٦٣. وفيه: «وقول مـن قـال: إنّ الـعبادة هـي الـطاعة للـمعبود» يـفـسد بأنّ الطـاعة ←

كونها حقيقة فيها. فما في «الصحاح» و غيرها من تفسيرها بالطاعة[١] لاينافيه، كما يُظنّ؛ فإنّ أكثر اللغة ـ كما قيل ـ مَجازات.

[الاستعانة]

والاستعانة: طلب المعونة على الفعل؛ إمّا لتعذّر الإتيان به بدونها، أو لتعسّره؛ والمراد هنا طلب المعونة في المهمّات بأسرها، أوفي أداء العبادة والقيام بوظائفها من الإخلاص التامّ وحضور القلب؛ وفي هذا[٢] نكتة أوردها[٣] في التفسير الكبير[٤] هي: «أنّ المتكلّم لمّا نسب العبادة إلى نفسه، أوهم ذلك تبجُّحاً[٥] واعتداداً منه بما يصدر عنه، فعقّبه بقوله: ﴿وإيّاكَ نَستَعينُ﴾ يريد أنّ العبادة أيضاً لا تتمّ ولاتستَتِبُّ[٦] إلّا بمعونةٍ منه ـ تعالى ـ وتوفيقٍ»[٧].

[وجوه تقديم العبادة]

وتقديم[٨] العبادة على الاستعانة يمكن أن يكون للإشارة إلى هذه النكتة.

← موافقة الأمر، وقد يكون موافقاً لأمره ولايكون عابداً له. ألا ترى أنّ الابن يوافق أمرَ الأب ولا يكون عابداً له. وكذلك العبد يطيع مولاه، ولا يكون عابداً له بطاعته إيّاه، والكفّار يعبدون الأصنام ولا يكونون مطيعين لهم؛ إذ لا يتصوّر من جهتهم الأمر».

١. «الصحاح» للجوهري، ج ٢، ص ٥٠٣؛ «لسان العرب» ج ٣، ص ٢٧٢، «عبد».

٢. أي: في قران العبادة بالاستعانة.

٣. في هامش «ق» و «ش»: «أشار بقوله: «أوردها في التفسير الكبير» إلى التعريض بالبيضاوي؛ حيث صدّره بلفظة: أقول». (منه*).

وورد في هامش «ع»: «في قوله: «أوردها في التفسير الكبير» تعريضٌ بالبيضاوي؛ حيث نسب هذه النكتة إلى نفسه وصدّرها بقوله: أقول». (منه*).

٤. في هامش «د»: «ونسبه الفاضل البيضاوي إلى نفسه بأقول».

٥. «تَبَجّح به: فخر» («لسان العرب» ج ٢، ص ٤٠٦، «بجح»).

٦. «استتبّ الأمْرُ: تَهَيّأ واستوى واستقام وتَبَيّنَ» («لسان العرب»، ج ١، ص٢٢٦، «تبب»).

٧. «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ١٤.

٨. في هامش «ع»: «وجوه ثمانية لتقديم العبادة على الاستعانة، ولم يذكر في الكشّاف سوى وجهٍ واحدٍ من هذه الثمانية وهو الأخير منها، وزاد البيضاوي على الكشّاف وجهاً ثانياً وهو ما ذكرناه ثانياً». (منه*).

وللمحافظة[١] على رؤوس الآي.

ولأنّ العبادة من مدلولات الاسم المقدّس؛ إذ معناه المعبود بالحقّ، فكانت أحقَّ بالقرب منه.

ولأنّها مطلوبة الله ـ سبحانه ـ[٢] من العباد، والمعونة مطلوبتهم منه، فناسب تقديمَ مطلوبه على مطلوبهم.

ولأنّ المعونة التامّة إنّما هي ثمرة العبادة و نتيجتها، كما يظهر من الحديث القدسي: «ما يتقرّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبّ ممّا افترضت عليه، وإنّه ليتقرّب إليَّ بالنوافل حتّى أُحبّه. فإذا أحببته، كنتُ سمعَه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به، و يدَه التي يبطش بها» الحديث[٣].

ولأنّها أشدُّ مناسبةً لما ينبئ عن الجزاء، والاستعانة أقوى اتّصالاً بطلب الهداية؛

ولأنّ التخصيص بالعبادة أوّلُ ما يحصل به الإسلام، وأمّا التخصيص بالاستعانة فإنّما يحصل بعد الرسوخ التامّ في الدين والترقّي في مراتب اليقين، فكانت أحقَّ بالتأخير.

ولأنّ العبادة وسيلة إلى حصول الحاجة التي هي المعونة، وتقديم الوسيلة على طلب الحاجة هو أدعى إلى الإجابة. فهذه وجوه ثمانية[٤] لتقديم العبادة على الاستعانة.

١. أي: إنّه ـ سبحانه و تعالى ـ عقّب العبادةَ بالاستعانة تعليماً لعباده أنّه إذا أوهمكم عبادتكم تبجّحاً واعتداداً به فعقّبوه بالاستعانة؛ ففيه تعليمٌ لدواء داء العُجْب. (من هامش «د»).

٢. في «ق»: «تعالى».

٣. «الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢، باب من أذى المسلمين واحتقرهم، ح ٧ و ٨، مع تفاوت يسير؛ «مسند أحمد» ج ٧، ص ٣٦٥، ح ٢٥٦٦١.

٤. في هامش «ق» و «ش»: «هذه الوجوه الثمانية لم تنتظم قبل هذا التفسير في سلك». (منه ﷺ).

فصل

[في وجوه تقديم المفعول]

وتقديم مفعولي العبادة والاستعانة عليهما للحصر، والتعظيم، والاهتمام، و تقديمِ ما هو مقدّم في الوجود، والإيماءِ إلى أنّ العابد والمستعين و مَن يحذوحذْوَهما ينبغي أن يكون مطمعُ نظرهم أوّلاً وبالذات هو الحقَّ ـ جلّ شأنه ـ على وَتيرة «ما رأيت شيئاً إلّا رأيت اللهَ قبله»[1]، ثمّ منه إلى أنفسهم لا من حيث ذواتها؛ بل من حيث إنّها ملاحِظة له ـ عزّ وعلا ـ ومنتسبة إليه، ثمّ إلى أعمالهم من العبادة والاستعانة والمناجاة وما شاكلها، لا من حيث صدورها عنهم؛ بل من حيث إنّها نسبة شريفة ووصلة لطيفة بينهم و بينه ـ عزّ سلطانه ـ ومنه يظهر وجه تفصيل ما حكاه ـ سبحانه ـ عن حبيبه: ﴿لا تَحْزَنْ إنّ اللّهَ مَعَنا﴾[2] على ما حكاه عن كليمه: ﴿إنَّ مَعِي رَبّي سَيَهدِينِ﴾[3].

وتكرير الضمير للتنصيص على التخصيص بالاستعانة، وإلّا لاحتمل تقدير مفعولها مؤخّراً فيفوت؛ ولئلّا يذهب الذهن إلى أنّ التخصيص إنّما هو بمجموع[4] الأمرين لا بكلّ واحد منهما، مع أنّه هو المطلوب؛ وللاستلذاذ بالخطاب؛ ولبسط الكلام مع

١. لم نعثر عليه.

٢. التوبة (٩): ٤٠.

٣. الشعراء (٢٦): ٦٢.

٤. في «ع» و «س»: «المجموع».

المحبوب، كما في قول موسى ـ على نبيّنا وعليه‌السلام ـ: ﴿هي عصايَ﴾[١].

[وجوه إيثار صيغة المتكلّم مع الغير]

وإيثار صيغة المتكلّم مع الغير على المتكلّم وحده؛ للإرشاد إلى ملاحظة القارئ دخولَ الحَفَظَة، أو حُضّارَ صلاة الجماعة، أو كلَّ ذرّة من ذرّات وجوده من قُواه وحواسّه الظاهرة والباطنة وغيرها، أو جميعَ ما حَوَتْه دائرة الإمكان وانطوى عليه نطاق الحدوث واتّسم بسمة الوجود، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَإِنْ مِن شَيءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمدِه﴾[٢].

أو للإيذان بحقارة نفسه عند باب العظمة والكبرياء عن عرض العبادة منفرداً، وطلبِ الإعانة مستقلّاً من دون الانضمام والدخولِ في جملة جماعةٍ يشاركونه في عرض العبادة على ذلك الباب، وطلب الإعانة من ذلك الجناب، كما هو الدأب في عرض الهدايا على الملوك، ورفعِ الحوائج إليهم.

أو لقصد أنّه إنّما يتكلّم عن لسان غيره من المقرّبين الذين لهم أهليّة المخاطبة و عرض الحاجة لدى حضرة العزّة والجلال، و أمّا هو فبمراحلَ عن الجريان على ذلك المنوال.

أو لأنّ في خطابنا له ـ عزّ وعلا ـ بأنّ خضوعنا التامّ واستعانتنا في المهمّات منحصران فيه ـ جلّ شأنه ـ لا يتجاوزان عنه إلى غيره، مع خضوعنا الكامل لأهل الدنيا من الملوك والوزراء ومن ينخرط في سلكهم ـ جرأة[٣] عظيمة وجسارة بيّنة[٤]، فعدل في الفعلَين عن الإفراد إلى الجمع؛ بُعداً عن هذه الشُنعَة؛ لأنّه يمكن أن يقصد

١. طه (٢٠): ١٨.

٢. الإسراء (١٧): ٤٤.

٣. في هامش «ق» و «ش»: «منصوب على أنّه اسم «أنّ» في قوله: «أو لأنّ في خطابنا». (منه).

٤. في «م» و «ع»: «جرأة عظيمة بيّنة».

حينئذٍ تغليب الأصفياء الخُلَّص على غيرهم، فيُحْتَرز[1] عن تلك الفِرية الظاهرة والتهوّر الشنيع، بخلاف صيغة الإفراد.

روي عن مالك بن دينار ﷺ أنّه كان يقول: «لولا أنّني مأمور من الله تعالى بقراءة هذه الآية ما كنت أقرأُها قطّ لأنّي كاذب فيها»[2].

وما أحسن قول «رابعة العدوية» ـ رضي الله عنها ـ:

لَك ألْفُ مَـعبُودٍ مُطاعٍ أمـرُه ... دون الإله وتَدَّعي التَّـوحيدا[3]

أو لأنّ هنا مسألة فقهيّة هي أنّ مَن باع أمتعة مختلفة صَفْقةً واحدة، فكان بعضها مَعيباً، فإنّ المشتري لايصحّ له أن يأخذ الصحيح و يردّ المعيب، بل إمّا أن يردّ الجميع أو يَقبل الجميع، فأراد العابد أن يحتال لقبول عبادته، ويتوصّلَ إلى نَجاح حاجته [به][4]، فأدرج عبادتَه الناقصة المعيبة في عبادات غيره من الأولياء و المقرّبين، وخَلَطَ حاجتَه بحاجات مَن عَداه من الأصفياء المخلصين، و عَرَضَ الجميعَ صفقةً واحدة على حضرة ذي الجود والإفضال، فهو ـ عزّ شأنه ـ أجلّ من أن يردّ المعيب و يقبلَ الصحيح؛ كيف؟ وقد نهى عباده عن تبعيض الصفقة، ولايليقُ بكرمه ردّ الجميع، فلم يبقَ إلّا قبول الكلّ، و فيه المطلوب.

فهذه وجوه خمسة[5] في إيثار صيغة المتكلّم مع الغير على المتكلّم وحده. و بالله وحدَه الاعتصامُ.

١. في «ق» و «س»: «فتحرز».

٢. «تذكرة الأولياء» ص ٥٣. الطبع الفارسي.

٣. البيت لرابعة العدوية و لم نعثر على مصدره. وهي رابعة بنت إسماعيل العدوية، أُمّ الخير، مولاة آل عتيك، صالحة مشهورة، من أهل البصرة، و توفيت بالقدس سنة ١٣٥ هـ. لاحظ «الأعلام» للزركي، ج ٣، ص ١٠.

٤. مابين المعقوفتين أضفناه من «م».

٥. في هامش «ق» و «ش»: «هذه الوجوه أيضاً ممّا لم تجتمع في غير هذا التفسير». (منه ﷺ).

فصل

[في وجوه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب]

وما تضمّنته الآية الكريمة ـ من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب[1] ـ ينطوي على نكات فائقة ولطائفَ رائقة[2]، زيادةً على ما في مطلق الالتفات من المزيّة المقرَّرة في فنّ المعاني.

فمنها: التنبيه على أنّ القراءة ينبغي أن تكون صادرة عن قلبٍ حاضر و توجّه كامل، بحيث كلّما أجرى القارئ اسماً من تلك الأسماء العُليا، و نعتاً من تلك النعوت العُظمى على لسانه، وَنَقشه على صفحة جَنانه، حصل للمطلوب مزيدُ انكشاف وانجلاء، وأحسَّ هو بتزايد قرب واعتلاء، وهكذا شيئاً فشيئاً إلى أن يترقّى من مرتبة البرهان إلى درجة الحضور والعيان، فيستدعي المقام حينئذٍ العدولَ إلى صيغة الخطاب، والجريَ على ذلك النمط المستطاب.

ومنها: أنّ من بيده هدية حقيرة مَعيبة، وأراد أن يُهديها إلى مَلِكٍ عظيم، و يطلبَ منه حاجته، فإنْ عَرَضها عليه بالمواجهة، وطلب حاجته منه بالمشافهة، كان ذلك أقرب إلى قبول الهدية ونَجاح الحاجة من العرض بدون المواجهة؛ فإنّ في ردّ

١. في هامش «ع»: «وجوه أربعة عشر في نكات الالتفات في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولم يذكر في الكشّاف إلّا وجهاً واحداً. وأمّا البيضاوي فيمكن أن يستنبط من كلامه وجوه ثلاثة». (منه ﷺ).

٢. «راقَ، يَروقُ، رَوْقاً و رَوقاناً، فهو رائق، راقني الشيء: أعجبني» (لسان العرب» ج ١٠، ص ١٣٤، «روق»).

الهدية في وجه المُهدي لها كسراً عظيماً لخاطره، فلا يصدر عن الكريم.

ومنها: انطباق الكلام في هذه السورة الكريمة على قانون السلوك والسير إلى الحقّ سبحانه، وجريانُه على وفق حال السالك من مبادئ سيره إلى حين وصوله من اشتغاله بالذكر والفكرِ والتأمّلِ في أسمائه والنظرِ في آلائه والاستدلالِ بصنائعه على عظم[1] شأنه و باهر سلطانه، ثمّ لا يزال على ذلك، حتّى تلوح له بُروق الظهور، و تبدو له تباشير عزّ الحضور، و تؤدّيَه رياضة المجاهدة إلى روضة المشاهدة، فيخوضَ حينئذٍ لجّةَ الوصول، وتحترق حُجُب الغيبة بأنوار الشهود. رَزَقَنا اللهُ ـ سبحانه ـ وسائرَ الأحباب ذلك بمنّه وكرمه.

فقد تضمّنت هذه السورة شرح آداب السير إلى ذلك الباب، و تعليمَ قانون العروج إلى تلك الأعتاب، و الإرشادَ إلى ما هو ثمرةُ ذلك السير ونتيجتُه من المقامات العزيزةِ المَنال، والغايات التي لا يكشف عنها المَقال؛ ولعلّ ذلك هو المقتضي لوجوب قراءتها في الصلاة التي هي معراج العبد.

ومنها: أنّ الحمد لمّا كان عبارةً عن إظهار صفات الكمال، والنداء على الجميل ـ كما قاله صاحب الكشّاف[2] وغيرُه[3] ـ يكون المخاطب به غيرَه تعالى؛ إذ لا معنى لإظهار صفاته العُلْيا عليه ـ جلّ شأنه ـ، فالمناسب له طريق الغيبة. وأمّا العبادة: فهي أمر بين العبد وربّه، فلا وجه لإظهارها على الأغيار، بل ينبغي كتمانها عمّا عدى المعبود، و عدمُ إظهارها لأحد سواه؛ فالأنسب بها طريق الخطاب.

ومنها: التلويح بما ورد في الحديث: «أُعْبُدِ اللهَ كأنّك تَراه»[4]؛ ففي هذا الالتفات إشعار بأنّ العبادة السالمة عن القصور هي التي يكون العابد حالَ الاشتغال بها

١. في «ع» و «ش»: «عظيم».

٢. «الكشّاف» ج ١، ص ٤٦.

٣. كما في «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ٩.

٤. «حلية الأولياء» ج ٦، ص ١١٥؛ «مجمع الزوائد» ج ٢، ص ٤٠؛ «الترغيب والترهيب» ج ١، ص ٢٦٨، ح ٥؛ «كنز العمّال» ج ٣، ص ٢١، ح ٥٢٥٠ و ٥٢٥١.

مستغرقاً في بحر الحضور، كأنّه مشاهد لجلال معبوده، مطالع لجمال مقصوده.

ومنها: أنّ المقام مقام هائل عظيم يَتَلَجْلَج[١] فيه اللسان، ويُدْهَش عنده الإنسان؛ فإنّ المَلِك العظيمَ الشأنِ إذا أمر بعضَ عبيده بخدمةٍ، كقراءة كتاب ـ مثلاً ـ بحضرته، فربما غلبت مهابة ذلك المَلِك على قلبه، واستولت على لُبّه، وحصل له رعشة، واعتراه دهشة، فيتغيّر نَسَق كلامه، و يخرج عن أُسلوبه ونظامه، فمِن حقّ القارئ أن يحصل له مثل ذلك الحال، في مقام القيام عند سرادق العظمة و الجلال.

ومنها: الإشارة إلى أنّ حقّ الكلام أن يَجري من أوّل الأمر على طريق الخطاب؛ لأنّه ـ سبحانه ـ حاضر لايغيب، بل هوأقربُ من كلّ قريب، ولكنّه إنّما جرى على طريق الغيبة؛ نظراً إلى البُعد عن مَظانّ الزُلفى؛ رعايةً لقانون الأدب الذي هو دأب السالكين و قانون العاشقين، كما قيل: «طرق العشق كُلّها آداب». فلمّا حصل القيام بهذه الوظيفة، جرى الكلام على ما كان حقّه أن يجري عليه في ابتداء الذكر، فقد قال سبحانه: (أنا جَليسُ مَنْ ذَكَرَني)[٢].

ومنها: التنبيه على علوّ مرتبة القرآن المجيد، و اعتلاء شأنه، و سيّما آياته المتضمّنة لذكر الله ـ عزّ شأنه ـ، وأنّ العبد ـ بإجراء هذا القدر منه على لسانه ـ يصير أهلاً للخطاب، فائزاً بسعادة الحضور والاقتراب[٣]، فكيف؟ لو لازَمَ وظائفَ الأذكار، وواظب على تلاوته بالليل والنهار، فلاريب في ارتفاع الحُجُب من البَيْن، والوصولِ من الأثر إلى العين؛ وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «لَقَد تَجلّى اللهُ لعباده في كلامه ولكنْ لا يُبْصرُونَ»[٤].

١. تقدّمت ترجمته في ص ٩٤.

٢. «الكافي» ج ٢، ص ٤٩٦، باب مايجب من ذكر اللّه ـ عزّ وجلّ ـ في كلّ مجلس، ح ٤؛ «التوحيد» ص ١٨٢، باب (٢٨) نفي المكان والزمان ...، ح ١٧.

٣. في «ع» و «ش»: «والإقراب».

٤. «التنبيهات العليّة» للشهيدالثاني، ص ٢٧٠؛ «إحياء علوم الدين» ج ١، ص ٢٨٧.

وروي[١] عنه عليه السلام: أنّه خرَّ مَغشيّاً عَلَيه و هوَ في الصلاة، فسئل عن ذلك، فقالَ: «ما زِلتُ أُردِّدُ هذه الآيةَ، حَتى سَمعتُها مِن قائلها»[٢].

قال بعض أصحاب الحقيقة[٣]: إنّ لسان جعفر الصادق عليه السلام في ذلك الوقت كان كشجرة موسى ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ عند قول: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾[٤].

ومنها: أنّه لمّا كان الحمد وهو إظهار صفات الكمال في حال غيبة المحمود أولى و أتمّ، وكانت العبادة ممّا يليق للغائب وإنّما يستحقّها مَن هو حاضر لا يغيب، كما حكى سبحانه عن إبراهيم ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾[٥]، لاجرم[٦] عَبَّرَ ـ سبحانه ـ عن الحمد و إظهار صفات الكمال بطريق الغيبة، و عنها بطريق الخطاب والحضور؛ إعطاءً لكلٍّ منهما ما هو به حقيق، من الأُسلوب الفائق الرشيق.

ومنها: أنّ العابد لمّا أراد أن يتكلّم عن لسان غيره من الأولياء والمقرَّبين، وَيمزُجَ عبادتَه المَعيبةَ بعبادتهم لتَقبلَ ببركتها ـ على ما مرّ ـ ساق الكلام على النمط اللائق بحالهم، والنَسَق المناسب لمقامهم ومقالهم؛ فإنّ مقامَهم مقامُ الخطاب مع حضرة المعبود؛ لارتقائهم عن عوالم الغيبة إلى معالم الحضور والشهود، ولو أتى بما يُنبئُ عن الغيبة، لكان كالإزراء بشأنهم، والإغضاء عن رفعة مكانهم.

١. في هامش «ع» و «ق» و «ش»: «وقد أورد الشيخ الجليل عبدالرزّاق الكاشي هاتين الروايتين في صدر كتاب «التأويلات»، وأوردهما غيره أيضاً». (منه ﷺ).

٢. «التنبيهات العليّة» للشهيد الثاني، ص ٢٧٠؛ «إحياء علوم الدين» ج ١، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

٣. في هامش «ش»: «المراد به الشيخ السهروردي». (منه ﷺ).
وأيضاً في هامش «ش» و «ق»: «هوالعارف الشيخ شهاب الدين، قلت: هذا مقام الفناء في الله، فينبغي صفح الكشح عن هذا المقال، ولايتعاطيه أحد من أصحاب الحال إلّا من تخلّق بأخلاق الله، وتحلّى بحلية أنوار جمال الله، وتحرق غواشيه الجسمانية بإشراقات جلال الله». (كتبه حاجي بابا).

٤. القصص (٢٨): ٣٠.

٥. الأنعام (٦): ٧٦.

٦. خبر «كان» في قوله: «لمّا كان الحمد ...».

ومنها: أنّ العابد لمّا رام[١] التشبُّهَ بالقوم الذين لايَشقى من تشبَّه بهم، سلك مسالكهم في الذكر و الفكر و التأمّل في تلك الأسماء العظيمة والصفات الجليلة، ثمّ انخرط في سلكهم، وتطفَّل عليهم، و تكلّم بلسانهم، وساق كلامه على طبق مساقهم، عسى أن يصير بمضمون «مَنْ تَشَبّه بقومٍ فهو منهم»[٢] محسوباً في عدادهم، و مندرجاً في سياقهم.

ومنها: الإشارة إلى أنّ مَنْ لزم جادّة الأدب والانكسار، ورأى نفسه بمراحلَ عن ساحة القرب لغاية الاحتقار، فهو حقيقٌ أن تُدركَه رحمة إلهيّه، وتَلحقَه عنايةٌ أزليّة، تجذبه إلى حظائر[٣] القدس، وتوصلَه إلى مَحاضر الأُنس، فيقومَ على بساط الاقتراب، و يفوزَ بعزّ الحضور والخطاب.

ومنها: أنّه لمّا لم يكن في ذكر صفات الكمال مزيدُ كلفةٍ بخلاف العبادة؛ فإنّها ـ لعِظَم خَطْبها ـ مشتملةٌ على كلفة و مشقّة، ومن دأب المحبّ أن يتحمّل من المَشاقّ العظيمة في حضور المحبوب ما لايتحمّل عُشْرَ عَشِيرٍ في غيبته، بل يحصل له بسبب ذلك الاطّلاع والحضور غايةُ الابتهاج والسرور، قَرَن[٤] ـ سبحانه ـ العبادةَ بما يشعر بحضوره ونظره ـ جلّ وعلا ـ إلى العابد؛ ليحصل بذلك تداركُ ما فيها من الكلفة، و ينجبرَ ما يلزمها من المشقّة، ويأتيَ بها العابد خاليةً عن الكَلال، عاريةً عن الفتور والملال، مقرونةً بكمال النشاط، موجبةً لتمام الانبساط.

ومنها: أنّ الحمد ـ كما سبق[٥] ـ إظهار صفات الكمال على الغير، فما دام للأغيار

١. «رامَ، يَرومُ، رَوْماً و مراماً، رام الشيء: طَلَبه» (لسان العرب» ج ١٢، ص٢٥٨، «روم»).

٢. «سنن أبي داود» ج ٤، ص ٤٤، كتاب اللباس، باب (٥) في لبس الشهرة، ح ٤٠٣١؛ «إحياء علوم الدين» ج ١، ص ٢٦٩.

٣. في «ق» و «ش» و «د» و «ع»: «حضائر». والصحيح ما أثبتناه في المتن كما في «م» و «س». و «حظيرةُ القُدس»: الجنّة. انظر «لسان العرب» ج ٤، ص ٢٠٤، (حظر). وأيضاً سيأتي ذكر هذه الكلمة في ص ١٤٣.

٤. جواب قوله: «لمّا لم يكن في ذكر صفات ...».

٥. تقدّم في ص ١٣١.

وجود في نظر السالك، فهو يواجههم بإظهار كمالات المحبوب عليهم، و ذِكْرِ مآثره الجليلة لديهم؛ وأمّا إذا آل أمره ـ بملاحظة الآثار وملازمة الأذكار ـ إلى ارتفاع الحُجُب والأستار، واضمحلالِ جميع الأغيار، لم يبق في نظره سوى المعبود بالحقّ، والجمال المطلق، وانتهى إلى مقام الجمع، و صار ﴿أينَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّه﴾[1]. فبالضرورة لا يصير توجيه الخطاب إلّا إليه، ولا يمكن ذكر شيء إلّا لديه؛ فينعطف عنان لسانه نحوَ عزّ جنابه، ويصير كلامه منحصراً في خطابه. وفوق هذا المقام مقام لا يفي بتقريره الكلامُ، ولا تقدر على تحريره الأقلام، بل لا يزيده الكشف إلّا ستراً وخفاءً، ولا يكسبه البيان إلّا غموضاً واعتلاءً.

وإنّ قميصاً خيط من نسج تسعة ... وعشرين حرفاً عن معاليه قاصر[2]

فهذه أربعة عشر وجهاً في نكات هذا الالتفات، لم تنتظم إلى هذا الزمان في سلك[3]. والله الهادي.

اللّهمّ! هَبْ لنا نفحةً من نفحات قُدْسك، تكشف عن بصائرنا الفواشيَ الجسمانيّةَ، و تَصرف عن ضمائرنا النواشئَ الهيولانيّةَ؛ واجعَلْ أعينَ قلوبنا وقفاً على ملاحظة جلالك، طلقاً في مطالعة أنوار جمالك، حتّى لا نطمَح[4] إلى من سواك بنظر، ولا نحسَّ[5] منه بعين ولا أثر؛ واجمَعْ بيننا وبين إخوان الصفا في دار المُقامة؛ وألبِسْنا وإيّاهم حُلَلَ الكرامة في يوم القيامة؛ إنّك جواد كريم، رؤوف رحيم.

١. البقرة (٢): ١١٥. وفي المصحف الشريف: (فأينما ...).

٢. انظر «روح المعاني» ج ١، ص ٩٠، مع تفاوت.

٣. في هامش «ق» و «ش»: «اجتماع هذه الوجوه الأربعة عشر في هذا التفسير من جملة مزاياه التي امتاز بها عن باقي التفاسير». (منه ﷺ).

٤. في «ع» و «س»: «ولا تطمح».

٥. في «م» و «ق»: «ولا تحس».

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[الهداية]

المستنبَط من تتبّع موارد استعمال أهل اللسان للهداية أنّها مطلق الإرشاد والدلالة بلطفٍ، سواء كان معها وصولٌ إلى البُغية[1] أم لا، وبه صرّح اللغويّون[2]. ومنه الهِدْيَةُ؛ لما فيها من الدلالة على ما يراد من المُهدى إليه، وهَوادي[3] الوحش، لمقدّماتها الدالّة لها على الماء والكلأ.

وقولُه ـ عزّ وعلا ـ: ﴿فَاهدُوهُم إلى صِراطِ الجَحيم﴾[4] تهكّمٌ من قبيل ﴿فَبَشِّرْهم بِعذَاب أَليم﴾[5].

وزعم بعض المتأخّرين اختصاصها بالدلالة الموصِلة إلى البُغية[6].

وآخرون منهم[7] أنّها إن تعدّت إلى المفعول الثاني بنفسها فموصلة، ولاتسنَد إلّا

١. «البُغْيَةُ: الحاجة». انظر «أقرب الموارد» ج ١، ص ٥٣، «بغي».

٢. «الصحاح» ج ٦، ص ٢٥٣٣؛ «لسان العرب» ج ١٥، ص ٢٥٩؛ «مقاييس اللغة» ج ٦، ص ٤٢، «هدي».

٣. «هوادي الوحش: أوائلها، وهوادي الخيل: أعناقها؛ لأنّها أوّل شيء من أجسادها، وقد تكون الموادي أوّل زَعيل يَطْلُع منها؛ لأنّها المتقدّمة». انظر «لسان العرب» ج ١٥، ص ٣٥٧، «هدي».

٤. الصافّات (٣٧): ٢٣.

٥. آل عمران (٣): ٢١؛ التوبة (٩): ٣٤؛ الانشقاق (٨٤): ٢٤.

٦. «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، ج ١، ص ١٤٧.

٧. انظر «حاشية السيّد الشريف الجرجاني على الكشّاف» ج ١، ص ٦٧؛ «البحر المحيط» لأبي حيّان، ج ١، ص ١٤٣.

إليه سبحانه، كما في الآية التي نحن فيها، و قولهِ تعالى: ﴿والَّذينَ جاهدوا فينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا﴾[١].

وإن تَعدّت بالحرف فهي مطلق الدلالة، وكما تسند إليه ـ عزّ شأنه ـ تسند إلى غيره[٢]، كما قال ـ جلّ شأنه ـ: ﴿وإنّك لَتَهدي إلى صِراطٍ مُستقيمٍ﴾[٣] و﴿إنّ هذا القرآنَ يَهدي للَّتي هي أقوَمُ﴾[٤].

وقد يُخدش كلا الزعمَين بقوله تعالى: ﴿وَهَدَيناهُ النَّجدَينِ﴾[٥]؛ إذ لا امتنان في الإيصال إلى طريق الشرّ.

وأوّلهُما[٦] بقوله تعالى: ﴿وأمّا ثَمودُ فَهَدَيناهُمْ فَاستَحَبُّوا العَمى على الهُدى﴾[٧].

ووصولُهم[٨] إلى المطلوب ثمّ ارتدادهم مخالفٌ للنقل[٩]، وقولُه ـ عزّ من قائل ـ: ﴿إنّك لاتَهدي مَنْ أحْبَبتَ﴾[١٠] أخصُّ من مطلوبهم[١١] نحن لاننكر مجيئها بمعنى الدلالة الموصلة؛ على أنّ الحمل على إرادة أنّك لاتتمكّن من إراءة الطريق لكلّ من أحببته، بل لمن أردنا ممكنٌ.

وثانيهما[١٢] ـ أعني ما تضمّنه أوّلُ شقّيه من اختصاص الإسناد ـ بحكايته

١. العنكبوت (٢٩): ٦٩.

٢. «حاشية السيّد الشريف الجرجاني على الكشّاف» ج ١، ص ٦٧.

٣. الشورى (٤٢): ٥٢.

٤. الإسراء (١٧): ٩.

٥. البلد (٩٠): ١٠.

٦. أي: ويخدش أوّل الزعمَين، وهو اختصاص الهداية بالدلالة الموصلة.

٧. فصّلت (٤١): ١٧.

٨. في هامش «د»: «دفع لما قاله الفاضل مولانا عبدالله اليزدي ﷺ».

٩. في هامش «د»: «أي لقوله تعالى: ﴿ونَجّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منّا﴾، هود (١١): ٦٦. ولما صرّح به أئمّة التفسير والتواريخ».

١٠. القصص (٢٨): ٥٦.

١١. في هامش «د»: «ردّ لما استدلّ به القائلون بالاختصاص من أنّ النفي متعلّق في الآية بعدم الإيصال؛ إذ لامعنى لتعلّقه بعدم الإرادة؛ لأنّه ﷺ كان يفعلها».

١٢. أي: ويخدش ثاني الزعمَين، وهو التفصيل بين التعدّي بنفسها والتعدّي بالحرف.

ـ جلّ وعلا ـ قولَ إبراهيم ـ على نبيّنا وعليه السلام ـ لأبيه: ﴿فاتَّبِعني أهدِكَ صراطاً سَوِيّاً﴾[١]، وقولَ مؤمن آل فرعون: ﴿يا قوم اتَّبِعُونِ أَهدِكُم سَبيلَ الرَّشاد﴾[٢].

وقد يستدلّ على الزعم الأوّل[٣] بوجوه:

منها: وقوع الضلالة في مقابلة الهداية، ويرشد إليه قوله تعالى: ﴿أُولئك الَّذينَ اشتَروا الضَّلالَةَ بالهُدى﴾[٤]، وعدمُ الوصول معتبر في مفهوم الضلالة، فيعتبر الوصول في مفهوم الهداية ليتحقّق التقابل.

والبحث وإن كان في الهداية المتعدّية ـ والمقابلُ للضلالة هو الهداية اللازمة بمعنى الاهتداء، كما أنّ المقابل للضلالة هو الهدى اللازم؛ و في «الصحاح»[٥]: «هدَىٰ» و «اهتدَىٰ» بمعنىً[٦] ـ إلّا أنّ اعتبار الوصول في مفهوم اللازم يقتضي اعتبارَه في مفهوم المتعدّي؛ فحيث إنّ الهداية اللازمة هي التوجّه الموصِل المقابلة للضلالة التي هي توجّهٌ غير موصل، تكون المتعدّية هي التوجيه الموصل.

وأُورد عليه: أنّ المقابلة تَستَتبِعُ[٧] بكون الهداية توجّهاً صادراً عن بصيرة إلى ما مِن شأنه الإيصال إلى المطلوب، و كون الضلالة توجّهاً زائفاً[٨] إلى ما ليس من شأنه الإيصال إلى المطلوب قطعاً.

ودعوى أنّ الوصول الفعلي معتبر فيها ـ كعدمه في مقابلها ـ غير مسموعة، كيف؟ ومجامعته لها في الوجود غير ممكنة؛ إذ هو غاية للتوجّه، فتنتهي عنده لا محالة؛

١. مريم (١٩): ٤٣.
٢. غافر (٤٠): ٣٨.
٣. أي: اختصاص الهداية بالدلالة الموصلة.
٤. البقرة (٢): ١٦.
٥. استشهاد لمجيء الهداية بمعنى الاهتداء. (من هامش «د»).
٦. «الصحاح» ج ٦، ص ٢٥٣٣، «هدى».
٧. «اسْتَتَبَ الأَمْرُ: تَهَيَّأَ واستوى واستقام وتبيّن» («لسان العرب»، ج ١، ص ٢٢٦، «تبب»).
٨. «الزَّيغُ: المَيلُ» («لسان العرب»، ج ٨، ص ٤٣٢، «زيغ»).

ضرورة امتناع التوجّه إلى تحصيل ما هو حاصل، وإنّما[1] التوجّه بعد ذلك إلى الثّبات، بخلاف مجامعة عدمه لمقابلها؛ فإنّها متحقّقة مستمرّة باستمراره.

ولا يجوز أن يراد لزوم ترتّبه عليها؛ للزوم كون السالك المُقْبِلِ بقلبه وقالبه على سلوك طريق من شأنه حصول الوصول بسلوكه، إذا تخلّف وصوله لأمر خارجيّ، كحلول أجله ـ مثلاً ـ ولم يحصل منه تقصير ولا تَوانٍ[2] ضالّاً؛ إذ لا واسطة بين الهداية والضلالة.

ومنها: أنّه يقال في المدح: «مَهدِيّ» كما يقال: «مُهْتَدٍ»، ولا مدح إلّا بالوصول إلى الكمال.

وخُدِش بأنّ الاستعداد للكمال والوصول إليه بالقوّة القريبة من الفعل مزيّةٌ يستحقّ المدحَ عليها؛ و كونُ التمكّن مع عدم الوصول نقيصةً يستحقّ الذمَّ عليها إنّما هو مع ترك الوصول بالاختيار، لا لاختزام[3] المَنِيّة ونحوها، كما قلناه الآنَ.

وبأنّ المَهدِيَّ يراد به ـ بقرينة مقام المدح ـ المنتفعُ بالهدى مجازاً؛ وكون الأصل في الإطلاق الحقيقة إنّما يُجدي عند الاستعمال بلا قرينة.

ومنها: أنّ «اهتدى» مطاوع «هدى»، يقال: «هديتهُ فاهتدى». و المطاوعة حصول الأثر في المفعول بسبب تعلّق الفعل المتعدّي به؛ فلا يكون المطاوع مخالفاً لأصله إلّا في التأثّر والتأثير؛ ففي المنكسر حالة يسمّى قبولُها انكساراً، و تحصيلُها كسراً، فلو لم يكن في الهداية إيصال، لم يكن في الاهتداء وصولٌ.

ولا يرد «أمرته فلم يأتمر» و «علّمته فلم يتعلّم»؛ لأنّ حقيقة الايتمار صيرورته مأموراً، وهو بهذا المعنى مطاوع للأمر، ثمّ استعمل في الامتثال مجازاً، حتّى صار

١. في هامش «د»: «دفع لما يتوهّم من أنّه حينئذٍ لا معنى لطلب الهداية هنا؛ فإنّه ليس إلّا تحصيل حاصل، فأجاب بقوله: «إنّما... الخ». والحاصل أنّ ﴿اهدنا﴾ هنا بمعنى ثَبِّتْنا».

٢. في هامش «د»: «هذا إذا لم يعتبر عدم المانع في تلك اللزوم؛ وأمّا مع اعتباره فلا لزوم. فتدبّر».

٣. «اختَرَمَتْه المَنِيّةُ: أخَذَتْه. واختُرِمَ فلانٌ عنّا: مات وذهب» (لسان العرب، ج ١٢، ص ١٧٢، «خرم»).

حقيقة عرفيّة فيه؛ وليس مطاوعاً له بهذا المعنى وإن ترتّب عليه في الجملة كالمطاوع؛ وليس المراد بالتعليم تحصيلَ العلم في المتعلّم، بل إلقاءَ المبادئ التعليميّة عليه، و سوقَها إلى ذهنه شيئاً فشيئاً.

وقد يُخدَش بأنّا إن تنزّلنا و سلّمنا لكم جميعَ ذلك[1]، فلانسلّم اعتبارَ الوصول في الاهتداء ـ كما مرّ ـ؛ فإنّه ممّا لم يقم عليه دليل. والله أعلم.

١. في هامش «ع»: «أي عدم مخالفة المطاوع حاصل لا في التأثير والتأثّر، وإنّ «أمرته فلم يأتمر» مجاز، وإنّه ليس المراد بالتعليم تحصيل العلم في المنعم». (منه ﷺ).

فصل

[في أقسام الهداية]

أقسام هدايته ـ جلّ شأنه ـ وإن كانت ممّا لا يُحصَر قدره، ولا يقدَّر حصره إلّا أنّها على أربعة أنحاء:

أوّلها: الدلالة على جلب المنافع و دفع المضارّ بإفاضة القوى التي يتوصّل بها إلى ذلك، كالحواسّ الباطنة والمشاعر الظاهرة والقوّة العقليّة؛ وإليه يُشير قوله ـ عزّ من قائل ـ: ﴿أَعْطى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى﴾[1].

وثانيها: الدلالة بنصب الدلائل العقليّة الفارقةِ بين الحقّ والباطل، والصلاحِ والفساد؛ وإليه يشير قوله ـ عزّ وعلا ـ: ﴿وَهَدَيناهُ النَّجدَينِ﴾[2].

وثالثها: الدلالة العامّة بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ ولعلّه المراد بقوله ـ جلّ شأنه ـ: ﴿وأمّا ثَمودُ فَهَدَيناهُم فَاستَحَبُّوا العَمى على الهُدى﴾[3].

وقد يُجعل منه قولهُ تعالى: ﴿وَجَعَلْناهم أئمّةً يَهدُونَ بأمرِنا﴾[4]. و قولُه ـ سبحانه ـ: ﴿إنّ هذا القُرآنَ يَهدى للّتى هِى أقوَمُ﴾[5].

١. طه (٢٠): ٥٠.
٢. البلد (٩٠): ١٠.
٣. فصّلت (٤١): ١٧.
٤. الأنبياء (٢١): ٧٣.
٥. الإسراء (١٧): ٩.

ورابعها: الدلالة على طريق السير والسلوك والانجذاب إلى حظائر[١] القدس ومحاضر الأُنس بانطماس آثار التعلّقات الجسمانيّة، واندراس أغشية الجلابيب الهيولانيّة، فيَكشف على قلوبهم السرائرَ، ويُريهم الأشياءَ كما هي بالوحي أو الإلهام أو المنامات الصادقة، ويشغلهم عن ملاحظة ذواتهم و صفاتهم بالاستغراق في ملاحظة جلاله، ومطالعةِ أنوار جماله.

وهذا قسم يختصّ بنيله الأنبياء، ثمّ الأولياء، ثمّ مَن يحذو حَذْوَهم مِن أصحاب الحقائق الذين نفضوا ذيولَهم من غبار هذه الدار الدنيّة، وكحّلوا عيونهم بكحل الحكمة النبويّة، وإيّاه عنى بقوله ـ عزّ وعلا ـ: ﴿أُولئك الذين هَدَى اللهُ فَبِهُدىهُمُ اقتَدِه﴾[٢]. وقولِه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَالَّذين جاهَدوا فينا لَنَهدِيَنَّهم سُبُلَنا﴾[٣]. فإذا تلا هذه الآيةَ أصحابُ المرتبة الثالثة، أرادوا بالهداية المرتبةَ الرابعة؛ وإذا تلاها أصحابُ المرتبة الرابعة، أرادوا زيادةَ ما منحوه من الهدى، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذينَ اهتَدَوا زادَهُم هُدىً﴾[٤]، أو الثباتَ عليه، كما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: «﴿اهدنا﴾: ثبّتنا»[٥].

ولفظ الهداية على الثاني[٦] مجاز؛ إذ الثبات على الشيء غيرُه. وأمّا على الأوّل[٧]، فإن اعتبر مفهوم «الزيادة» داخلاً في المعنى المستعمل فيه، فمجاز[٨] أيضاً؛ وإن اعتبر خارجاً عنه، مدلولاً عليه بالقرائن، فحقيقة؛ لأنّ الهداية الزائدة هداية، كما أنّ العبادة

١. في النسخ المخطوطة: «حضائر»؛ والصحيح ما أثبتناه في المتن، و مرّت ترجمتها في ص ١٣٤.

٢. الأنعام (٦): ٩٠.

٣. العنكبوت (٢٩): ٦٩.

٤. سورة محمّد صلى الله عليه وآله (٤٧): ١٧.

٥. «الكشّاف» ج ١، ص ٦٧؛ «معالم التنزيل» للبغوي، ج ١، ص ٤١.

٦. أي: على إرادة الثبات.

٧. أي: على إرادة الزيادة.

٨. في هامش «ق» و «ش» و «ع»: «لأنّ الهداية لم توضَعْ لمفهوم الزيادة و إن كان الزائد هداية. فافهم». (منه ﷺ).

الزائدة عبادة، فلايلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز.

هـذا، والأصـل فـي الهـدايـة أن تـتعدّى بـ«اللام» أو «إلى» وتـعديتها هـنا من قبيل الحذف والإيصال كتعدية «اختار» فـي قـوله تـعالى: ﴿واختارَ مـوسى قَومَهُ﴾[١].

والصراط: الجادّة، مِن سَرِطَ الطعام ـ بالكسر والفتح ـ إذا ابتلعه، فكأنّه يسترط السابلةَ[٢]، أو هم يسترطونه؛ و لذلك سمّي «لَقَماً» ـ بفتحتَيْن ـ كأنّه يلتقمهم، أو كأنّهم يلتقمونه.

وجمعه: سُرُط، ككِتاب و كُتُب، و هو كالطريق في جواز التذكير و التأنيث.

وأصله «السين»، قُلبت صاداً؛ لتُطابِقَ الطاءَ في الإطباق، كمُصَيطِر في مسـيطر. وقد يشمّ «الصاد» صوت «الزاي»؛ ليكون أقربَ إلى المبدل عنه. وقرأ ابن كـثير و رُوَيْس عن يعقوب «بالأصل»[٣]؛ و حمزةُ «بالإشمام»[٤]؛ والباقون «بالصاد» و هـي لغة قريش[٥].

والمراد بالصراط المستقيم طريقُ الحقّ[٦] أو دين الإسلام؛ و روي أنّ المـراد بـه كتاب الله[٧]. فالمطلوب الهداية إلى فهم معانيه، وتدبّر مقاصده، و استنباط الأحكام،

١. الأعراف (٧): ١٥٥.

٢. «السابِلَةُ: أبناء السبيل المختلفون على الطُرُقات في حوائجهم» («لسان العرب» ج ١١، ص ٣٢٠، «سبل»).

٣. انظر «حجّة القراءات» ص ٨٠؛ «الحجّة للقرّاء السبعة» ج ١، ص ٤٩؛ «مجمع البـيان» ج ١، ص ٦٥؛ «الكشـف عن وجوه القراءات السبع» ج ١، ص ٣٤.

٤. انظر «حجّة القراءات» ص ٨٠؛ «الحجّة للقرّاء السبعة» ج ١، ص ٤٩؛ «التبيان» ج ١، ص ٤٠؛ «مـجمع البـيان» ج ١، ص ٦٥.

٥. انظر «حجّة القراءات» ص ٨٠؛ «الحجّة للقرّاء السبعة» ج ١، ص ٤٩؛ «الكشّاف» ج ١، ص ٦٨؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٦٥.

٦. في هامش «ق» و «ش»: «المراد بطريق الحقّ كلُّ جزئيّ من جزئيّات الاعتقادات الموافقة للـواقـع والأعـمـال التي تترتّب عليهاالسعادة الأُخرويّة و إن لم يتوقّف عليها حصولُ أصل الإسلام». (منه ﷺ).

٧. «التبيان» ج ١، ص ٤٢؛ «معالم التنزيل» للبغوي، ج ١، ص ٢٩.

والتعمّق في بطون آياته؛ «فإنّ لكلّ آية ظهراً وبطناً»[١].

١. «تفسير العيّاشي» ج ١، ص ١١، ح ٥؛ وانظر ص ١١، ح ٢؛ و ص ١٢، ح ٨، نحوه. وإليك نصّ الحديث: عن الفضيل بن يسار، قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن هذه الرواية «ما في القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلّا وله حدّ ولكلّ حدّ مطّلع» ما يعني بقوله: «لها ظهر وبطن»؟ قال: «ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجري كما يجري الشمس والقمر، كلّ ما جاز منه شيء وقع، قال اللّه تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلّا اللّه والراسخون في العلم﴾ [نحن نعلمه].

﴿صراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِم غَيْرِ المغضوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

[بحث في القراءة]

كلّ من عدّ البسملةَ من الفاتحة، عدّ هذه بأجمعها سابعةَ آياتها؛ و من لم يعدّها آيةً، عدّ ﴿صراطَ الذين أنعمتَ عليهم﴾ سادسةَ الآيات، و ﴿غيرالمغضوب عليهم ولا الضّالّين﴾ سابعتَها.

ومذهب أصحابنا ـ رضوان الله عليهم ـ هو الأوّل[1]، فينبغي لكاتب المصحف منّا تركُ علامة الآية بينهما.

ومن نذر قراءة آيةٍ، لم يخرج عن العهدة ـ عندنا ـ إلّا بقراءة المجموع؛ وأمّا مايتراءى ـ من خروجه عن العهدة قطعاً بقراءة «صراط الذين أنعمت عليهم»؛ لأنّها آية على بعض القراءات المتواترة، أعني: قراءة مَن لم يجعل البسملةَ من الفاتحة ـ فهو كما ترى[2].

وهذه الآية كالتفسير والبيان للصراط المستقيم، و«صراط» بدلُ كلٍّ منه، وفائدته التأكيد والتنصيص على أنّ الطريق الذي هو عَلَم في الاستقامة هو طريق الذين أنعم

١. كما في «التبيان» ج ١، ص ٢٤؛ و «مجمع البيان» ج ١، ص ٥٠.

٢. في هامش «ع»: «للإجماع منّا على أنّه لم يقرأ آية، وتواتر عدد الآيات ممنوع». (منه ﷺ).

الله عليهم؛ حيث جُعل مفسِّراً و موضِحاً للصراط المستقيم، كما تقول: «هل أدلّك على أكرم الناس فلان»؛ فإنّ هذا أبلغُ في وصفه بالكرم من قولك: «هل أدلّك على فلان الأكرمِ»؛ لجعلك إيّاه تفسيراً وإيضاحاً لـ«الأكرم» بخلاف العكس.

والمراد بهم[١] المذكورون في قوله ـ عزّ وعلا ـ: ﴿فَأُولئك مَعَ الَّذينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهم مِنَ النَّبيّينَ وَالصِّدّيقين وَالشُّهداءِ وَالصالحين﴾[٢].

وقيل: المراد بهم المسلمون؛ فإنّ نعمة الإسلام أصلُ جميع النعم ورأسها[٣].

وقيل: الأنبياء عليهم السلام[٤].

وقيل: أصحاب موسى عليه السلام و عيسى عليه السلام قبل التحريف والنسخ[٥].

[بحث في الإنعام]

والإنعام: إيصال النعمة، وهي في الأصل مصدر بمعنى الحالة التي يستلذّها الإنسان، ككونه ذا مالٍ وبنين مثلاً، ثمّ أُطلقت على نفس الشيء المستلَذّ، من تسمية السبب باسم المسبّب؛ ونِعَمُ اللهِ سبحانه وإن جلّت عن أن يحيطَ بها نطاقُ الإحصاء ـ كما قال جلّ شأنه: ﴿وإنْ تَعُدّوا نِعمتَ اللّهِ لا تُحْصُوها﴾[٦] ـ إلّا أنّها جنسان: دنيويّ

١. أي: بالذين أنعمت.

٢. كما ورد في «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٠. والآية المذكورة في سورة النساء (٤): ٦٩.

٣. وهو قول وكيع على ما حكي عنه في «جامع البيان في تفسير القرآن» ج ١، ص ٥٩؛ «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، ج ١، ص ٣١؛ و «تفسير أبي السعود» ج ١، ص ١٨.

٤. وهو قول قتادة على ما حكي عنه في «البحر المحيط» ج ١، ص ١٤٧.

وفي هامش «د»: «وليس المراد بصراطهم شريعتهم؛ لاختلافها ونسخ أكثرها، بل طريقهم في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ومراقبة الحقّ ـ تعالى ـ في سائر الأحوال، أو ما هم متّفقون عليه من أُصول الدين واجتناب الفواحش وسائر ما لا يتغيّر بتغيّر الشرائع. وهذا القول منسوب إلى قتادة، والقول الذي بعده منسوب إلى ابن عبّاس». (من حاشيته ـ ﷺ ـ [على تفسير البيضاوي]).

٥. وهو قول ابن عبّاس على ما حكي عنه في «الكشّاف» ج ١، ص ٦٩؛ و «البحر المحيط» ج ١، ص ١٤٧.

٦. إبراهيم (١٤): ٣٤.

و أُخرويّ، وكلّ منهما: إمّا موهبيّ أو كسبيّ، و كلٌّ منها[1]: إمّا روحانيّ أو جسمانيّ؛ فهذه ثمانية أقسام:

[الأوّل]: دنيويّ موهبيّ روحاني، كنفخ الروح وإفاضة العقل والفهم.

[الثاني]: دنيويّ موهبيّ جسماني، كخلق الأعضاء وقُواها.

[الثالث]: دنيويّ كسبيّ روحاني، كتخلية النفس عن الأُمور الدَنيّة، و تحليتها بالأخلاق الزكيّة والمَلَكات السنيّة.

[الرابع]: دنيويّ كسبيّ جسماني، كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة و الحُلِيّ المستحسنة.

[الخامس]: أُخرويّ موهبيّ روحاني، كأن يَغفر ذنوبنا، ويَرضى عنّا من غير سبق توبة.

[السادس]: أُخرويّ موهبيّ جسماني، كالأنهار من اللبن والأنهار من العسل.

[السابع]: أُخرويّ كسبيّ روحاني، كالغفران والرضا مع سبق التوبة، وكالملذّات الروحانيّة المستجلبة بفعل الطاعات.

[الثامن]: أُخرويّ كسبيّ جسماني، كالملذّات الجسمانيّة المستجلبة بالفعل المذكور.

والمراد ـ هنا ـ الأربعة الأخيرة، و ما يكون وسيلة إلى نيلها من الأربعة الأُوَل.

[بحث في الغضب والضلال]

والغضب: ثَوَران النفس لإرادةالانتقام؛ فإن أُسند إليه ـ سبحانه ـ فباعتبار غايته على قياس ما مرّ[2] في تفسير البسملة[3]. وفي العدول عن إسناده إليه ـ جلّ شأنه ـ

١. في بعض النسخ: «منهما».

٢. مرّ في ص ١٠٣.

٣. في هامش «ع»: «من أنّ صفاته ـ تعالى ـ إنّما هي باعتبار الغايات، لا باعتبار المبادي». (منه ﷺ).

ببناء صيغته للمجهول، والتصريح بإسناد عديله[١] إليه ـ عزّ سلطانه ـ تشييدٌ لمعالم العفو والرحمة، وتأكيد لمعاهد الجود والكرم؛ فكأنّ الغضب صادر عن غيره ـ عزّ وعلا ـ وإلّا فالظاهر «غيرالذين غضبتَ عليهم».

وعلى هذا النمط من التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد، جرى قوله ـ تعالى شأنه ـ: ﴿لَئن شَكرتُم لأزيدنَّكم ولَئن كفرتُم إنّ عَذابي لشديدٌ﴾[٢]؛ حيث لم يقل: «لأُعَذِّبنّكم».

وأغلب الآيات المتضمّنة لذكر العفو والعقاب مؤذنةٌ بترجيح جانب العفو إيذاناً ظاهراً، كما في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لمَنْ يشاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وكانَ اللّه غَفُوراً رَحيماً﴾[٣]؛ فإنّ ظاهر المقابلة يقتضي: «وكان الله غفوراً معذّباً أو منتقماً» و نحوَ ذلك، فعدل ـ سبحانه ـ عنه إلى تكرير الرحمة؛ ترجيحاً لجانبها، و كما في قوله ـ عزّ سلطانه ـ: ﴿غافرِ الذَّنبِ وقابلِ التّوبِ شديدِ العِقابِ ذِي الطَّولِ﴾[٤]؛ حيث وحّد ـ جلّ وعلا ـ صفةَ العقاب، وجعلها مغمورة بالمتعدّد من صفات الرحمة، إلى غير ذلك من الآيات البيّنات.

والضلال: العدول عن الطريق السَّويّ ـ عمداً أو خطأً ـ وله عرض عريض، ويكفي في التنبيه على تشعّب طرقه، و تكثّرها قولُه ﷺ: «ستُفَرَّق أُمّتي ثلاثاً و سبعين فرقةً، فرقةٌ ناجيةٌ والباقونَ في النار»[٥].

وأيضاً فالمستقيم من الواصلة بين النقطَتَيْن واحد، و أمّا المُعْوَجّات فلا حدّ لها.

١. أي: الإنعام.

٢. إبراهيم (١٤): ٧.

٣. الفتح (٤٨): ١٤.

٤. غافر (٤٠): ٣.

٥. «الخصال» ج ٢، ص ٥٨٥، أبواب السبعين ومافوقه، ح ١١؛ «وسائل الشيعة» ج ٢٧، ص ٤٩، ح ٣٣١٨٠، كتاب القضاء، الباب ٦، ح ٣٠. وفيه: قال رسول الله ﷺ: «ستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، والباقون هالكون ...». نقلاً عن كفاية الأثر، ص ١٥٥.

وفي الخصال: «... وإنّ أُمّتي ستفرق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، واثنتان وسبعون في النار».

فصل

[في المراد من المغضوب والضالّ]

قد اشتهر تفسير ﴿المغضوب عليهم﴾ باليهود، و﴿الضالّين﴾ بالنصارى[1]؛ وربما روي ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله[2] وقد يؤيّد بقوله ـ عزّ من قائل ـ في حقّ اليهود: ﴿مَن لَعَنَهُ اللهُ وغَضِبَ عَلَيه﴾[3]، و في حقّ النصارى: ﴿قَد ضَلُّوا مِن قَبلُ وأضَلّوا كثيراً﴾[4].

وقيل: المراد بهما مطلق الكُفّار[5].

وقيل: مطلق الموصوفين بالعنوانَين من الكفّار وغيرهم[6].

وربما يقال: ﴿المغضوب عليهم﴾ هم العُصاة المخالفون للأوامر والنواهي[7]؛ و«الضالّون» هم الجاهلون بالاعتقادات الحقّة، التي بها يتمّ الدين؛ لأنّ المنعَم‌عليه مَن وُفّق للجمع بين العلم بالأحكام الاعتقاديّة، والعمل بما يقتضيه الشريعة المطهَّرة؛

١. «التبيان» ج ١، ص ٤٥؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٠، وفيه قال: عند جميع المفسّرين، الخاص والعام؛ وانظر «جامع البيان لأحكام القرآن» للطبري، ج ١، ص ٦١؛ و«الكشّاف» ج ١، ص ٧١.

٢. انظر «تفسير العيّاشي» ج ١، ص ٢٢، ح١٧؛ و«مجمع البيان» ج ١، ص٧٢؛ و «جامع البيان لأحكام القرآن» للطبري، ج ١، ص ٦١.

٣. المائدة (٥): ٦٠.

٤. المائدة (٥): ٧٧.

٥. قاله الآلوسي في «روح المعاني» ج ١، ص ٩٦.

٦. «حاشية محيي‌الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي» ج ١، ص ٥٣.

٧. كما قاله البيضاوي في «أنوار التنزيل» ج ١، ص ١٧.

فالمقابل له مَن اختلّ إحدى قُوّتَيه: إمّا العاقلة أو العاملة، والثاني[١] مغضوب عليه؛ لقوله تعالى في القاتل عمداً: ﴿و غَضِبَ عليه﴾[٢]، والأوّل[٣] ضالّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَماذا بعدَ الحَقِّ إلّا الضَّلالُ﴾[٤].

ولفظة «غير» إمّا بدلُ كلٍّ من الموصول، على معنى أنّ المنعَم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال؛ أو صفة له، وهي ـ في كلٍّ من الوجوه الأربعة في المغضوب عليهم، على كلٍّ من الأربعة السابقة في المنعَم عليهم ـ مُبيّنةٌ إن أُريد بالثاني والرابع منها الكُمّلُ، كما هو الظاهر؛ وإن أُريد الأعمُّ فكذلك على ما عدا الثالث والرابع من اللاحقة؛ و أمّا عليهما فمقيّدة.

وكيف كان، فتعرّف الموصوف بالموصوليّة، و توغّل الصفة في النكارة يُحوج إلى إخراج أحدهما عن صرافته: إمّا بجعل «غير» ـ بالإضافة إلى ذي الضدّ الواحد وهو المنْعَم عليهم ـ متعيّنةً تعيُّنَ المعارف، فتنكسر بذلك سورة نَكارتها، فيصحّ وصف المعارف بها، كما في قولهم: «عليك بالحركة غيرِ السكون»؛ وإمّا بجعل الموصول مقصوداً به جماعة من الطوائف الأربع لا بأعيانهم، فيجري ـ حينئذٍ ـ مجرى النكرات، كذي اللام الذي يراد به الجنس في ضمن بعض الأفراد لا بعينه، كما في قوله:

ولَقد أمرُّ على اللَّئيم يَسُبُّني[٥] .....

ولعلّ الأوّل أولى؛ فإنّ إرادة البعض الغير المعيّن من المنعَم عليهم، تورث خَدشاً مّا في بدليّة صراطهم من الصراط المستقيم؛ فإنّ مدارها على كون صراطهم عَلَماً

١. أي: المختلّ في قوّته العاملة.
٢. المائدة (٥): ٦٠.
٣. أي: المختلّ في قوّته العاقلة.
٤. يونس (١٠): ٣٢.
٥. انظر «الكشّاف» ج ١، ص ٧٠؛ وإليك تمام البيت:
ولقد أمرُّ على اللّئيم يَسُبُّني فَمَضَيْتُ ثَمَّةَ قلتُ لا يعنيني
ولمزيد التوضيح حول كلمات البيت انظر «حاشية السيّد الشريف الجرجاني على الكشّاف» ج ١، ص ٧٠.

في الاستقامة، و معلوم أنّ ذلك من حيث انتسابه إلى كلّهم لا إلى بعضهم.

ولفظة «لا» بعد الواو العاطفة في سياق النفي تفيد التأكيدَ والتصريحَ بشموله كلَّ واحد من المتعاطفَيْن، وأنّ المنفيَّ ليس هو المجموعَ، وسوَّغ مجيئَها ـ هنا ـ تضمُّنُ لفظة «غير» المغايرةَ والنفيَ معاً. و لذلك جاز «أنا زيداً غير ضارب» رعايةً لجانب النفي، فتصير الإضافة بمنزلة العدم، فيجوز تقديم معمول المضاف إليه على المضاف، كما جاز «أنا زيداً لاضارب» و إن لم يَجُز ـ في «أنا مثل ضارب زيداً» ـ «أنا زيداً مثل ضارب»؛ لامتناع وقوع المعمول حيثُ يمتنع وقوع العامل.

[خاتمة]

[في فضل سورة الفاتحة]

هذا، ولنجعل خاتمةَ تفسير الفاتحة بعضَ الأحاديث المعتبرة الواردة في فضلها:

[١] روي في «مجمع البيان»: أنّ النبيّ ﷺ قال لجابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «يا جابر، ألا أُعلّمك أفضلَ سورة أنزلها الله في كتابه؟» قال: فقال له جابر: بلى ـ بأبي أنت و أُمّي يا رسول الله ـ علِّمنيها. قال: فعلّمه الحمدَ أُمَّ الكتاب، ثمّ قال: «يا جابر، ألا أُخبرك عنها؟»، قال: بلى ـ بأبي أنت و أُمّي ـ فأخبرني، قال: «هي شفاء من كلّ داءٍ إلّا السام»[١].

[٢] وعن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ القوم لَيبعث الله عليهم العذابَ حتماً مَقضيّاً، فيقرأ صبيّ من صبيانهم في الكتاب: ﴿الحمدُ للّهِ ربّ العالَمين﴾[٢]. فيسمعه الله تعالى، فيرفع عنهم ـ بذلك ـ العذابَ أربعين سنة»[٣].

[٣] وعن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينا رسول الله ﷺ إذ أتاه مَلَكٌ، فقال: أبشرْ بنورين أُوتيتَهما لم يُؤْتَهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب و خواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منها إلّا أُعطيتُه[٤].

---

١. «تفسير العيّاشي» ج ١، ص ٢٠، ح ٩؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٤٨.
٢. الفاتحة (١): ٢.
٣. «الكشّاف» ج ١، ص ٧٥؛ «أنوار التنزيل» للبيضاوي، ج ١، ص ١٨.
٤. «سنن النسائي» ج ٢، ص ١٣٨، مع تفاوت يسير؛ «المستدرك على الصحيحين» ج ١، ص ٥٥٨، مع تفاوت يسير؛ «أنوار التنزيل» ج ١، ص ١٨؛ «تفسير البغوي» ج ١، ص ٤٣.

[٤] وعن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: «اسم الله الأعظم مُقطَّع في أُمّ الكتاب»[١].

[٥] وعنه عليه السلام: «لو قرئت الحمد على ميّت سبعين مرّة، ثمّ ردّت فيه الروح ما كان ذلك عجباً»[٢].

اللّهمّ! إنّ الذنوب قد أماتَتْ قلوبَنا، فأحْيِها بالسبع المثاني والقرآن العظيم، وإنّ المعاصيَ قد سوّدَتْ وجوهَنا، فبيِّضْها ببركة تفسير كتابك الكريم، ويَسِّرْ لنا الفوزَ بإتمامه، والظفَر بسعادة اختتامه، واجْعَلْه نوراً يسعى بين أيدينا إلى جنّة النعيم، وتقبَّلْه منّا، إنّك أنت السميع العليم؛ فإنّا نتوسّل إليك بنبيّك نبيّ الرحمة، محمّد سيّد المرسلين، وآله الأئمّة الطاهرين ـ صلواتك عليه وعليهم أجمعين ـ أن لاتردَّنا خائبين، وأن تُثبِّتَ لنا به قدمَ صِدْقٍ يوم الدين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

١. «تفسير العيّاشي» ج ١، ص ١٩، ح ١؛ «ثواب الأعمال» ص ١٣٠.
٢. «الكافي» ج ٢، ص ٦٢٣، باب فضل القرآن، ح ١٦.

سورة البقرة

[وهي] مائتان وستٌّ وثمانون آية، وهي العدد المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام، وعليه الكوفيّون.

وهي مدنيّة كلُّها إلّا آية واحدة هي قوله ـ عزّ وجلّ من قائل ـ: ﴿واتّقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثُمَّ تُوفّى كُلُّ نَفسٍ ما كَسَبَت وهُم لايُظلمون﴾[1]؛ فإنّها نزلت بمنى في حجّة الوداع، كذا في «مجمع البيان»[2].

وهو مبنيٌّ على أنّ المدنيّ ما نزل بالمدينة والمكّيّ ما نزل بمكّة، فحينئذٍ ثبتت الواسطة. وذهب جماعة إلى أنّ المكّيّ ما نزل قبل الهجرة، والمدنيّ ما نزل بعدها ولو بمكّة، فلا واسطة ولا استثناء.

١. البقرة (٢): ٢٨١.

٢. «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٤.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ﴾

قد تخالفت الآراء و تشعّبت الأقوال في الأحرف المقطّعة المفتتَح بها بعض السور الكريمة. فذهب طائفة إلى أنّها من الأسرار المستورة التي استأثر الله سبحانه بعلمها[1]. وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام[2].

وقيل: أقسم الله تعالى بحروف التهجّي لشرفها؛ فإنّها عنصر الكلام ومادّة اللغات وأسناخ كتبه المنزلة، و مباني أسمائه الكريمة[3].

وذكر الأحرف الثلاثة ـ هنا ـ إشارة إلى الكلّ؛ حيث ذكرما هو من أوّل المخارج و أوسطها وآخرها.

وقيل: هي أسماء السور[4]؛ فإنّ التسمية بحروف المعجم شائعة بين العرب كما يسمّون النُحاسَ «صاداً»، والحسابَ «عيماً»، والجبلَ «قافاً»، والحوتَ «نوناً».

ومايتراءى ـ من استنكار التسمية بثلاثة أسماء فضلاً عن خمسة كـ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾[5]، واستبعاد إيثار أهل الإسلام غيرَ الأسماء التنزيليّة عليها ـ مدفوعٌ بأنّ ذلك إنّما هو

١. حكي عنهم في «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٥؛ «التفسير الكبير» ج ١، ص ٤، من الجزء الثاني.
٢. «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٥.
٣. وهو قول الأخفش، كما في «التفسير الكبير» ج ١، ص ٩، من الجزء الثاني؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٦.
٤. وهو قول زيد بن أسلم، كما في «الدرّ المنثور» ج ١، ص ٥٧.
٥. الشورى (٤٢): ١ ـ ٢.

إذا ركّبت وجعل المجموع اسماً واحداً، لا إذا أُثّرت كأسماء العدد، و بأنّ الأسماء المتداولة توقيفيّة أيضاً، و زيادة اشتهار بعض الأسماء على بعض غير مستبعد.

وقيل: هي أسماء للكتاب[١]، ولذلك أخبر عنها بالكتاب هنا في قوله ـ عزّ وجلّ من قائل ـ: ﴿الٓمٓصٓ * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[٢]، ﴿الٓرٰ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[٣].

وقيل: هي أسماء الله تعالى[٤]؛ وقد يؤيّده ما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: «يا كهيعص، يا حمٓ * عٓسٓقٓ»[٥].

وقيل: هي إشارة إلى كلمات اقتصر منها عليها؛ ويؤيّده ما روي عن ابن عبّاس ـ رضي الله عنهما ـ أنّ الألف آلاء الله، واللام لطفه، والميم مُلكه[٦].

وعنه أيضاً: أنّ ﴿الم﴾ معناه: أنا الله أعلمُ[٧].

وعنه أيضاً: أنّ الألف من الله، واللام من جبرئيل، والميم من محمّد صلى الله عليه وآله، أي القرآن منزّلٌ من الله بلسان جبرئيلَ على محمّد صلى الله عليه وآله[٨].

وقيل: هي إشارة إلى مدّة أقوام وآجال بحساب الجُمَّل. ويؤيّده ما روي من قول اليهود بعد حساب ﴿الم﴾: «كيف ندخل في دينٍ مدّتُه إحدى و سبعون سنةً؟!» وتبسّم[٩].

[إلى هنا انتهى كلامه عليه السلام، ومن المؤسف أنّ المؤلّف قدس سره لم تساعده أيادي التوفيق لإكمال هذا السفر القيّم، أو أنّه أكمله و لكن طوارق الحدثان منعت من وصوله إلى أيدينا.]

١. وهو قول قتادة، كما في «التبيان» ج ١، ص ٤٧؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٦؛ «البحر المحيط» ج ١، ص ١٥٦.
٢. الأعراف (٧): ١ ـ ٢.
٣. هود (١١): ١.
٤. «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٥؛ «الدرّ المنثور» ج ١، ص ٥٧.
٥. «مجمع البيان» ج ٦، ص ٤٠١. وهذا الدعاء مقتبسٌ من الآية ١ من سورة مريم (١٩)، والآية ١ ـ ٢ من سورة الشورى (٤٢).
٦. حكي عن ابن عبّاس، كما في «التفسير الكبير» ج ١، ص ٨، من الجزء الثاني.
٧. «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٥؛ «الدرّ المنثور» ج ١، ص ٥٦.
٨. «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٥؛ «التفسير الكبير» ج ١، ص ٨، من الجزء الثاني.
٩. وهو قول ابن جريج، كما في «الدرّ المنثور» ج ١، ص ٥٩؛ «معاني الأخبار» ص ٢٣، ح ٣؛ «مجمع البيان» ج ١، ص ٧٦؛ «التفسير الكبير» ج ١، ص ٨، من الجزء الثاني.

الرحلة

للشيخ حسين والد الشيخ البهائي قدس سرهما

مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد سيّد المرسلين وآله الطيّبين.

للمسلمين دوافع إلى الارتحال كثيرة، منها فريضة الحجّ التي أوجبها اللّه تعالى على كلّ قادر من المسلمين لم يعقه عائق من ضعف بدن أو قلّة مال أو خوف طريق. وقد خُدم طريق الحجّ أجلّ خدمة بإقامة المنشآت لخدمة الحجّاج، وكم من ثريّ وقف جزءاً من ماله يُحَجّ به كلّ عام، وكم من حاكم أرفق قافلة الحجيج بجيش يحميها.

وكان ثاني الدوافع طلب العلم، فقومٌ قال ربّهم في كتابه الكريم: ﴿اقرأ باسم ربّك الذي خلق﴾[1] وقال رسولهم الأمين ﷺ: «أطلبوا العلم ولو بالصين»[2] هذه الأُمّة ماذا ينتظر منها إلّا السير في طلب العلم من بلد إلى بلد؟ ولذلك حفظ لنا التاريخ أسماء أعلام قطعوا العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للحضور بين أيدي العلماء ولأخذ العلم عنهم.

هذا بالإضافة إلى الدوافع الأُخرى للترحال التي منها التجارة ومنها نشر الدعوة إلى الله في الآفاق، وكان التجّار دعاةً في حالات كثيرة، وقد أسلمت بلاد جنوب شرقي آسيا الملايو وأندونيسيا وغيرها ومن أسلم من أهل الصين وأكثر أهل أفريقيا عن طريق الدعوة إلى الله... ومنها النزهة ورؤية عجائب ما خلق الله في الآفاق والأنفس وفي الأرض

١. العلق (٩٦): ١.

٢. «مصباح الشريعة» ص٣٨٣، الباب ٦٢؛ «عوالي اللآلي» ج٤، ص ٧٠، ح٣٧.

والمجتمعات، وهي رحلات لم تخل من عمل للإسلام: إمّا البدأة بحجّ البيت، وإمّا الدعوة إلى الله خلال الرحلة.

وهؤلاء الدعاة والحجّاج والتجّار والمعتبرون بما للّه من آيات في هذه الأرض، منهم من كتب رحلته ـ وبقيت أو ضاعت ـ ومنهم من لم يكتب. وقد بقي لنا ممّا كُتب وسلم من الضياع تراث مبارك، منه هذه الرحلة التي ننشرها هنا، وهي رحلة الشيخ حسين بن عبدالصمد العاملي ﷺ إلى الدولة الصفوية في القرن العاشر الهجري. وقد صاغها مؤلّفها بصورة رسالة إلى أُستاذه الشهيد الثاني ﷺ ووصف لنا طريق رحلته والناس الذين رافقهم أو مرّ بهم، وأكثر فيها من الشعر يستشهد به على مراده ويقوّي به كلامه.

وقد ضبطنا نصّها، وبقيت كلمات قليلة غمضت علينا لكونها ممحوّة في المصوّرة التي بأيدينا أو لعدم ضبطها من قبل الناسخ، ونسختها الوحيدة في مجلس الشورى الإسلامي (رقم ١)، وصفت في فهرسها ج ١٥، ص ١٨٢، تحت رقم ٥١٣٨/١٠٥ والمعروفة بـ«جامع ابن خاتون» المتكوّن من ١٥٣ رسالة إحداها رحلتنا هذه.

قال الشيخ الحرّ العاملي ﷺ في ترجمته:

الشيخ عزّالدين حسين بن عبدالصمد بن محمّد الحارثي الهمداني العاملي الجبعي، والد شيخنا البهائي.

كان عالماً ماهراً محقّقاً مدقّقاً متبحّراً جامعاً أديباً مُنشئاً شاعراً عظيم الشأن جليل القدر ثقة ثقة، من فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني.

له كتب منها: ... رسالة رحلته وما اتّفق في سفره[1].

وقال العلّامة السيّد محسن الأمين ﷺ في ترجمته:

الشيخ عزّالدين حسين بن عبدالصمد بن شمس‌الدين محمد بن علي بن حسين بن محمّد بن صالح العاملي الجبعي الحارثي الهمداني، والد الشيخ البهائي.

مؤلّفاته: ... ١٢. رسالة في الرحلة يذكر فيها وقائع ما اتّفق له في أسفاره وهذه لا وجود لها ولو وجدت لكانت من الرسائل الممتعة؛ لأنّه مع علمه وكثرة اطّلاعه قد طاف شرق الأرض

١. «أمل الآمل» ج ١، ص ٧٤ ـ ٧٥.

وغربها فلابدّ أن يكون حصل له أُمور شتّى نادرة[١].

ثمّ اعلم أنّ الظاهر أنّه سافر إلى إيران حوالي عام ٩٦٠ كما صرّح به بعض المحقّقين. وكتب هذه الرسالة بعد سفره إلى إيران وأشار في مقدّمتها إلى أنّ أُستاذه ـ الشهيد الثاني ـ عهد إليه وأكّد عليه أن يكتب له ما جرى في سفره.

ونقدّم شكرنا إلى الشيخ رضا المختاري لاقتراحه وإرشاداته لإحياء ونشر هذه الرسالة، وإلى الأُستاذ الأديب أسعد الطيّب لمراجعتها وتقويم نصّها، وإلى الشيخ أحمديان النجف آبادي لاستنساخه هذه الرسالة بخطٍّ جميل، وإلى الشيخ محسن النوروزي لمقابلتها وتصحيح التجارب المطبعيّة، فللّه درّهم وعليه أجرهم.

والحمد للّه ربّ العالمين.

قسم إحياء التراث الإسلامي
مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة

١. «أعيان الشيعة» ج٦، ص٥٦ و٦٤.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على ما أسبغ من العطاء وأسبل من الغطاء
وكمل من الآلاء وأتم من الأدواء وأعطى الإنسان بفضله العقل وأمره بالنظر وحمله أثم العمل
الصحيح والنظر الصحيح منتهى عن نكبه وحيده أحمده على حالي النعم خوفا ورجاء والمعايش كلها
وما يدبر الأمر غيرها ومعاطيها بيديها جنيها جعل النظر مقصورا بهائبه ويتوم منظورا بعوائده وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يشوبها شك ولا ارتياب وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
صلاته يجلو بها عن القلوب غماؤها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من صدق بها
ونوع عن التقليد جنانه وأصلى على سيدنا محمد الذي هدى بنوره الحوائر ولما أحترن بعد الباطل
بعد أن البس لوامع الكفر غلائب وامع النور والفسوق حتى فاز الحق بأنواره فظاهر آثاره
طارح ذوائبه فأصبح للغاية وأضح الثلاثة وأعلى المنارة وأحسن السيارة ثم آل عليه وأصحابه
والذين اتبعوا الحق بإحسان الأدوية كما بعدها والعاملين شدا بواعد الكفين مؤيدا حتى ظهرت من الدين
خفاياه وبرزت من اليقين طوايا ه ونشر من الحق نشر غمائمه وتحدرت عنه مبانيه وعلى الله وعلى أصحابه
الذين استنارهم بأنوار المدايه وعلوا على أشبه فتواطأ عليه بيسرا لهدى شعاره صلوة لا تنقطع أمدها
ولا أسباغ لمددها ولا اضطياع لشيدها ولا انصياع لصيدها ما قدر الله والدلل والأكلوم الخزامى
بين الذي الشام ودرن بالاهل والاصحاب الكرام وعلى الخاص العام والناج من بنيع الصفاء
الرايح في مرعى أنوائها الذين صاحب نبيه عليه بعين تليح سام عليه على طبع سلام المتبع صدق المرتبع قدوم الذي
استأثر بهم أبو القاسم وفرشه للتبيان وزاده والدين وبوارع الماسن الذي قدم لها الفضل والكمال
وأوضح العلم وزينهم الإلهام وزينة الكمال وحشد الفعال فهو مرى نوضلها لا يزى طرق الطارق
اعنى بذلك قدوة الاسلام والمسلمين وعدة الايمان والمؤمنين زين الملة والدين أحاد الدهر الأنس فاعلم وتعنا بطول جلته
وتعاطيه الفضل الذي لستوفى على الغاية قدره واستولى على شاوه ومداه ولا نال العرفاء الاسراء موقع الماس
يصنع الباطل الحاسر لكنها بالباطل الرعابيد ما أشرف قدره وأعلى فجره وكان زين الوجه بوجوده وافاض علينا
مبتدع وجوده فقد عمدنا الى الكتاب الذي بهما تم الخبري وما يتعذر من الاحوال الحسري فنتقلنا من حيث الثاني
لهذا المقال ويصاق منه بيال برزا على ما وده الحديثه والقديمه وابنا ما أحياها وتفتقر الحديث ات تأثر الكريم
وحرث على دين الحديث والقديم اعاد الله الكبار عليه الالطاف وأهدى اليه الالطاف
غمايس حتى الاصطاف إذ مندفارقك ذو الجمالات حزن القلب وبالجات تحزن اللب وتحدرت فجر الحدق
وفاضت غير المشن فيضت فاما الطرف فهي فساهر الشوق وأما القلب فهي مناك فاقد فسلو عن وادي
الجم الليل الذي استشعر بليل يوما بأنه الغرائد ذو حزن وليل دوام وعيون دموعها هوامل
صنا نصب عليها فاك عينه بدم صبيب منذ كن ذلك العهود فهي الدمعة والصبابة الكمده الفؤاد بذكراها
وتضرم نارها وتطاول الحالات بعد ذكرتك فرحة الاديب وبالت عنا دمنك فرحة الاديب فشرقت الصبا
بين الحمام وتنيبه وأنت عذيبه الحديبه عربت أهلك فانتهى الصبري عربت شيمها فمتنوع غرب فالهموم
على الجوانح جوانح والجوانح فيها البعد جوانح شعر شاب راسي من فرقتي الاحبة مرعدة أيام شرخ الشباب
وغوان سيف الهوى بمضاء اذ جاء مزجر دال الشباب فيها فما بعدك لا اشمع يوم ولا انفع للهوم شيء
ما في الوجود الجمال من لام يلومن في حبك اذ زاري قلبك لهم يوم ما رأى الزوال ما انتم حال أو تغيري ولقد لقينا الفراق
برهة لدن أن كانت لعيني مرتع آل وأطمئن من طيف الخيال وارتشف من مصون الطمار ولبك الثمار فكم شاهدنا
حسنا وحسنا وأوفى عهد الحسان من الشهداء وكم شاهدنا عيانا وعيانا وفي شهدها الكاظمين والسعداء
الوافرين في ظل الترود مع الاحبته فاذا أنت عن الاحبته لم يسلوا لاحبته فلقد كنت لقلب فيها بحيث تشيه
وتضيق وتشبه فاتح الليال خالي من الليال الا صوت هو الا في فتى بتاسفيدها او وان لها أمره وهاها او وان لم تستعدها
واستعيدها او ساليها فتستعدها وما في وكما أيام الصبا وشبي فيهم الصبا وليالي كما كبرت الشباب وسرت
الشراب ولقد كانت الايام الوطاها في الزمان وطيبا وما الذي كانت عليها فيجي وان الحزن ليبلها

صورة الصفحة الأولى لرسالة الرحلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه على ما أسبَغ من العطاءِ، وَأَسْبَل من الغِطاءِ، وكفى من الأَشواءِ، وشَفَى من الأَدْواء، وأَعطَى الإنسانَ بفضيلة النطقِ أَزِمّةَ السبقِ، وجَعَلَ له من العقلِ الصحيحِ، والنطقِ الفصيحِ مُنشِئاً عن نفسِه، ومُخبِراً في حَدْسِه. أَحْمَده على خَوالي نِعَم خَوّلها، وتَوالي قِسَم أَكْمَلَها، ومَلابِس آلاءٍ خَلَعَها، ومَعاطِسِ أَعداءٍ جَدَعَها، حمداً يَنظِمُ منثورَ هِباتِه، ويُثرِمُ منشورَ عِداتِه ويَحُوط مَذْخُورَ صِلاتِه، ويُخيطُ محذورَ نَقماتِه.

وأَشهد أَن لا إلهَ إلّا اللّهُ وحده لا شريك له، شهادَةَ مَن صَدَع بالحقِّ لسانُه، ونَزَع عن التّقليدِ جَنانُه.

وأُصلّي على سيّدنا محمّد الّذي هاجر من أَشرف المواطِنِ، لمّا أَحَسَّ من أَعْدائه بالغلّ الباطِن، بعد أن أُرْسِلَ بسوابغِ الكَلِم، مجلَّلاً بسوابغ النِّعَم. والفسوقُ حينئذٍ زاخِراً تَيّارُه، ظاهراً منارُه، طائراً شرارُه، عامرةً ديارُه. فَأَفْصَحَ المقالَةَ، وأَوضَحَ الدّلالَةَ، وأَعْلَنَ النِّذارَةَ، وأَحْسَنَ العبارَةَ، ثمّ لم يزل بزنادِ العلم قادحاً، ولذوي الجهل بحقائق الأُمورِ مُكافحاً، ولقواعد الدّين مشيِّداً، ولسواعِدِ اليقينِ مُؤَيّداً، حتّى ظَهَرَت من الدّينِ حقائقُه، وبَرَزَت من اليقينِ شوارِقُه، وَخَرِسَ من الجهل شقاشِقُه، وخَنَسَ منه مُنافِقُه.

وَعَلى آله وخُلَّصِ أصحابِه، الّذين اختارَهُم قَواماً لملّته، وَقُوّاماً على أُمّته، فمشوا على آثاره، وتسربلوا بِسِربالِه وشعاره، صلاةً لا انقطاع لمزيدها، ولا امتناع

لمديدِها، ولا انضياع لمشيدِها ولا اتّضاع لصعودِها.

وبعدُ: فإنّه لمّا قدّر ذو الجلال والإكرام، انتزاحي من بلاد الشام، ومَن فيها من الأهلِ والأَصحابِ الكرامِ، خصوصاً شيخ الإسلام وملاذ الخاصّ والعامِ، الخارج من منبعِ الصفاء، الواليج في مَرْتَع الوفاءِ، الّذي مَراقِب مناقبه عالية عن مَطْمَح مُسامٍ، عالية على مطمحِ سنامٍ، المتّسع صدرُه، المرتفع قدرُه، الّذي أخلاقه رائحةُ الجِنان وراحَةُ الْجَنان، ودارُه دارُ الميامِن، ودائرةُ المحاسِنَ، الّذي قدّمه الفضلُ، وقَوَّمَهُ العقلُ، ورفعه العلمُ، وورّعهُ الحلمُ، وزيّنَهُ الكمالُ، وحسَّنه الفعالُ.

شعراً

قد حوى من فضله طُرَفاً ... لا يرى طَرْفٌ لها طَرَفاً

أعني بذلك قدوةَ الإسلامِ والمسلمين، وعمدةَ الإيمانِ والمؤمنين، زينَ الملّة والدين، أعاد اللّهُ الأُنسَ بلقائه، ومتّعنا بطولِ بقائه، ومتّعه اللّه بالفضلِ الّذي استوى على عاتقه وغاربه، واستولى عَلى مشارِقه ومغارِبه، ولا زالَ مرفّه الأسرار، موفّر المسارّ، محفوظاً بخاطر الحماية، ملحوظاً بناظر الرعايةِ ما أَشرق قمرُه، وَأَوْرَقَ شجرُه.

وكان ـ زيّن [اللهُ] الوجودَ بوجوده، وأَفاضَ عليه من منّه وجوده ـ قد عهد إليّ وأكّد عليّ أَنْ أَكتب إليه بما يتمّ لي في سفري، وما يتجدّدُ من الأَحوال في حضري، تفضّلاً منه حَيث أَهّلني لهذا الحال، وجعلني منه ببال، جَرياً على عادته الحديثة والقديمة، واتّباعاً لسجاياه، وشفقته الرّحيمة.

فامتثلتُ أَمْرَه الكريمَ، وجريتُ على ديدني الحديث والقديم.

فصلٌ

اعلم أَيّها الشيخ ـ هدى اللّه لك أبكار مكارمٍ سنيّة الألطاف، وأَهدى لَكَ ثمار بيانٍ جنيّةِ القطاف ـ أَنّي منذ فارقتك ذو لاعجات تحرق القلب، ووالجات تخرق اللُّب، وحافزات تعجز الصدر، وواخذاتٍ تُفجِّر الصبر.

شعراً

بَعُدتَ فأمّا الطرف منّي فساهرٌ لشوقي، وأمّا الطرف منكَ فراقِدُ
فَسَل عن رُقادي أنجم الليلِ إنّه ستشهد لي يوماً بذاكَ الفراقدُ

ذو جفونٍ دوامٍ دوامع وعيون هوامٍ هوامع.

شعراً

صَبٌّ تصبُّ على فراقِ لك عينُه بدمٍ صبيب صبيب

متذكّر تلك العهود القديمة والصحابة الكريمة، الّتي أنت بدرُ أسحارِها، وشمسُ نهارِها، فَطالَما طالت بمذاكرتك فرحة اللبيب، وَزالَتْ بمنادمتك قرحة الأريب.

شعراً

زَمَن الصبابين الحمى وكثيبه آلَتْ عذوبته إلى تعذيبِهِ
غَرُبَتْ أَهلَتُه فَأَشْبَهَها الهوى نفسٌ يُشَيّعها بِفَيْضِ غروبِهِ

فالهموم على الجوانحِ جوارح، والجوارح فيها للبعد جوارح.

شعراً

شابَ رَأسي من فرقةٍ أَنَا لاقي مِن جفاكم أيّام شرخِ الشبابِ
وفراني سيف النوى بشَباهُ أَيّ داءٍ من جُرحِ ذاكَ الشَّبا[1]بي

فها أَنَا بعدكَ لا أنتفع بنومٍ، ولا أرتدع للومٍ.

شعراً

ما في الورى أَجْهَلُ من لائمٍ يلومُ في حُبِّكَ أوزاري[2]
قلتُ لهم يوماً وقد أكثروا ما أَنْتُمُ حُمّال أوزاري

ولقد أقمنا بالعراقِ بُرْهَةً لولا فراقكَ كانت أعجب من الخيال، وأقصرَ من طيف الخيال، وأرشفَ من حَسْوِ الطائر والمثل السائر. فكم شاهَدْنا حُسناءَ وَحَسْناءَ في

١. الشبا: جمع شباة، وشباة كلّ شيء حدّه. «الصحاح» ج٦، ص٢٣٨٨، «شبا».
٢. أوزاري: (أو) حرف عطف، و(زاري) من الزراية وهي الاستخفاف.

مشهدِ الحسينِ والشهداءِ، وكم شاهدنا يُمْناً ويمناء في مشهد الكاظميين والسعداء.

شعراً

العمر ما عُمِّرت في ظلّ السرور مع الأحبَّهْ
فَإذا نَأَيْت عن الأحبّ ـة لم يساوِ العمر حبَّهْ

فلقد كنتُ أتقلّب فيها بين بَحث أُنشيه وتحقيقٍ أُوَشِّيه، فارغَ البال خالٍ من البلبال، لا أصرفُ همّي إلّا في قربةٍ أستفيدها أو قرابةٍ أعودها، أو زيارةٍ أستعدّها وأستعيدها، أو مسألة أستجدّها وأستجيدها، أيّامي كلّها أيّام الصِّبا، ونسيمي نسيمُ الصَّبا، وليلي كلّه كَبُرْدِ الشباب، وَبَرْدِ الشراب، ولقد كانت أيّاماً لَمْ أَلْقَ لها في الزمان نظيراً، ولم أُلْفِ إليَّ منها نظيراً.

شعراً

ديارٌ بها كُنتُ أَرْعَى الجِمى وآتي المسَرَّةَ من بابِها
وقد كان قلبي أصحى بها ونفسي أخظى بأصحابِها
رمتني الْمَطايا لِأصلابِها إلى نارِ شوق لأصلى بها
فصار الحشا بعض أسلابِها فهل عيشةٌ لي أَشلَى بها

حتّى رمتني الحوادثُ بسهامِها، وعَبَسَتْ بعدَ ابتسامِها، وآلَ تنزّحها إلى الافتضاحِ، وتليتُ «عَبَسَ» بعدَ «الانشراحِ».

شعراً

كنتُ في القرب ذا انبساطٍ ولكن كاشحٌ من بني الزواني زَواني[1]

ثمّ تحوَّل الأمر من منافقها من المناجاةِ إلى المداجاةِ، ثمّ كاد أن يتحوَّلَ من المكالَمَةِ إلى الْمُلاكَمَةِ، ولقد كانوا يكمنون لي كمونَ الأُفعوان، في أُصولِ الريحانِ، حتّى إذا جئتهم لِلشَّمِّ، فاجَؤوني بالسمّ. فَصِرْتُ كلّ يومٍ في همٍّ جديدٍ، من عدوٍّ حديدٍ، وفي غمٍّ عتيد، من جبّار عنيدٍ، لاسيّما من المنافِقِ المعروفِ الّذي ظاهره

١. الزواني: جمع زانية. وزواني: صيّرني في زوايا الإهمال.

يَسُرُّ ويُؤنس، وباطنه يَضُرُّ ويُؤيس، أخلاقه أوعار، وصحبته ذلّ أو عـار، الخـزيُ أولى به من الخزّ، والابتزاز أجدر به من البزّ، ظاهره غير ظاهر وباطنه كلّه باطن، جلده عريان، وبطنه غرثان، نجمه منحوس، وسهمه مبخوس، فهو أثقل من الخراجِ بلا غلّة، والحمية بلا علّة، كم فتنةٍ سَنَّها، وغارةٍ شَنَّها.

وبالجملة ما دامَ حَيّاً يسعى، فهو حَيَّةٌ تَسْعى.

فَضلُ

ولقد توهّمتُه ـ عليه اللعنة ـ صَديقاً حَميماً، فألفيتُه صديداً حَميماً، وخلته ذا ذمامٍ فكان ذميماً، وتخيّرته كليماً، فأمسى للقلب كليماً، وظننته معيناً رحيماً، فتبيّنته رعيناً رجيماً، وحسبتُه مُريداً عليماً، فكان مَريداً أليماً، وخلته رائعاً حسيباً، فكـان زائـغاً خصيماً.

ولقد بتّ منه سليماً، وبات منّي سليماً، فَيالَيته [كان] عَديماً، ولم يكن لي نَديماً.

وَلمّا رأيتُ أمري لا يزيد إلّا عسراً، ولا يُمن في يميني ولا يسر في اليسـرى، قلتُ: حتّى متى وإلى متى، أنَا دائمُ الرجفان دامي الأجفان، أحمل الضرّاءَ في دولة الأعداءِ، وأتجرّعُ الأَضْرارَ من هؤلاءِ الأشرار.

شعراً

أرخـصنا ذا الزمـانُ فـيهم ... فكيف بعدَ الإرخاصِ نـغلو

فَـلَسْتُ أدري أهـم نـغولُ ... أم نحن أم ذا الزمـانِ نَـغلُ

وهل يحسن العدولُ عن دولةِ العدلِ، والاشتغال بهذا الفضول عن كسبى هناك الفضل.

شعراً

إذا مـــا ذلّ إنســانٌ بـدارٍ ... فمره بـالرحـيلِ عـلى بِـدارِ[1]

فأرض اللّـهِ واسـعةٌ فَـضاها ... وفـــي أكـنافِها دارٌ بـــدارِ

١. البدار: العجلة.

وقد يحسن أن أذكر هنا أبياتاً، اخترتُها من قصيدتي الواقية الوافية القافِيّة القافية، وهِيَ:

دعني أسِرْ أطلبُ نيلَ العُلى ... فَالْمُرُّ لي فيه حُلُوُ المذاقِ
والمرءُ في أعدائه خاملٌ ... وبدره بينهم في مُحاقِ
والدّرُّ في معدِنه ضائعٌ ... وإن يسر عنه فوق الْمَآقِ
والموتُ عندي بخضوعُ الفَتى ... لمبغضٍ نذل رضيع النفاقِ

على أنّه قد يتأسّى الرجلُ الكريمُ، بقصّةِ موسى الكليم، فإنّه لمّا جاوز طور الأنام، وحاول طَور الكلام، استسقى أمطار الرحمة، فاستقى أطمار الحرمة، وذهب لقبسٍ من نارٍ فوجد نوراً، ومضى يطلبُ شهاباً للأولاد، فرجع من الأنبياء الأمجاد.

فصل

قد يتخيّل ذو فكرٍ رَدِيّ، وقلبٍ صدٍ صديّ، قد نيط بحبِّ الدنيا لبابه، وامتلأ من شهواتها إهابه، وقبض الحسد عَلى جَنانه، فبسط بالغيبة بَـذِيء لسانِه، أنّي ما خرجتُ من حكمِ الطغامِ، إلّا طمعاً في الطعامِ، ونزحتُ عن الأثمّةِ العظامِ، إلّا حبّاً لتجريد العظام، ولم يعلم بالحقيقة أنّ نظره على عكسه، حيثُ أنّ المرءَ مرآةُ نفسه، فما فيها يبدو من فيه، والجلد لا ينضح إلّا بما فيه.

شعراً

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونُه ... وصدّق ما يعتاده من توهّمِ
وعادى محبّيه بأوهامِ نفسِهِ ... فأصبحَ في بحرٍ من الشّكّ مظلِمُ

أتراه غفل عن قول ذوي الفضل: ليس من شِرْعَة العقل سرعة العذل؟ أم ذهل عن قول القوم: ربّ ملوم لا ذنب له ولائمٍ أحقّ باللوم؟

شعراً

لك الويل لا تذعر وليّاً لبغضةٍ ... لعلّ له عذراً وأنت تلوم

وقد يوضِحُ عن أمره وأمرى، ربّ سامع بخبري لم يسمع بعذري. مع أنّه قد قيل: إذا كان لكَ من التقوى لباس، فما عليك من الأقوال باس.

شعراً

وليس الفتى من تحمل الضيم نفسه ... ويألف للأسقاط نصب الأنامل
أرى الموتَ أحلى مورداً من مذلّةٍ ... ورفع عدوّ خافض في الأراذل

على أنّ وجوبَ الهجرة من بلاد الجور ـ التي لا يتمكّن فيها من إظهار شعائر الإيمان ـ قويّ متلقىً بالقبول، ووجوب التحرّز عن الضرر المظنون ـ فضلاً عن الحاصل ـ واجب عند ذوي العقول. وأيّ ضرر أدهى من منع العلم من أهله، وإهمالنا في مثل هذا الزمان ما خلقنا لأجله؟! بل أيّ داء أدوى من اشتغال الحدس، بتوجه تطرّق الخوف على النفس؟! والشيخ ـ درأ اللّه عنه شرّ ما ذرأ ـ أعلم بمواقع الأقدار، وقوارع الليل والنهار، فهو أعلى من أن يُنبّه من سِنَة، أو يُدَلّ على سُنَّة، فمن أراد أن يزيده تبصيراً، ويخبره بما لم يكن به خبيراً، كان كمن أهدى إلى الأرض هُدُوّاً، وأسمى إلى السماء سموّاً، وإنّما هذه نفثة مصدور، جواباً لسؤال مقدّرٍ أو مذكور.

وكيف أرضى بالأعداء أصحاباً، وبالتراب أتراباً.

شعراً

أأرضى بسكنى منزل لم أَجد به ... سوى زاهدٍ أو جاهل في الفضائل
والبس ثوب الهون فيه إذا نبا ... بفضل وكم مِن منزل في الفضاءِ لي

هذا مع أنّي ـ وللّه المنّة ـ فوق ما تعهده منّي، إن فكّرتُ فجواهر العقود، أو تكلّمتُ فمعقود العنقود.

شعراً

فمن يك دأبه لعباً ولهواً ... فدرس العلمِ والآدابِ دابي
ولا طبعي عن الإيجاز جازٍ ... ولا نابٍ عن الإطناب نابي

ولا أصـــبو إلى لهـــوٍ وإنّـــي إلى جدٍّ كطعم الصـاب صـابي
ومـــبذول لذي الآمـــال مـالي ومـفتوحٌ لذي الألبـاب بـابى

وإن نثرتُ ففرائد الفرائد، وإن نظمتُ فقلائد الولائد، وإن أطنبتُ أطربتُ، أو أطلتُ أطبتُ، أو أوجزتُ أعجزتُ.

شعراً

ولى فـــي القـولِ والفـعـ ـلِ من الرضوانِ رضوانا
وفـــــي النـــظم والنـــثـ ـر من المرجان مرجـانا

وهل يرغب في اقتناء الفضائل إلّا الفضيل؟، أم يرضى بالذلّ إلّا الذليل؟

شعراً

أمن فـضلي إذا قـنعتُ مـن الدهـ ـرِ بـــــعيش مـــعجّل التـــنكيدِ
ولعـــلّي مـــؤمّل بـــعضَ مـا أُد رك بـاللطفِ مـن عـزيزٍ حـميدِ
عش عـزيزاً أومُت وأنت كـريمٌ بـين طـعنِ القـنا وخـفق البـنودِ
واطلب العزَّ فـي لَـظى وذر الذ لَّ ولو كـان فـي جِـنانِ الخـلودِ
ما بقومي شَرَفتُ بل شَـرُفوابـي وبِـجِدّي فـخرتُ لا بـجدودي
وبهم فخر كـلّ مـن نـطق الضـا دَ وعونَ الجاني وغـوث الطـريدِ

وهل يأبى الكرامة إلّا الحـمار؟ أم هـل يـنافس فـي ازديـاد المـعالي إلّا أُولوا الأبصار؟

شعراً

ولا يـــقيم عـــلى ضـيم يُـراد بـه إلّا الأذَلّانِ عـــيرُ[1] الحـيّ والـوَتَدُ
هذا على الخسـفِ مـربوطٌ بـرمّته وذا يُشَـــجُّ فـــلا يَـرثي له أحَـدُ

وبعيدٌ على مثلي، بعد أن ورد عليه ما ورد من حُلوّ الدنيا ومرّها، أنّ تذهله كثرة حرّها وقرّها، أو يلتبس عليه نفعها بضرّها، فلا يفرق بين خيرها وشرّها. وما أقبح

١. العير: الحمار.

بذي اللُّب أن يكون ممّن تخلع عليه أثواب التصوّن عن اللئام فينزعها، أو تجمع له أسباب الفضل فيمنعها، أو تُوَطِّأ له كواهل الكرامة بإظهار العلم فينزل عنها، أو تُبَوّأ له منازل السلامة من الأعداء فيعدل عنها.

شعراً

بــلاد اللّــه واسعةٌ فـضاها ورزق اللّهِ في الدنـيا فسـيحُ
فقل للـقاعدين عـلى هـوانٍ: إذا ضاقت بكم أرضٌ فسيحوا

مع أنّي ـ واللّه المنّة ـ لم أرغب عن اقتناء المعالي إذ غصن شبابي وريق، ونقل شرابي عَضّ وريق، ونديمي ذو طرّة كالغسق، وعِذَة كالفلق.

شعراً

وشــادن يـصطبيني بكــلّ مـعنىً دقـيقِ
بــقدّ غُـصنٍ وريـقٍ وطيب لفـظٍ وريـقِ[1]

وهل يجمل بي أن أرجع عن طِلابها وقد بلغتُ من الأربعين الأشدّ، واهتديتُ بها إلى الأَسَدّ؟!

شعراً

وما أقبح التـفريط فـي زمـن الصِـبا فكيف بـه والشـيب للـرأس شـاملُ

أفأرجع القهقرى، وبصيرتي عن ذراعها حاسرة؟ تلك إذن كرّةٌ خاسرة.

فصل

ولقد رضيتُ نفسي بالفقر، حتّى صار لي حبيباً، وقريباً قريباً. فقد سخت نفسي ـ بحمد اللّه ـ بكلّ ما زاد عن الزاد وماء المَزاد، فوعظتني بقولها: إذا حصل ملاقاتك، لا تندم على ما فاتك.

١. «وريق» الأُولى: مُورِق، والثانية متكوّنة من واو العطف. وكلمة «ريق» التي يعني بها ريق حبيبته.

شعراً

إذا أضْـــمَأْتَكَ أكـفّ اللـئام كَـفَتْك القـناعة شـبعاً وريّـاً
فكن رجلاً رجـله فـي الثـرى وهـامة هـمّته فـي الثـريّا
أبـيّاً بـوجهك عـن بـاخل تـراه بـما فـي يـديه أبـيّاً
فـــإنّ إراقـة مـاء الحـياة دون إراقـــة مـــاء المـحيّا

ومَن قنع شبع، والرزق قدر مقسوم، الضيّق منه والمتّسِع.

شعراً

إذا ما كـنتَ ذا قـلب قـنوع فأنتَ ومـالِكُ الدنـيا سـواءُ

هذا مع علمي أنّه لا يعجب بجمع المال ويفخر به، إلّا من عـلت نُـهْمَتُه ودنت هِمّته، أوَلم يعلم أنّه عن قريب نقل عمّا هو به فحوّل.

شعراً

إذا اعـتزّ بـالمال الرجـال فـإنّنا نرى عزّنا في علمنا إذ به نسخوا
وعزّ الفتى بـالمال يُـنسخ دائـماً وعزّ الفتى بالفضلِ ليس له نسخ

والشريف اللبيب من لا يرى الدنيا وما فيها ثمناً، ولا يرتضيها له مسكناً، حيث أنّ الباري جَلّ وعلا لم يبسطها لأحد إلّا اختباراً على أنّه لا يشكّ عاقل أنّها كزيارة ضيف، أو سحابة صيف.

شعراً

واللّـه لو كـانت الدنـيا بأجـمعها تبقى عـلينا ويأتـي رزقـها رغـدا
ما كان من حقّ حُـرّ أن يـذلّ لهـا فكيف وهي مـتاع يـضمحلّ غـدا

فصل

وكيف يغترّ بالدنيا من علم أنّها معاذير مقدّمة، ومقادير مبهمة، وفروض مقسّمة، وغصص مقتَسمة، وآمال منفصلة ونفوس مستسلِمة، ونحوس مخترمة، وقبور

مظلمة، وأُمور مستعجمة، ودلائل مترجمة، عِداتها خُدَع، وهباتها لُمَع، ومغانمها مغارم، ونسائمها سمائم.

شعراً

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت له عن عدوٍّ في ثياب صديقِ

كم ساداتٍ من عظام الصدور، صيّرت صدورهم عظاماً! وكم كبارٍ من هامات الرؤس، جعلت رؤسهم هاماً!

شعراً

سَلِ الأيّام ما فَعَلَتْ بِكسرى وقيصرَ والقصورِ وساكنيها

أما استدعتهم للموت طُرّاً فلم تَدَعِ الحليمَ ولا السّفيها

أما لو بيعَتِ الدنيا بفَلسٍ أبيتُ لعاقلٍ أن يشتريها

فصل

ولا يوم كيوم خروجنا من العراق، وقد بنا إليها عريق الأعراق، وجنّ بنا من الفَرَق ليل الفراق.

شعراً

واللّه لو أنّهم أتوني بألفِ حازٍ وألف راقي

لم يذهبوا بعض ما ابتلاني ربّي به ساعة الفراق

فها نحن كدنا نَجِفُّ لفراق النجف، ونكفكف دمعاً من غير عين وَكَفّ وَبَعُدْنا عن تلك المشاهد، ومن فيها لأنوار الحقّ شاهد.

شعراً

ولمّا تباعدنا تباكَتْ نفوسنا فممسك دمع عند ذاكَ كساكبهْ

فيا كبدي الحرّى البسي ثوبَ حسرةٍ فراقُ الذي تهوينه قد كساكِ بهْ

هذا وأيدي خرّدها تشير بالبنان، وتندبني بحسن البيان.

شعراً

يا غـزالاً كـان يـؤنسني بـجمال مـن تَـقَرُّ بِـهِ
إنّ عـيني بـعد فـرقتكم مـا رَأَتْ شـيئاً تَـقِرُّ بِـهِ

ونواظرها نحوي تشير، وبمسيري تسير.

شعراً

يا ويح قلبي مـن دواعـي الهـوى إذ رحـل الجـيران عـند الغـروب[1]
أتـبعتُهم طـرفي وقـد أبـعدوا ودمـع عـينيّ كـفيض الغُـروب[2]

فيالها من خرّد كلّما رمقت عيونُها، قمرت مفتونَها.

شعراً

وا خـجلتي مـن عـيونٍ كـلّما رَمَـقَت إلّا انـثَنَتْ عـن قـتيل مـا بـهِ رمـقُ
يا صاحِ دعني وما أنكرتَ مـن وَلَـهي بـانَ الفـريقُ فـقلبي بـعدهم فـرقُ

فما عسى أن أقول، في شموسٍ أذنت بالأُفول!

شعراً

لَـقلبي مـنهم عَـلِقٌ ورهـني فـيهم غَـلِقُ
وعـندي مـنهم حُـرَقٌ بـها الأحشـاءُ تـحترقُ
ونـحن لديـهم فـرق أذاب قـلوبنا الفَـرَق
وما أبـقوا سـوى رمـقٍ فـلـيتَهُمُ له رمـقوا

ورُبَّ ريم[3] يتشوفني وقت الفراق تشوّف العاتب، ويتشوّقني وأنا لديه حـاضر تشوّقَ المحبّ للحبيب الغائب.

شعراً

إذا مـا شـجِيتَ بـذكر المـحبّ تشـاجي عـليّ بِـدَلٌ الحـبيب

١. الغروب هنا غروب الشمس.
٢. الغروب: جمع غَرب، وهي الدلو العظيمة.
٣. الريم: الغزال الخالص البياض.

وتـيـهِ تَـتِيهُ عـليه القـلـوبُ وعشـقٍ إلى عـاشقيه عـجيب
وقد جُدتُ بـالنفس وجـداً بـه وقضّيتُ نحبي بـطولِ النـحيب

هذا وطرفها ينظر إليّ، وخالُها[1] يتجنّى عليّ.

شعراً

يـا ليت صـحنَ خـدّها مـن ذلك الخـال خـلا
فـهو الّـذي قـلّب قَـلـ بـي فـي قـواليب البـلا
يا سـائلي عـن الهـوى وطـعمه سـل مـن سـلا
أسكـر فـي الحبّ فـلا أدري أمَـرٌّ أم حَـلا

فياليت شعري كيف أُجانبها، وقد لان جانبها؟

شعراً

قـل للـذي وَرْدُ خـدِّه القـاني فـي لُـجٍّ بَـحرِ الغـرام ألقـاني
ما بِلْتُ من ظَـلمِ[2] ثَـغرِه الهـاني عـن كـلّ شـيء سـواهُ ألـهاني

وقد عَلِق القلبُ إلى يوم القيام، وها أنا في قبضتها والسلام.

شعراً

إذا رمتُ مـنها سـلوةً قـال شـافع: مـن القـدّ مـيعاد السـلوّ المـقابرُ
ويبقى لها فـي مـضمر اللُّبِ والحشـا سـرائـر وُدٍّ يـوم تـبلى السـرائـرُ

هذا ولسان حالها يقول بالتغريد: ما باله خان العهد القديم والجديد؟ ولقد كنتُ إخال أنّه لا يحول عن العهد بحال.

شعراً

واعـجباً مـن قـولها خـان عـهودي ولهـا
وحـقّ مـن صـيّرني وقـفاً عـليها وَلـها

١. الخال: النقطة السوداء تكون في الوجه والجسد، وبها تمام الجمال.
٢. الظلم: ماء الأسنان الذي يزيد في لمعانها، ويريد هنا الرضاب.

ما خَطَرَت بخاطري إلّا كَسَتْني وَلَهاً

ثمّ امتطينا ظهر الغبراء، وازوَرّ مسيرنا نحو الزوراء، ونحن نرمق منازلنا رمقَ الولهان، ونقف ساعاتٍ وقوفَ الحيران.

شعراً

أليس وقوفنا بديار هِندٍ وقد سار الرفيق من الدواهي

وهندٌ قد غَدَتْ داءً لقلبي وقد بَعُدَت ولكنّ الدوا هي[1]

فأقمنا فيها خمسة أيّام لقطع المصالح، وإذا سورها ما فيه صالح، ننتهز فيها الفرص، ونتجرَّعُ من الخوف الغصص.

شعراً

حبّذا عيشنا الذي زال عنّا حَبّذاك الحبيبُ لا حبَّ ذاذا

قد رُمينا من الزمان بسهمٍ صائبٍ مذ أحللّنا بَغذاذا

بلدةٌ تمطر المصاب على الناسِ كما تمطر السماء الرذاذا

وخرجنا منها قبل العصر، كما خرج موسى من مصر، ثمّ وصلنا بلدة بعقوبا، فأقمنا فيها سبعة أيّام عند الصدور، في منزل أُناس واسعي الدور والصدور، وأحقّ الناس بالصدور، وأحسنهم في حالتي الورود والصدور، فأجملوا في الخدمة المفضّلة المفضّلة كلّ الإجمال، بما يَقصُر عنه التفصيل والإجمال، ثمّ أنفقوا لنا زادَ المسافر، فكانوا كما قال الشاعر:

ونكرم ضيفنا ما دام فينا ونتبعه الكرامةَ حيثُ مالا

ثمّ لم نزل والسير والإقامةَ دائبين، إلى زيارة الأربعين، وفيها كان انفصالنا عن المملكة العراقية، واتّصالنا بالمملكة الكرديّة فاتّصلنا بالسلطان محمود، ثاني ذلك اليوم المحمود، فبالغ في الأدب واللطافة، وأحسن لنا الضيافة، ثمّ أرسل معنا أخاه دليلاً ومهيمناً وكفيلاً، فأوصلنا إلى محمّدي السلطان، فكان شأنه أحسن ما ذكرنا

١. يريد: الدواء هي.

من الشأن، أهدى إلينا شيئاً من العَين[١] وأحلّنا محلّ السواد من العين.

ثمّ دخلنا أوّل يوم من ربيع الآخر خُرّم‌آباد، وأذهب اللّهُ عنّا أكثر صعوبة الثلج وأباد، فيالها من جبالٍ شامخة الرؤوس، كثيرة النحوس، تتحيّر فيها الأفكار، وتشيب منها الأطفال الصغار.

فَصل

وأوّل‌ليلة فارقنا خرّم‌آباد، فَقَصَدَ أذانا بعض‌الأكراد، فأخذوا لنا ليلةً فرساً وجميع ما معنا من التيح والثياب، حتّى السبح والأقلام ومصحفين وصحيفة وأحد عشر كتاباً وكثيراً من الأسباب، مع أنّهم قد أضرّوا بنا غاية الإضرار بالحال، لولا الكتب لم تكن تخطر لنا ببال، لعلمي أنّ الصروف تتصرّف ثمّ تنصرف، وتكف ثمّ تنتكف.

شعراً

كم ساءني الدّهرُ يوماً ثمّ سَرَّ فَلَم ... يدم لنفسي لا هماً ولا فرحا

ألقاه بالصبر ثمّ يعركني ... تحت رحىً من صروفه فرحى

على أنّي بحمد اللّه أصلب عوداً من أن تؤثّر فيّ نياب النوائب، أو يخمدني انصباب المصائب.

شعراً

صرفتُ نفسي عن الدنيا وزخرفها ... لا فضّةٌ أبتغي فيها ولا ذَهَبا

نفسي التي تملك الأشياءَ ذاهبةٌ ... فكيف آسى على شيء إذا ذَهَبا

ثمّ وصلنا إلى ميرزا عبداللّه ولد الشاه قاسم، وحسن ـ أحسن اللّهُ إليهما، ونظر بعين العناية إليهما ـ فأحسنا إلينا غاية الإحسان، وقدّما لنا فرساً وزاداً في الامتنان.

١. العين: الذهب.

ثمّ كان لنا بعد ذلك شأن وأيّ شأن، إذ حللنا قبل النيروز بيوم كاشان، فأقمنا فيها أيّاماً قضينا فيها تفتنا ووفينا نذورنا، ورتقنا فيها كثيراً ممّا كان انفتق من أُمورنا.

فصلٌ

ولقد سَرَقَ متاعنا الأكراد... ما تركوا لنا فضّةً إلّا فضّوها، ولا ذَهَباً إلّا ذهبوا به، ولا علفاً إلّا علّفوه، ولا غلّة إلّا غلّوها، ولا مالاً إلّا ومالوا عليه، ولا عَرَضاً إلّا تعرّضوا له، ولا حالاً إلّا حالوا عليها، ولا فرساً إلّا افترسوه، ولا سبداً إلّا استبدّوا به، ولا بزّةً إلّا ابتزوّها، ولا خلعةً إلّا خلعوها، ولا حلّياً إلّا احتلّوه، ولا قميصاً إلّا تقمّصوه، ولا جبّة إلّا جبّوها، ولا مئزراً إلّا تأزّروا به، ولا عباءةً إلّا عَبَّوها، ولا خرجاً إلّا خرجوا به....

فصل

ولقد كنّا مع شطّ المسافة، وكونها مسّ آفة، وإشطاط المخافة، وكونها مُخّ آفة، نستعذب في طريقنا هذا العذاب، ونستطيب النصب والأوصاب، ونستبرد ظلّ الدباء لما منحنا من الخلاص من أيدي الأعداء. فلقد كان النهار كالبهار، والليل كالبَليل والبرد كالبُرود، والحرّ كبَرد السلسبيل.

فصل

بينا نحن في يوم قد اعتمّ بالمشيب، واغتَمَّ على فقد الحبيب، قد زرّ عليه جيب الضباب، وانسحب فيه ذيل السحاب، يوم شُقّ بسيف البرق ثوبه وانتدب، ونـاح بالرعد وندب، وبكى وانتحب، وجاء وذهب ووهب، ولسان رعده ناطق، وقلب برقه خافق، تنطق رعوده بألسنة الجلباب، وتخفق بروقه بذوائب اللهب وذائب الذهب، قد هطلت سماؤه كافواه القِرَب، وتقرّب إلى الأرض بأنواع القُرَب، يوم

قد خيّم غيمه وطنّب، وأسهب ثلجه وأطنب، وعاد الجوّ أشيب، وأدهم الجبال أشهب، يوم فضّي الجلباب، مِسْكيّ النِقاب، معقود السحاب، محول السخاب، ليلة قد هلك إهابها، كأنّ الصبح يَهابُها.

فصلٌ

إذ نحن في يوم حلّت عنه أيدي الأنواء أزرارَ الأنوار، وأذاع لسانُ النسيم أسرارَ الأزهار، فأذاع الهوى أسرارَه، وفضَّصَ ذوبُ الثلج أنهارَه، وعطّر القُطرَ ورودُه وبهارُه، وخيّطَتْ يدُ الربيع براقعَ جُلّنارِه، وطرح في أوراقه جلّ ناره. يوم قد راق شبابه، وراق شرابُه، قد هَبَّتْ فيه أرواح الربيع، على أرواح الجميع. يوم ساكن الريح خفيف الرُوح، رقيق الراح كثير الرَّوح، قد وشّحنا راحَنا براحِه، وروّحنا أرواحَنا بنسيمِ أرواحِه. يوم محلولٌ فيه عصائب الأزهار، مسلولٌ فيه قواضب الأنهار، ماؤه خَصِر، وروضه خَضِر، فيه أطرف زهر، في أظرف دهر. يوم واضح نهارُه، متبرّجٌ بهاره، أنيقةٌ أشجاره، رقيقة أسحاره، مغرّدةٌ أطياره، متقاربة أطواره، ليلته كبُردِ الشباب، وبَردِ الشراب، كواكبه المضيئة عقود، وثريّاه الوضيئة عنقود.

فصلٌ

وأمّا رفقاؤنا من الأعاجم، فإنّا نثني عليهم مدى الأيّام، فلقد كانوا شفيقين رفيقين ألبّاء حازمين. أمّا السيّد أسداللّه فهو أسدّ حازم وأشدّ جازم، فهو سيّد أقرانه، وسند إخوانه، ذو همّة تعزل السماك الأعزل لسموّها، وتجرّ على المجرّة ذيل عُلُوّها؛ ولقد كان (حسنٌ) حسناً مجيباً، ولبيباً حبيباً؛ ولم يزل (فتح اللّه) منّا قريباً؛ ولقد كانت تطلع شمسنا وتستضيئ من فانوسنا ليلاً ونهاراً؛ ولقد كان سيفنا يقطع مجرّداً وهو في جفنه سرّاً وجهاراً.

فصلٌ

ولقد لبسنا لحرب الطريق الدلاصَ فهان، وقطعنا رأسه حتّى حللنا بأصفهان، فنزلنا عند أسدها بل أسدّها، عين أعيانها بل إنسان عين إنسانها، سرّ أبيه أسد اللّه الغالب، خلاصة ولد أبي طالب، أقرّ اللّه عينه، وأدام عونه، وأهطل غيثه، وأدام غوثه، ولا زالت همّته العليّة تتجلّى بغير انجلاء، وتقضي معارف العارفين من غيرِ انقضاء، ما قصد سيلٌ قراراً، وطرد ليلٌ نهاراً. فلقد تلقانا بالرّحبِ والترحيبِ، وقابلونا كما يقابل المحبّ الحبيب، ولقد وطئنا سهلاً وأيّ سهل، ولقينا به وبهم أهلاً وأيّ أهل، غذاؤهم العلم والتفكّر، ونقلهم المذاكرة والتذكّر، جوارهم مرضيّ، وذمامهم مرعي، يشفون الوسائل، ويسعفون المسائل، ويولون المغانم، ويؤدّون المغارم، وينيلون المُعْتَرّ، ويقيلون المُعْثَرّ، فتراهم بين فقيرٍ يواسونه، وعقيرٍ يوسونه، ونصيحٍ يؤثرونه، وجميلٍ يرونه؛ يجودون بما يجدون، ويَعْدِلون ولا يُعْدَلون، ويَمُنُّون ولا يَتَمَنَّون، ويميرون ولا يَمْتَنُّون، ويُسدِّدُون ولا يُسَدَّدون، ويَسْدُون ولا يُسْدَوْن، ويورَدُون ولا يُرِدُّدُون، ويبذلونَ الأغراض، ويصونُون الأعراض؛ أقْدَرهم اللّه على تنفيسِ الكربات، والمنافسة في القربات، وغضّ عنهم العيون الحاسدة، وفضّ عنهم الجموع الحاشدة، ولا زالوا في حالين في محلّ الفضل والإنعام، خالين من كلّ ذمٍ وذام، قائمين بالحقّ حقّ القيام، إلى يوم القيام.

فصلٌ

وها أنا قاطن في أصفهان، وما أدراك ما أصفهان؟ جَنّة الأرض، وحبّة العرض، حصينةُ المرابع، خصيبة المراتع، ذات نسيم للروح نسيب، وثمار ما لمن لم يذقها في الأثمار نصيب، نُورها ساطع، ونَورها طالع، قد ظهرَتْ بشاشتها البهيّة، وزَهَت بملابسها الزهيّة، أيّامها أحسن من أنوار الأشجار، وأطيب من أنفاس الأسحار، فهي

تغني عن سوالف الدهور، وتعبّئ عواقب السرور، ولياليها أحلى من قُبلةِ الحبيب، وأشهى من غفلة الرقيب. وهل تقاس بما سواها وبينهما من الفرق ما بين القدم والفرق، ومن الصرف ما بين الولاية والصرف؟

فصلٌ

ولقد أجزل علينا النعم إلهنا إذ أتى بنا إلى هنا. فالآنَ ألآنَ الزمانُ جانبَه، واستعذبَ الواردُ مشاربه، وتعمد الساري مساريه ومساربَه. ولقد جذلتُ بخروجي من دولة المنافقين، ودخولي في دولة المؤمنين، جذل من آلَ إلى آلِهِ على أسعدِ أحوالِه، وأوى إلى مآلِهِ ظافراً بآمالِهِ، وسُرِرتُ مسرّةَ من أُطلق من إسارِه بعد طول إضرارِه، وقبضت راحةُ يساره على راحة يساره[1].

وبالجملة حالي فيها حال غريبٍ شارف الوطن فَتَنَسَّم تربته، أو طالبٍ أدرك الوطر فتسنّمَ رتبته، ولولا أنّ لكم وحشةً لا تبلغ وصفها الأقلام، قال قائل يوم هنا ألف عام.

فصلٌ

وها أنا أيّها الشيخ ـ ذرأ اللّه عنك ما ذرأ ـ بين الأعاجم أُخالطهم مخالطة مسالم، لا مخالطة مصالم، وأُجاملهم مجاملة باسم، ولا أُحاملهم محاملة مقاسم، لعلمي أنّ من سلم من الناس، سلم من الباس، وأنّ المداراة للنوب، والإجمال في الطلب، يومئان إلى النجاح، ويؤمنان من الافتضاح، فأنا أخفض لهم الجناح، وأرفعُ عنهم الجُناح، وأجعل بَلَلاً من أقوالهم بحراً، وليلاً من أفعالهم فجراً، لعلمي أنّ المخالطةَ معاشرةٌ لا معاسرة، ومسامرة لا مشامرة، ومقاربة لا مواربة، ومناسبة

١. «راحة» الأولى تعني باطن الكفّ، والثانية من الارتياح. و«يساره» الأولى تعني اليد اليسرى، والثانية تعني الغنى.

لا محاسبة، ومجالبة لا مغالبة، ومكالمة لا ملاكمة، ومسالمة لا مصالمة، ومباسمة لا محاسمة، ومراحمة لا مزاحمة، ومنادمة لا مصادمة، ومخادمة لا مخاصمة، ومساهلة لا مباهلة، ومواصلة لا مفاصلة، ومجالسة لا مخالسة، ومؤانسة لا مدانسة، ومضارعة لا مصارعة، وممازجة لا ممارجة، ومحابةً لا مماحنة، ومعاونة لا مغابنة، ومفاوضة لا معارضة.

فصلٌ

ولقد مشيتُ على ما تعهده منّي من طريقي المستقيم، وخلقي الكريم من التجنّب ما استطعتُ عن المباراة، والتنكّب جهدي عن الممارات، لعلمي أنّهما يهدمان الدين، ويعدمان اليقين، ويضعفان القُوَى، ويوهنان العُرَى، وأنّهما ربما أثارا فتنة، شديداً ضرامها، بعيداً مرامها، جائرة أحكامها، دائرة أعلامها، مسمومة سهامها، مذمومة أيّامها.

وربما أطلق بعضهم عنان الإكثار، فأثار على نفسه قبيح الآثار، وتصدّى للقيل والقال، وتعدّى بالجدال إلى المِحال، على أنّه قد تشبّه فلم يَحُكِ المثال، ولم يَحُكْ على المنوال. وأين الماء من السماء، وموقع السيل من مطلع سهيل! وحينئذٍ لم أَلِنْ لين الذليل، ولكن لا يزعم بمن نجرى[1] من الدليل بل عاملته بما قيل، ولم أقنع له بالقليل.

شعراً

إنّما الجاهل إن لايَنْتَ[2] به ... فهو من غفلته لا ينتبه
خُذه بالغلظةِ كي تنفعه ... ولقد أضررتَ إن لايَنْتَ[3] به

ولقد شمّرتُ له عن ساعد المقال في ذلك المقام، وبيّتُّ بحمد اللّه عن بالغ الكمال ببديع الكلام.

١. كذا.
٢ و٣. لاَيَنْتَ: استعملت اللّين وتركت الشدّة.

شعراً

لئن كنتُ محتاجاً إلى العلم إنّني إلى الجهلِ في بعضِ الأحايين أحوجُ
فلي فرس بالخيرِ للخيرِ ملجمٌ ولي فرسٌ بالشرّ للشرّ مسرجُ

فصلٌ

لا عيب في ديار العجم سوى قوم قعدوا للقضاء المحكم، فوقعوا في القضاء المبرم، أو للفتوى للناس، فوقعوا في الفتنة والبأس.

شعراً

قل للذي يقضي ويفتي ولا يحسن في ذلك أن يحسنا
أقاضياً أصبحتَ أم قاضباً ومفتياً أمسيتَ أم مفتناً

ضمائرهم خُبث وأيمانهم جِنث، ما فيهم إلّا عظام عظام، وأجسام جِسام، بل اسم بلا جسم، أو جسد بلا أحد، قصارى أحدهم أن ينصب تحته تخته، ويوطئ دسته استه، لا يحضر معه في مجلس قضائه من الأدوات، إلّا القلم والدواة، ظاهرهم ظاهر أصحاب السمت، وباطنهم باطن أصحاب السبت، يحسب أحدهم قد أحسن وإنّما هو أخبث وأحنث، فإذا تكلّم لا يدري أحَدَّث أم أَحدَث، ولا يُصابون يُصيبُون، بل يَنصِبون ويُنصِبون، وللدين يرفضون، وعلى الفلس يركضون، كأنّهم إلى نُصُبٍ يوفضون، يَفتِنون ولا يُفتُون ويَفتُّون ولا يُفتَّون، بل أحدهم بالهوى مفتون، وكلّهم بحبّ العاجلة مفتون، يتسامرون في الغيبة، ويتفاخرون في الريبة، قد أطلقوا في الغيبة ألسنتهم، وأنفقوا في الهوى أزمنتهم، فما أكثر سراب أخلاقهم، وأكثر شراب نفاقهم! قد قبحت أوصافُهم، وقلّ إنصافهم، واستوطؤوا الفسق مركباً، واستعذبوا السحق مشرباً.

شعراً

نادوا على الدين في البلدان قاطبة يا قوم من يشتري ديناً بدينار

ولأنّهم أذلّ وأحقر من أن يقصدهم مثلي في التلب، وإنّما جرّبت رويّتي فيهم تجربة السيف على الكلب، وإنّي لمّا انتقصت الكلب بتشبيههم به لأستغفر اللّه وإليه أتوب، حيث أنّه لا ذنب للكلب ولهم أنواع من الذنوب.

فصلٌ

لا يزال الإنسان حسن الظنّ ببديهة نفسه، قليل التفحّص عن رويّة حدسه، لا جرم إنّ العثار سابق إلى قدمه، والاغترار سائق إلى ندمه.

وقد يطفح ممّا روّقتُه من المقال. دعوى الكمال، مع أنّه تمويه على الجهال، وتستر بالمحال على غير العالم بالمحال. وإن أردتَ أيّها الشيخ ـ أيّدك اللّه وإيّانا بروح منه حقيقة الحال، فاستمع لما يقال: إنّه قد استولى عليّ الجهلُ المركّب وَهَوْجَل[١]، وحلّ بي بعدك منه ما قد حلّ، وغير عجيب بعد نزوعي عن منشئي ومواطني البهيّة، انتزاعي من قسم الإنسانيّة والدخول في قسم البهيميّة، ألا يُرى إلى حسن اخضرار العود، فإذا فارق منبته استعدّ للوقود. فها أنا تارةً أستغرق في الجهل والطيش، فأراني في لذّة العيش، وتارةً تلاحظني منكم بقايا العناية، فأعلم أنّي من الجهل في أقصَى الغاية، ولعلّني لولا تلك الملاحظة لم أهتد إلى كلام، ولم أميّز بين نورٍ وظلام، وأنا أرجو أن أعود بتلك الملاحظات، وصالح تلك الدعوات، إلى الحالة الأُولى والمعهودة، والطريقة المتقدّمة المحمودة.

فصلٌ

ولقد استبدلتُ ـ أيّها الشيخ أعزّك اللّهُ ـ من ذاك الوقار الذي تعهده منّي حدّةً وطيشاً، ومن ذاك الدؤوب في الجدّ لذّة وعيشاً، فبعد ما كنتُ في كلّ يوم من الكمال في مزيد، صرتُ كلّ آن في نقصٍ جديد وجهل مزيد، فما أحقّني بهذا النشيد!

١. أسرع.

شعراً

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي
كمٌّ طويل وباع قصير وعلمٌ قليل وتيهٌ كثير

الهيئة هيئة أهل العلم ولكن العلم للّهِ، والظاهر ظاهر أهلِ الصلاح والباطن لاهٍ، فلو رأيتَني أيّها الشيخ المصون، وأنا على حالة عليها أكمل ما يكون، لتيقّنتَ أنّ الجنونَ فنونٌ، ولأنشدتني:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكّة سامرُ

وقد كنتُ من قبل أرجو أن أصيرَ باختلاطي بالعجم بعد العرب جامعاً للفضيلتين، فحصلتُ على مقابح المرقّين، وغلفتُ عن أنّ القياسَ إنّما ينتج أخسّ المقدّمتين، فها أنا كالعَير ذهب يبتغي قرنين، فرجع وهو مصلوم الأُذنين.

ولربّما طلب الحريص زيادة فغدت مؤدّية إلى النقصانِ

فصلٌ

قد قنعتُ من العبادة على أقلّ المجزئ من الصلاة والصيام، وهيهات أن أوفيهما حقّهما على التمام.

شعراً

فقلتُ لرشدي والتنسّك والتقى تخلّوا وما بيني وبين الهوى خَلّوا

وحصّلتُ من الفقه على نواقض الوضوء الطهارة، وهيهات أن أُوفّيهما حقّهما من العبارة.

وصرتُ لا أعرف من النحو، بعد ذاك الرسوخ والثبوت، إلّا «أكثر شربي السويق وهو ملتوت».

ولا أعرف من التصريف مقالاً، إلّا «قاتل يقاتل قِتالاً».

ولا من المنطق بعد ذاك التعب والجهود، إلّا «إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود».

ولو شرحتُ لك نهاية جهلي بالأُصول، وقلّة ما لي فيه من المحصول. وشرحتُ لك مختصر مبادئ خلاصة حالي العجيب، لتلخّص لك من فوائد النثر حال متشعبّة التهذيب.

شعراً

يا ذا الذي دلّ على أنّه قد ذهب العلمُ بتهذيبِهِ
ليس كما تزعمُ لكنّه جلستَ من كفّيك[1] تهذي بِهِ

فها أنا لا علم لي بالعلم، ولا فقه بالفقه، ولا أُصول في الأُصول، ولا كلام في الكلام، ولا معقول في المعقول، ولا منقول في المنقول، ولا منطق في المنطق، ولا حكمة في الحكمة، ولا رياضة في الرياضيات، ولا هيئة في الهيئة، ولا حساب في الحساب، ولا طبيعة في الطبيعيات، بل ولا حقيقة في الحقيقة، ولا طريقة في الطريقة، ولا نحو في النحو، ولا تصريف في التصريف، ولا معاني في المعاني، ولا بيان في البيان، ولا بديع في البديع، ولا لغة في اللغة، ولا شعور في الشعر، ولا نظم في النظم، ولا نثر في النثر.

شعراً

ماذا يريد العاذلون بعذل من لبس الجهالة فاستراح وراحا

فصلٌ

داعيك هذا الحارثيّ، وما أدراك ما الحارثي! قد قطعه الفضول عن الفضل، ومنعه العدول عن العدل، فصار يكذّب الثناء، ويخيّب الرجاء، شعره خامل، ليس له حامل، نثره منثور على المزابل، ليس له مزاول، شرّه موجود و خيره مفقود، ميزانه وكيلُه، ولسانه أكيله، وكيسه أنيسه، ورغيفه أليفه، ويمينه أمينه، وخاتمه خادمه، وصندوقه صديقه.

١. كذا.

شعراً

مستيقظ فإذا اشتُضِيف يصير في قسم النيامِ
وإذا بدا وقتُ الطعام يصير في حدّ الفطامِ
تبدو مصائبه العظام أوان تجريد العِظامِ

فهو في الخير وإن عام، لا يعرف الحُسنى والإنعام.

شعراً

رأى الصيف مكتوباً على باب داره فصحّفه ضيفاً فقام إلى السيفِ
فَقُلنا له خيراً، فظنّ بأنّنا نقول له خُبزاً، فماتَ من الخوفِ

قد انعكست عادته، وقلّت إفادته، فهو يخزن الفلس، ويحزن النفس.

شعراً

لو أنّ دارك يا حسينُ كلّها ابرٌ يضيق بها رحيب المنزلِ
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ليخيط قدّ قميصه لم تفعلِ

فصلٌ

ورُبَّ لبيبٍ يرى رسالتي هذه فيختلج في حدسه، أنّه ما أحسن حسين[1] إلّا في هَجوِ نفسه، فأقول: غيرُ بعيدٍ أن أقولَ: قد قصّرت في هجو نفسي، فما أبلغ غاية المرمى؟ فقد قيل: إنّ الإنسانَ عن عيبِ نفسِه أعمى، لاسيّما ولسانُ التقصير قَصير، ولكنّ جهدَ المقلّ كثير ﴿ربَّنا لا تُؤاخِذنا إن نَسِينا أو أَخطأْنا رَبَّنا ولا تحمِل علينا إصراً كما حملتَهُ على الّذينَ مِن قبلنا رَبَّنا ولا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنّا واغفر لَنا وَارْحَمْنا أَنْتَ مولينا فانصرنا عَلَى القَوْمِ الكافرينَ﴾[2].

١. أي المؤلّف.
٢. البقرة (٢): ٢٨٦.

فصلٌ

ولقد أرسلت إليك رسالة ـ أيّها الشيخ ـ نظمتُ وأنا طائر بجناحِ السفر فرائدها، وجمعتُ قبل استقرار الحضر شواردَها، وتألّف منها ـ وللّه الحمد ـ عنقود حلوّ العصر، أو عقودٌ مرصّعة تصرع مصارعها من بلغاء العصر، بل لو أنّ سحبان سبح بفصاحته على السحاب، لحبس عن معارضتها بمحاسن لم تكن له في حساب، وأمّا جرير فغير حريٍّ إذا جرت أو جرّت ذيلاً على أن يجري مجراها، وأمّا الحريريّ فحريّ أن يحور حائراً إذا باراها. وكيف لا آتي مثل ذلك وقد يسّر اللّه لي التشرّف بدولة صافية المشارع، ضافية المدارع، ماتعة الظلّ، واقعة الطَلّ، بحورها زاخرة، وبدورها زاهرة، ذات سعادات وافية، وإرادات كافية، مساعدة الآمال، واردة الإقبال، دولة من يُولي المغانم، ويؤدي المغارم، ويشفي الأغلال، ويزيل الإقلال، ويطيل الإقبال، ويعرف المنازل ويكشف النوازل، دولة ليثٍ حامٍ، وغيثٍ هامٍ.

شعراً

فحريق حمرة سيفه للمعتدي ورحيق خمرة سَيْبِه للمقتدي

يعتقد الجلال، وينتقد الرجال، زمانه محمود، ومكانه [١]، له شُمول إنعام أزكى من الشَمول[٢]، ومقبول الرداء أقبلت به ريح القبول، أدام اللّه بدوام دولته مُدد العلوم والعطايا، وأقام بقوام نصرته أوَد العموم والرعايا، ولا زال بالحقّ قائماً، ما دام للسيف قائماً، وبالإنعام عاملاً، ما اهتزّ للرمح عامل. ولطال ما كانت تطفح عليّ في طريقي بشارة الإقبال والقبول، وتهزّني مسرّة الوصول إلى المأمول، فأترنّم بأبيات يُكْشَف عندها الهواء، وتَقِف لديها الأهواء، وأثبتها في رسالتي هذه ليلتثم شمسها ببدرها، ويمتزج عذب نهرها بفائض بحرها، وتتشرّف بنظرك ومجلسك الرحيب،

١. بياض في الأصل.
٢. يريد بـ(أزكى) هنا أطيب طعماً ورائحة، والشَمول: الخمر.

ويثبت لها قدم صدق عند كلّ لبيب، وهي هذه:

شعراً

ومرسل صدعٍ قد دعا الناس للهوى ... جهاراً فآمنّا وإن يَدْعُ أَمَّنّا

أرنا هوىً يُولى هواناً لذي النُّهى ... ولم يُولِنا يمناً بيسرى ولا يمنى

وأسلمنا للموت عمداً ولم يكن ... لِيُحيي بالحسنى وقد ملك الحسنا

أقول وقد أبدى من الثغر منطقاً ... تَهَنَّ وما هَنَّى غرامي من هَنَّا

تُمنّي بوصل لا يَمُنُّ ببذله ... بنفسي من منيّ زماناً وما مَنّا

نَعمنا به لكن مُنِعْنا من الْمُنى ... وإذ صدّعنا قبل نيل المنى عنّى

وسنَّى لدينا الموت إذ سنَّ جفنه ... فيا حسن ما سَنَّى ويا حسن ما سنّا

نسيم الهوا إن أنّ من لوعة الهوى ... فلا تعجبوا إنّا نئنّ وقد أنّا

وليل الجفا والصدّ جَنّا وأظلما ... فلا بِدْعَ إذ جنّا لمثلي إذا جُنّا

وأسقمنا ذاك الجفا بل أماتنا ... فيا منيتي عُدنا فإن عُدتّنا[1] عُدنا

ويا قوم لينا لا بعدتم فإنّنا ... إلى قربكم لينا وإن بعدت لينا

خاتمة

وهي أنّي لما رأيت معالم الأدب قد كانت فيما تقدّم ناجمة الزهر، زاهرة النجم، حامية الشهاب، هامية السحاب، قائمة السوق، نافقة الرُسُوق، محمودة الوصف، منيرة المنظر، ناضرة النور، مستورة المعصم، عاصمة السّور؛ والآن قد غاب بَدرُها، وغاضَ بَحْرُها، وانكسفت شمسها، وانسفكت نفسها، وصارت أثراً بعد عين، فلا تكاد تلحظ بعين؛ جمعتُ[2] في رسالتي هذه من الفصاحةِ والبلاغةِ منتثراً، ونثرتُ مجتمعاً، وضمّنتها من ذلك عيوناً من سواد كسواد من العيون، وأفواه طيبٍ من طيب أفواه،

١. هذان الفعلان من عيادة المريض.

٢. جواب «لما رأيت» قبل بضعة أسطر.

وقرنت منها أنقاساً بأنفاسٍ من نثرٍ قد حصره اشبه، ونظماً كثيراً ما حصره الشبه، ونظمتُ فيها جواهر يغزر مددها، وينزر عددها، فهي أبهى من العقود استحلاءً، وأصفى من الدرّ تبلّجاً، وأذكى من العطر تأرُّجاً، فعرائس الأبكار فيها تُجلى، وغرائس الأفكار منها تُجنى، مواهبها رغائب، ومنائحها غرائب؛ ليتخذها اللبيب مألباً، والاريب مأرباً، والرائد روضاً، والوارد حوضاً، والحائر دليلاً، والجائر سبيلاً.

فمن استسقى نضر معصراتها، واستشفى بقطر معصراتها، وتداول شرائع شرعها، وتناول من غرائس فرعها، وأعلن بها شراع دينه في الأدب، وأتقن شراع سفينته في الطلب، تَفَتَّحَتْ أنوار جنانه، وتنقّحَتْ أنوار بنانه، ومن رآها بعين قلبه، وورّاها[1] إلى لباب لبّه، ثمّ لم يتعلّم منها الفصاحة و الأدب، ولا أقتدر على تحصيل ما في نفسه من الأَرَب، فهو لعمر اللّه عن الأدب محجوب، وعلى رويّته وسجيّته مغلوب، وعليّ أن أسعى وليس عليّ إدراك النجاح.

اللّهم اسلك بنا سبيل الرشاد، واجعلنا من أهل السداد، وَهَبْ لنا الأمن يوم المعاد، إنك أنت الكريم الجواد، وصلّى اللّه على محمّدٍ وآله الأمجاد.

١. وراها: سترها. «الصحاح» ج٦، ص٢٥٢٣، «وري».

الفهارس الفنّيّة

١ ـ فهرس الآيات الكريمة
٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة
٣ ـ فهرس الأحاديث القدسيّة
٤ ـ فهرس الأشعار
٥ ـ فهرس أسماء الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام
٦ ـ فهرس الأعلام الواردة في المتن
٧ ـ فهرس الكتب الواردة في المتن
٨ ـ فهرس مصادر التحقيق
٩ ـ فهرس الموضوعات

١ ـ فهرس الآيات الكريمة

سورة الفاتحة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم (١) ..... ٨٣، ٨٤
الحمد لله ربّ العالمين (٢) ..... ٨٣، ١٥٤
الرحمن الرحيم (٣) ..... ٨٣، ١٠٣
مالك يوم الدين (٤) ..... ٨٣، ١١٥، ١١٧
إيّاك نعبدُ وإيّاك نستعينُ (٥) ..... ٨٣، ٨٧، ٩٢، ١٢٣، ١٢٥
اهدنا الصراط المستقيم (٦) ..... ٨٣، ١٣٦
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين (٧) ..... ٧٢، ٧٤ ـ ٧٥، ١٤٧

سورة البقرة (٢)

الٓمٓ (١) ..... ١٦١، ١٦٢
ذلك الكتاب (٢) ٧١
أُولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى (١٦) ١٣٩
أينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْه الله (١١٥) ١٣٥
واتّقوا يوماً تُرْجَعون فيه إلى الله (٢٨١) ١٥٧

سورة آل عمران (٣)

فَبَشِّرهم بعذاب أليم (٢١) ١٣٧
والله يحبّ المحسنين (١٣٤ و١٤٨) ١١٣

سورة النساء (٤)

فأُولئك مَعَ الذين أَنْعَمَ اللّهُ عليهم (٦٩) ١٤٨

سورة المائدة (٥)

من لَعَنَه الله وغَضِبَ عليه (٦٠) ..... ١٥٠، ١٥٢
قد ضلّوا مِنْ قَبْلُ وأضلّوا كثيراً (٧٧) ١٥٠

سورة الأنعام (٦)

وهو الله في السموات (٣) ٩٨
فلمّا أَفَلَ قال لا أُحِبّ الآفلين (٧٦) ١٣٣
أُولئك الذين هَدى الله فَبِهُداهُمُ اقْتَدِه (٩٠) ١٤٣

سورة الأعراف (٧)

الّمص * كتابٌ أُنزل إليك (١ ـ ٢) ١٦٠
ونادى أصحابُ الجنّة (٤٤) ١١٨
واختار موسى قَومَه (١٥٥) ١٤٤

سورة التوبة (٩)

تجرى من تحتها الأنهار (٧٢ و ٨٩) ٨٦
فَبَشِّرْهم بعذاب أليم (٣٤) ١٣٧
لا تَحْزَن إنّ الله مَعَنا (٤٠) ١٢٧

سورة يونس (١٠)

فماذا بعد الحَقّ إلّا الضَلالُ (٣٢) ١٥٢

سورة هود (١١)

الّر كتابٌ أُحكمَتْ آياتُه (١) ١٦٠

سورة إبراهيم (١٤)

إلى صراط العزيز الحميدِ * اللّهِ (١ ـ ٢) ٩٦
لئن شكرتم لأَزيدنّكُمْ ولئن كَفَرتُمْ... (٧) ١٥٠
وإن تَعُدّوا نِعْمَت الله لا تُحْصُوها (٣٤) ١٤٨

سورة الحجر (١٥)

وَلَقَد آتيناكَ سَبْعاً من المثاني (٨٧) ٧٦

سورة النحل (١٦)

ولله المَثَل الأعلى (٦٠) ١٢٢

سورة الإسراء (١٧)

إنّ هذا القرآنَ يهدى للّتى هى أقْوَمُ (٩) .... ١٣٨، ١٤٢
وإن من شيء إلّا يُسبِّح بحمده (٤٤) ..... ١٠٨، ١٢٨
مَقاماً مَحمُوداً (٧٩) ١٠٨

سورة مريم (١٩)

فاتّبعنى أَهدكَ صِراطاً سَوياً (٤٣) ١٣٩

سورة طه (٢٠)

هى عصاىَ (١٨) ١٢٨
أعطى كلَّ شيء خَلْقَه ثُمَّ هَدى (٥٠) ١٤٢

سورة الأنبياء (٢١)

وجَعَلْناهم أئمّةً يَهْدون بأمرنا (٧٣) ١٤٢
إنّكم وما تعبدونَ من دون اللهِ... (٩٨) ١٢٤

سورة الفرقان (٢٥)

ليكونَ للعالَمين نذيراً (١) ١١٣

سورة الشعراء (٢٦)

وما ربُّ العالَمين * قال ربُّ السمواتِ والأرضِ و... (٢٣ ـ ٢٤) ١١٢
إنّ مَعى رَبّى سَيَهْدين (٦٢) ١٢٧

سورة القصص (٢٨)

إنّى أنَا اللّهُ (٣٠) ١٣٣

إنّك لا تَهْدِي مَنْ أحبَبْتَ (٥٦) .. ١٣٨

سورة العنكبوت (٢٩)

والذين جاهدوا فينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا (٦٩) .... ١٣٨، ١٤٣

سورة الصّافّات (٣٧)

فاهْدُوهم إلى صراطِ الجَحيم (٢٣) ١٣٧

سورة غافر (٤٠)

غافرِ الذنبِ وقابلِ التّوْبِ شديدِ العقاب ذي الطّولِ (٣) ١٥٠

لِمَنِ المُلْكُ اليومَ للّهِ الواحدِ القهّار (١٦)..... ... ١١٧

يا قَوْمِ اتّبِعونِ أهدِكم سَبيلَ الرّشادِ (٣٨) ... ١٣٩

سورة فصلّت (٤١)

وأمّا ثمودُ فَهَديناهم فاستَحَبّوا العَمى (١٧)..... ١٣٨، ١٤٢

لا يأتيه الباطِلُ من بينِ يَدَيْه ولا مِنْ خَلْفِه (٤٢) ٥٧

سورة الشورى (٤٢)

حمّ ۞ عَسَقَ (١ ـ ٢)... ١٦١

وإنّك لَتهدي إلى صراطٍ مُستقيم (٥٢) ١٣٨

سورة محمّدﷺ (٤٧)

والذين اهتَدَوا زادَهُم هُدىً (١٧) ١٤٣

سورة الفتح (٤٨)

يَغْفِر لمَن يشاءُ ويُعَذِّبُ من يشاء (١٤) ١٥٠

سورة الذاريات (٥١)

وَما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ (٥٦)..... ١٢٢

سورة الواقعة (٥٦)

فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّك (٧٤ ـ ٩٦) .. ٩٣

سورة الحاقّة (٦٩)

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ (٥٢) ٩٣

سورة الانفطار (٨٢)

يَوْمَ لا تملِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شيئاً و... (١٩) ١١٧.

سورة الانشقاق (٨٤)

فَبَشِّرهم بِعَذاب أليم (٢٤). ١٣٧

سورة الطارق (٨٦)

يوم تُبْلَى السرائرُ (٩). ١١٥

سورة الأعلى (٨٧)

سَبِّح اسمَ رَبِّكَ (١) ٩٢

سورة البلد (٩٠)

وَهَدَيناه النَّجدين (١٠) ١٣٨، ١٤٢

سورة العلق (٩٦)

إقْرَأ باسم ربِّك (١) ٨٧

سورة الفيل (١٠٥)

فَجَعَلَهُم كَعَصْفٍ مأكولٍ (٥) ٦٧

سورة قريش (١٠٦)

لإيلاف قُرَيش (١) ٦٧
فَلْيعبدوا رَبَّ هذا البيتِ (٣) ٦٧

سورة الإخلاص (١١٢)

قُلْ هو الله أحدٌ (١) ٩٧
ولم يكن له كُفُواً أَحَدٌ (٤) ٩٧

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

أبشر بنورين أوتيتهما... فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة..... رسول الله ﷺ ١٥٤

اسم الله الأعظم مقطّع في أُمّ الكتاب..... الصادق عليه السلام ١٥٥

اعبد الله كأنّك تراه..... النبيّ ﷺ ١٣١

أُمّ القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضاً عنها..... النبيّ ﷺ ٧٦

إنّ الله احتَجَب عن العقول كما احتجب عن..... مروي ٩٩

إنّ القوم ليبعث الله عليهم العذاب..... النبيّ ﷺ ١٥٤

﴿إهدنا﴾: ثَبِّتنا..... أمير المؤمنين عليه السلام ١٤٣

باسْمِكَ رَبّي وَضَعْتُ جَنبي و..... النبيّ ﷺ ٨٨

باسمك اللهمّ أحيا وأموت..... النبيّ ﷺ ٨٨

الحساب (المراد بـ﴿الدين﴾)..... الباقر عليه السلام ١١٨

الرحمن اسم خاصّ لصفة عامّة والرحيم..... الصادق عليه السلام ١٠٤

ستُفَرّق أُمّتي ثلاثاً وسبعين فرقةً..... رسول الله ﷺ ١٥٠

فاتحة الكتاب سبع آيات أُولاهنّ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾..... النبيّ ﷺ ٨٣

فاتحة الكتاب شفاء من كلّ داءٍ..... النبيّ ﷺ ٧٧

قال الله(عزّ وجلّ): قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين..... النبيّ ﷺ ٧٧

كتاب الله (المراد بـ﴿الصراط المستقيم﴾)..... النبيّ ﷺ ١٤٤

كلّ ما مَيّزتُموه بأوهامِكُم في أدقّ معانيه..... الباقر عليه السلام ١٠٩

كما تدين تدان..... علي عليه السلام ١١٨

لقد تجلّى الله لعباده في كلامه ولكن لا يبصرونَ..... الصادق عليه السلام ١٣٢

لو قرئت الحمد على ميّت سبعين مرّة ثمّ ردّت فيه الروح..... الصادق عليه السلام ١٥٥

ما زِلْتُ أُردِّدُ هذه الآية، حتّى سمعتها من قائلها..... الصادق عليه السلام ١٣٣
من أصغى إلى ناطقٍ فقد عَبده فإن..... الباقر عليه السلام ١٢٤
نزلت فاتحة الكتاب بمكّة في كنز تحت العرش..... أمير المؤمنين عليه السلام ٧٦
نعم... (سألت عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي الفاتحة؟ قال:) ..... الصادق عليه السلام ٨٤
نعم، هي أفضلهنّ(قلت: «بسم الله الرحمن الرحيم» من السبع؟ قال:)..... الصادق عليه السلام ٨٤
يا جابر ألا أعلّمك أفضل سورة أنزلها الله..... النبيّ صلى الله عليه وآله ١٥٤
يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ..... السجّاد عليه السلام ١٠٣
يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة..... مروي ١٠٣
يا كهيعص، يا حم ✽ عسق ..... أمير المؤمنين عليه السلام ١٦٠
يعيدها (فكتب عليه السلام بخطّه:)..... الباقر عليه السلام ٨٤

٣ ـ فهرس الأحاديث القدسيّة

أنا جليس مَنْ ذكرني ١٣٢

سَبَقَتْ رَحْمتي غَضَبي ١٠٥

ما يتقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ ممّا افترضت عليه ١٢٦

٤ ـ فهرس الأشعار

إلى الحَـوْلِ ثُـمَّ اسْـمُ السَّـلامِ عـليكما ٩٢

لك ألْـفُ تَـعبودٍ مـطاعٍ أَمـرُه دون الإله وتَـدَّعي التـوحيدا ١٢٩

واللّـه أسـماك سُـمىً مـباركاً آثـرك اللـه بـه تـباركاً ٩٠

وإنّ قـميصاً خـيط مـن نسـج تسـعة وعشرين حرفاً عـن معاليه قـاصر ١٣٥

ولقـد أمـرّ عـلى اللّـئيم يَسُـبُّني ١٥٢

٥ ـ فهرس أسماء الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام

النبيّ آدم عليه السلام ٥٨

النبيّ إبراهيم عليه السلام ..... ١٣٣، ١٣٩

النبيّ موسى عليه السلام ..... ١٢٨، ١٣٣، ١٤٨

النبيّ عيسى عليه السلام ١٤٨

النبيّ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ..... ٧٦، ٧٧، ٨٣، ٨٨، ١٢٢، ١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٠

الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام ..... ٧٦، ١٤٣، ١٥٧، ١٦٠

الإمام الباقر عليه السلام ..... ٨٤، ١٠٩، ١١٨، ١٢٤

الإمام الصادق عليه السلام ..... ٨٤، ١٠٤، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٥

الإمام الرضا عليه السلام ٦٨

٦ ـ فهرس الأعلام الواردة في المتن

ابن عامر ٨٦
ابن عبّاس = عبدالله بن عبّاس ٧٨، ٨٤، ١٥٤، ١٦٠
ابن كثير ١٤٤
ابن المبارك ٨٢
أبو حنيفة ٨٢
أبوذرّ ٨٨
أبو علي الطَّبْرِسي ..... ٦٧، ٧٣
أبو عمرو ٨٦
أبيّ بن كعب ٦٧
أحمد ٨٣
الأخفش ٦٧
الأخفشين (الأخفش والزجاج) ٦٧
أُمّ سلمة ٨٣
الأوزاعي ٨٢
بهاءالدين العاملي = الشيخ البهائي ٥٨
البيضاوي ..... ٦٠، ٧٤
جابر بن عبدالله ١٥٤
جبرئيل ١٦٠
حذيفة بن اليمان ..... ٨٨، ١٥٤
حمزة ..... ٨١، ٨٦، ١٤٤
خلف ١١٧
الخليل ١٢٣
داود ٨٣
رابعة العدوية ١٢٩
رُوَيس ١٤٤
الزجّاج ..... ٦٧، ١٢٣
الزهري ٨٢
سعيد بن جُبَيْر ٨٢
شاه عبّاس الصفوي ٦٢
شيخ الطائفة أبوجعفر الطوسي ٦٧
الشيخ الكليني = محمدبن يعقوب الكليني ١٢٤
عاصم ١١٧
قالون ٨٢
الكسائي ١١٧
لُبَيد ٩٢
مؤمن آل فرعون ١٣٩

مالك ٨٢
مالك بن دينار ١٢٩
مجاهد ٧٩
المحقق الطوسي = خواجه نصيرالدين الطوسي
١٢١
محمد بن مسلم ٨٤
نافع ٨٦
ورش ٨٦
يحيى بن عمران الهمداني ٨٤
يعقوب ١١٧، ١٤٤

٧ ـ فهرس الكتب الواردة في المتن

القرآن ..... ٥٨، ٥٩، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٥، ١١٧، ١٥٥، ١٦٠
التبيان في تفسير القرآن، للشيخ الطوسي ٦٧
تجريد العقائد، للمحقّق الطوسي ١٢١
تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للبيضاوي ٦٠
التفسير الكبير، لفخرالدين الرازي ٧٤
الصحاح، للجوهري ..... ١٢٥، ١٣٩
العروة الوثقى، للشيخ اليهائي ٦٢
الكافي، للشيخ الكليني ١٢٥
الكشّاف، للزمخشري ..... ٦٠، ٧٣، ٧٤، ١٠١، ١٢١
مجمع البيان لعلوم القرآن، للشيخ الطَّبْرسي ..... ٦٠، ٦٨، ٧٣، ١٢٤، ١٥٤، ١٥٧
مصحف أُبيّ بن كعب ٦٧
المصحف المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام ٦٨
النشر (النشر في القراءات العشر)، لابن الجزري ٨٣

٨ ـ فهرس مصادر التحقيق

١. *إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين*. للسيّد محمّد بن محمّد الحسيني الزبيدي، الشهير بمرتضى (١١٤٥ ـ ١٢٠٥). ١٠ مجلّدات، بيروت، دار الفكر.

٢. *إحياء علوم الدين*. لأبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥)، ٤ مجلّدات + الملحق. بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٣. *أسباب النزول*. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (م ٤٦٨). تحقيق طارق الطنطاوي. القاهرة، مكتبة القرآن.

٤. *إعراب القرآن*. لأبي جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل النحّاس (م٣٣٨) تحقيق زهير غازي زاهد، الطبعة الثالثة، ٥ مجلّدات، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٥. *الأعلام*. لخير الدين بن محمود الزِركْلي (١٣١٠ ـ ١٣٩٦). الطبعة العاشرة، ٨ مجلّدات، بيروت، دارالعلم للملايين، ١٩٩٢م.

٦. *أعيان الشيعة*. للسيّد محسن بن عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (١٢٨٤ ـ ١٣٧١). إعداد السيّد حسن الأمين. الطبعة الخامسة، ١٠ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٧. *أقرب الموارد*. (في فُصَح العربيّة والشوارد). سعيد الخوري الشرتوني اللبناني (١٨٤٩ ـ ١٩١٢م). الطبعة الأولى، ٣ مجلّدات، قم، مكتبة آية‌الله المرعشي، ١٤٠٣هـ.

٨ *أَمَلُ الآمِل في علماء جَبَل عامِل*. للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤). إعداد السيّد أحمد الحسيني. الطبعة الأولى، مجلّدان، بغداد، مكتبة الأندلس.

٩. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)*. لناصرالدين أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي (م ٦٨٥). ٤ أجزاء في مجلّدين، طهران، ١٤٠٥هـ.

١٠. *بحار الأنوار الجامعة لِدُرَر أخبار الأئمّة الأطهار*. للعلّامة محمّدباقر بن محمّدتقي المجلسي (١٠٣٧ ـ ١١١٠). إعداد عدّةٍ من العلماء. الطبعة الثالثة، ١١٠ مجلّد (إلّا ٦ مجلّدات من المجلّد ٢٩ ـ ٣٤) + المدخل، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١١. *البحر المحيط*. لمحمّد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي (م ٧٤٥). الطبعة الأُولى، ٨مجلّدات، بيروت، دارالكتب العلميّة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٢. *البداية والنهاية*. لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). إعداد عليّ شيري. الطبعة الأُولى. ١٤ جزءاً في ٧ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٣. *البرهان في علوم القرآن*. لبدرالدين محمّد بن عبدالله الزركشي (٧٤٥ ـ ٧٩٤). تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم. ٤ مجلّدات، بيروت، دارالمعرفة.

١٤. *تاريخ آداب اللغة العربيّة*. لجرجي زيدان. ٤ أجزاء في مجلّدين، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣م.

١٥ *التبيان في تفسير القرآن*. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد أحمد حبيب قصير العاملي. ١٠ مجلّدات، قم، دارالكتب العلميّة.

١٦. *تذكرة الأولياء*. للشيخ أبي حامد محمّد بن أبي بكر إبراهيم فريدالدين عطّار النيشابوري (ق ٧). تصحيح ميرزا محمّدخان قزويني. الطبعة الثانية، طهران، انتشارات گنجينه.

١٧. *الترغيب والترهيب*. لعبد العظيم بن عبدالقوى المنذري (م ٦٥٦). تحقيق مصطفى محمّد عماره. الطبعة الثالثة، ٤ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

١٨. *تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)*. لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠١ ـ ٧٧٤). تقديم يوسف عبدالرحمن المرعشلي. الطبعةالثانية، ٥مجلّدات، بيروت، دارالمعرفة، ١٤٠٧هـ.

١٩. *تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)*. لقاضي أبي السعود محمّد بن محمّد العمادي (م ٩٥١). ٩ أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، داراحياء التراث العربي.

٢٠. *تفسير الإمام العسكري*. المنسوب إلى الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري

(٢٣٢ ـ ٢٦٠). الطبعة الأُولى، قم، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، ١٤٠٩هـ.

٢١. *تفسير البغوي (معالم التنزيل)*. لأبي محمّد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي (م ٥١٦). إعداد خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار. الطبعة الثانية، ٤ مجلّدات، بيروت، دارالمعرفة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٢. *تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)*. لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (م ٣١٠). الطبعة الأُولى، ٣٠ جزءاً في ١٢ مجلّداً، بيروت، دارالمعرفة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٣. *تفسير العيّاشي*. لمحمّد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعيّاشي (من أعلام أواخر القرن الثالث). تحقيق السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي. الطبعة الأُولى، مجلّدان، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٤. *التفسير الكبير (تفسير الرازي)*. لمحمّد بن عُمَر الخطيب فخرالدين الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦). ١٦ مجلّداً + الفهرس، بيروت، دارالفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢٥. *تكملة أمل الآمل*. للسيّد حسن الصدر (١٢٧٢ ـ ١٣٥٤). تحقيق السيّد أحمد الحسيني. قم، مكتبة آيةالله المرعشي، ١٤٠٦هـ.

٢٦. *التنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبية* ⇐ *المصنّفات الأربعة*

٢٧. *تهذيب الأحكام*. لأبي جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠). إعداد السيّد حسن الموسوي الخرسان. الطبعة الثالثة، ١٠ مجلّدات، بيروت، دارصعب ـ دارالتعارف للمطبوعات، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢٨. *التوحيد*. لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق السيّد هاشم الحسيني الطهراني. قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٩٨هـ.

٢٩. *الثقافة الإسلاميّة*. مجلّة تصدرها المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلاميّة الإيرانية بدمشق. العدد الخامس.

٣٠. *ثواب الأعمال وعقاب الأعمال*. لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). تصحيح عليّ أكبر الغفّاري. طهران، مكتبة الصدوق، ١٣٩١هـ.

٣١. *الجامع لأحكام القرآن (تفسير القُرطبي)*. لأبي عبدالله محمّد بن أحمد الأنصاري القُرطبي (م ٦٧١).

٢٠ جزءاً في ١٠ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣٢. *جامع المقاصد في شرح القواعد*. للمحقّق الثاني عليّ بن الحسين بن عبدالعالي الكركي (٨٦٨ ـ ٩٤٠). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، ١٣ مجلّداً. قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨ ـ ١٤١١هـ.

٣٣. *الجمل على الجلالين*. لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (م ١٢٠٤). ٤ مجلّدات، إستانبول، دارقهرمان.

٣٤. *جَمْهَرة الأمثال*. لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري. الطبعة الأُولى، مجلّدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٥. *حاشية السيّد الشريف الجرجاني على الكشّاف*. (المطبوع ضمن الكشّاف) ⇐ *الكشّاف*

٣٦. *حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي*. ٤ مجلّدات، تركيا ـ ديار بكر، المكتبة الإسلامية.

٣٧. *حجّة القراءات*. لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمّد بن زنجلة (ق ٤). تحقيق سعيد الأفغاني. الطبعة الرابعة، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٨. *الحجّة للقرّاء السبعة*. لأبي علي الحسن بن عبدالغفّار الفارسي (٢٨٨ ـ ٣٧٧). تحقيق بدرالدين قهوجي وبشير جويجاتي. الطبعة الأُولى، ٧ مجلّدات، بيروت ـ دمشق، دارالمأمون للتراث، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٩. *الخصال*. لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١هـ). تحقيق علي أكبر الغفّاري. الطبعة الخامسة، جزءان في مجلّد واحد، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٦هـ.

٤٠. *الدرّ المصون*. (في علوم الكتاب المكنون). لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (م ٧٥٦). تحقيق أحمد محمّد الخرّاط. الطبعة الأُولى، ٧ مجلّدات، دمشق، دارالقلم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤١. *الدرّ المنثور في التفسير المأثور*. لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١). الطبعة الأُولى، ٨ مجلّدات، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤٢. *الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة*. للشهيد الأوّل شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي. (م ٧٨٦). الطبعة الأُولى، ٣ مجلّدات. قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ.

٤٣. *الذريعة إلى تصانيف الشيعة*. للشيخ محمّد محسن آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ ـ ١٣٨٩). الطبعة الثانية، ٢٥ جزءاً في ٢٨ مجلّداً (الجزء ٩ في ٤ مجلّدات) بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ.

٤٤. *روح المعاني*. (في تفسير القرآن العظيم والسّبْع المثاني). لأبي الفضل شهاب‌الدين السيّد محمود الآلوسي البغدادي (م ١٢٧٠). الطبعة الرابعة. ١٥ مجلّداً في ٣٠ جزءاً، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٥. *روض الجِنان و روح الجَنان في تفسير القرآن*. للشيخ أبي الفتوح الرازي (ق ٦). ٥ مجلّدات. قم، مكتبة آية‌الله المرعشي. ١٤٠٤هـ.

٤٦. *روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات*. للسيّد محمّدباقر الخوانساري الإصفهاني (١٢٢٦ ـ ١٣١٣). إعداد أسدالله إسماعيليان. ٨ مجلّدات. قم، إسماعيليان، ١٣٩٠هـ.

٤٧. *رياض العلماء وحياض الفضلاء*. للميرزا عبدالله الأفندي الإصفهاني (١٠٦٧ ـ حوالي ١١٣٤). إعداد السيّد أحمد الحسيني. الطبعة الأُولى، ٦ مجلّدات، قم، مكتبة آية‌الله المرعشي. ١٤٠١هـ.

٤٨. *سلافة العصر*. (في محاسن الشعراء بكلّ مصر). للسيّد علي صدرالدين المدني ابن أحمد قطام‌الدين الحسيني الحسني المعروف بابن معصوم (ق ١١). الطبعة الأُولى، مصر، ١٣٢٤هـ.

٤٩. *سنن أبي داود*. لأبي داود سليمان بن الأشعث السِجِستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥). تحقيق محمّد محيي‌الدين عبدالحميد. ٤ مجلّدات، دار إحياء السنّة النبويّة.

٥٠. *سنن التِرمذي*. لأبي عيسى محمّدبن عيسى‌بن سورة التِرمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩). تحقيق أحمد محمّد شاكر. ٥ مجلّدات، بيروت، دارالكتب العلميّة، ١٤٠٨هـ.

٥١. *سنن الدارقطني*. لعليّ بن عمر الدارقطني (٣٠٦ ـ ٣٨٥). تحقيق أبي الطيّب محمّد شمس الحقّ العظيم أبادي. الطبعة الرابعة، ٤ أجزاء في مجلّدين + الفهرس، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٦هـ.

٥٢. *سُنَنُ الدارمي*. لأبي محمّد عبدالله بن بهرام الدارمي (١٨١ ـ ٢٥٥). تحقيق فواز أحمد زمرلي و خالد

السبع العلمي. الطبعة الأُولى، مجلّدان، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥٣. *السنن الكبرى (سنن البيهقي)*. لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤ـ٤٥٨). تحقيق محمّد عبدالقادر عطا. ١٠ مجلّدات، بيروت، دارالكتب العلميّة، ١٤١٤هـ.

٥٤. *سنن النسائي*. لأبي عبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي (٢١٥ ـ ٣٠٣). الطبعة الأُولى، ٨أجزاء في ٤ مجلّدات + الفهرس، بيروت، دار الفكر، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م.

٥٥. *شَذَراتُ الذَهَب في أخبار من ذَهَب*. لأبي الفلاح عبدالحيّ بن أحمد بن العماد الحنبلي (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩). ٨أجزاء في ٤ مجلّدات، بيروت، دارالفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٥٦. *شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام*. لأبي القاسم نجم‌الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠٢ ـ ٦٧٦). إعداد عبدالحسين محمّد علي البقّال. ٤ أجزاء في مجلّدين، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٧. *شرح المختصر* (على تلخيص المفتاح). لمسعود بن عمر بن عبدالله المعروف بسعدالدين التفتازاني (٧٢٢ ـ ٧٩٣). طهران، مطبعة أُوفست مصباحي.

٥٨. *الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيّة)*. لإسماعيل بن حمّاد الجوهري، (م ٣٩٣). تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. الطبعة الثالثة، ٦ مجلّدات، بيروت، دارالعلم للملايين، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥٩. *صحيح البخاري*. لأبي عبدالله بن اسماعيل البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦) تحقيق مصطفى ديب البُغا. الطبعة الرابعة، ٦ مجلّدات + الفهرس، بيروت ـ دمشق، دار ابن كثير ـ اليمامة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦٠. *الصحيفة السجّاديّة الكاملة*. للإمام السجّاد عليه السلام (٣٨ ـ ٩٥) تقديم السيّد محمّدباقر الصدر. دارالتعارف للمطبوعات.

٦١. *طبقات الشافعية الكبرى*. لتاج‌الدين أبي نصر عبدالوهّاب بن علي بن عبدالكافي السُبْكي (٧٢٧ ـ ٧٧١). تحقيق عبدالفتّاح محمّد الحلو ومحمود محمّد الطناحي. ٩ مجلّدات، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

٦٢. *طبقات المفسّرين*. للحافظ شمس‌الدين محمّد بن علي بن أحمد الداوُدي (م ٩٤٥). تحقيق علي محمّد عمر. الطبعة الأُولى، مجلّدان، بيروت، دارالكتب العلميّة.

٦٣. *عوالي اللآلي*. للشيخ محمّد بن علي بن إبراهيم الأحسائي. المعروف بابن أبي جمهور (م أوائل القرن العاشر). تحقيق مجتبى العراقي. الطبعة الأولى، ٤ مجلّدات، قم، مطبعة سيّد الشهداء ﷺ، ١٤٠٣ـ١٤٠٥هـ.

٦٤. *عيون أخبار الرضا* ﷺ. لأبي جعفر محمّدبن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (م٣٨١هـ). تصحيح الشيخ حسين الأعلمي. الطبعة الأولى. مجلّدان. بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٥. *غرائب القرآن*. لحسن بن محمّد القمي النيسابوري، الشهير بنظام النيسابوري. ٣ مجلّدات، الطبعة الحجرية، ١٢٨٠هـ.

٦٦. *فهرست ألفبائي كتب خطي كتابخانه مركزي آستان قدس رضوي* (الفهرس الألفبائي لمخطوطات المكتبة الروضة الرضوية المقدّسة). لمحمّد آصف فكرت ومحمّد وفادار مرادي. مشهد، مكتبة الروضة الرضويّة المقدّسة، ١٣٦٩ش.

٦٧. *فهرست كتابخانهٔ مدرسهٔ عالى شهيد مطهرى*. (فهرس مكتبة مدرسة الشهيد المطهّري العالية). لابن يوسف الشيرازي ومحمّدتقي دانش‌پژوه وعلي‌نقي المنزوي. ٥ مجلّدات، طهران، ١٣١٣ـ١٣٥٦هش.

٦٨. *فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانهٔ آية‌الله المرعشي* (فهرس مخطوطات مكتبة آية‌الله المرعشي العامّة). للسيّد أحمد الحسيني، قم، مكتبة آية‌الله المرعشي.

٦٩. *فهرست نسخه‌هاى خطى كتابخانهٔ مركزى و مركز أسناد دانشگاه تهران*. (فهرس مخطوطات المكتبة المركزية ومركز الأسناد بجامعة طهران). لمحمّدتقي دانش‌پژوه وعلي‌نقي المنزوي. الطبعة الأولى، ١٨ مجلّداً، طهران. جامعة طهران، ١٣٣٠.

٧٠. *القاموس المحيط*. لأبي طاهر مجدالدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (٧٢٩ـ٨١٧) ٤ مجلّدات. بيروت، دار الجيل.

٧١. *الكافي*. لأبي جعفر ثقةالإسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (م ٣٢٩). تحقيق علي أكبر الغفّاري. الطبعة الرابعة، ٨ مجلّدات، بيروت، دار صعب و دارالتعارف، ١٤٠١هـ.

٧٢. *الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل*. لأبي القاسم جار الله محمود بن عُمَر الزمخشري (٤٦٧ـ٥٣٨). تصحيح مصطفى حسين أحمد. ٤ مجلّدات، بيروت، دار الكتب العربي.

٧٣. *كشف الأسرار وعدّة الأبرار* (المعروف بتفسير خواجه عبدالله الأنصاري). لأبي الفضل رشيدالدين الميبدي (ق ٦). تحقيق علي أصغر حكمت. الطبعة الثالثة. ١٠ مجلّدات + الفهرس. طهران، مؤسّسة انتشارات أميركبير، ١٣٦١ش.

٧٤. *الكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. لمصطفى بن عبدالله المعروف بحاجي خليفة وكاتب چلبي (١٠١٧ـ١٠٦٧). مجلّدان، بيروت، دارالفكر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٧٥. *الكشف عن وجوه القراءات السبع*. لأبي محمّد مكّي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ـ٤٣٧). تحقيق محيي الدين رمضان. الطبعة الرابعة، مجلّدان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧٦. *كشف المراد* (في شرح تجريد الاعتقاد). للعلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨ـ٧٢٦). تحقيق آية‌الله حسن‌زاده الآملي. قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧هـ.

٧٧. *كفاية الأثر* (في النصّ على الأئمّة الإثني عشر). لأبي القاسم علي بن محمّد بن علي الخزّاز القمّي الرازي (ق ٤). تحقيق السيّد عبداللطيف الحسيني الكوه‌كمري. انتشارات بيدار، ١٤٠١هـ.

٧٨. *كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال*. لعلاء‌الدين علي المتّقي بن حسام‌الدين الهندي (٨٨٨ـ٩٧٥). إعداد بكري حياني وصفوة السقا. الطبعة الخامسة، ١٨ مجلّداً. بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

٧٩. *لسان العرب*. لجمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور المصري (٦٣٠ ـ ٧١١). ١٥ مجلّداً. قم، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

٨٠. *لؤلؤة البحرين*. للشيخ يوسف بن أحمد البحراني (١١٠٧ ـ ١١٨٦). تحقيق السيّد محمد صادق بحر العلوم. الطبعة الثانية. قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٨١. *مجمع الأمثال*. لأبي الفضل أحمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. الطبعة الثانية. ٤ مجلّدات، بيروت، دارالجيل، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٨٢. *مجمع البيان في تفسير القرآن*. لأبي عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطَبْرسي

(حوالي ٤٧٠ـ٥٤٨). تحقيق لجنة من العلماء. الطبعة الأُولى، ١٠ مجلّدات، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٨٣. *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. لنورالدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي (م ٨٠٧). الطبعة الثالثة. ١٠ مجلّدات، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٨٤. *المجموع شرح المهذّب*. لأبي زكريّا يحيى بن شرف النّوَي الشافعي (م ٦٧٦). ٢٠ مجلّداً، بيروت، دارالفكر.

٨٥. *المحجّة البيضاء*. لمحمّد بن المرتضى المولى محسن، الفيض الكاشاني (م ١٠٩١). تحقيق علي أكبر الغفّاري. ٨ أجزاء في ٤ مجلّدات، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي.

٨٦. *المستدرك على الصحيحين*. لأبي عبدالله محمّد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري (م ٤٠٥). ٤ مجلّدات، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٨٧. *المستقصى في أمثال العرب*. لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (م ٥٣٨). الطبعة الثالثة، مجلّدان، بيروت، دارالكتب العلميّة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٨٨. *مسند أحمد*. لأحمد بن محمّد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١). الطبعة الأُولى، ٩ مجلّدات، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٨٩. *مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة*. (المنسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام). لعبدالرزّاق بن محمّد هاشم الگيلاني (ق ١١)، تصحيح رضا المرندي. الطبعة الأُولى، قم، پيام حق، ١٣٧٧ش.

٩٠. *المصنّفات الأربعة*. للشهيد الثاني زين‌الدين بن على بن أحمد العاملي (٩١١ ـ ٩٦٥). تحقيق قسم إحياء التراث الإسلامي في مركز الأبحاث والدراسات الإسلاميّة. الطبعة الأُولى، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٢٢هـ.

٩١. *معاني الأخبار*. لأبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١). تحقيق علي أكبر الغفّاري، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦١ش.

٩٢. *معاني القرآن وإعرابه*. لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (م ٣١١). تحقيق عبدالجليل عبده شلبي. الطبعة الأُولى، ٥ مجلّدات بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٩٣. *معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة*. للسيّد أبي القاسم ابن السيّد علي أكبر الموسوي الخوئي (١٣١٧ ـ ١٤١٣). الطبعة الثالثة، ٢٣ مجلّداً + الفهرس، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٤. *معجم المطبوعات العربية والمعرّبة*. ليوسف إليان سركيس (١٢٧٢ ـ ١٣٥١). مجلّدان، قم، مكتبة آية‌الله المرعشي، ١٤١٠هـ [بالأُوفست عن طبعة مصر، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٨م].

٩٥. *معجم المفسّرين* (من صَدْر الإسلام حتّى العصر الحاضر). لعادل نويهض. تقديم الشيخ حسن خالد. الطبعة الثانية، مجلّدان، بيروت، مؤسّسة نويهض الثقافية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٩٦. *معجم مقاييس اللغة*. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (م ٣٩٥). تحقيق عبدالسلام محمّد هارون، ٦ مجلّدات، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٩٧. *النشر في القراءات العشر*. للحافظ أبي الخير محمّد بن محمّد الدمشقي الشهير بابن الجزري (م ٨٣٣). تحقيق علي محمّد الضباع. مجلّدان، طهران، المكتبة الجعفرية.

٩٨. *نقد الرجال*. لسيّد ميرمصطفى الحسيني التفريشي (ق ١٠). قم، انتشارات الرسول المصطفى ﷺ.

٩٩. *نهج البلاغة*. لأبي الحسن الشريف الرضيّ محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي (٣٥٩ ـ ٤٠٦). تحقيق صبحي الصالح. الطبعة الأُولى، طهران، دار الأُسوة للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ.

١٠٠. *نور الثقلين*. للشيخ عبدعلي بن جمعة العروسي الحويزي (م ١١١٢). تصحيح السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، الطبعة الثانية، ٥ مجلّدات، قم، دار الكتب العلميّة.

١٠١. *وسائل الشيعة*. للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤). تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى، ٣٠ مجلّداً، قم، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٩ ـ ١٤١٢هـ.

٩ ـ فهرس الموضوعات

تصدير ٥

مقدِّمة التحقيق ... ٧

الفصل الأوّل: ترجمة المؤلّف ... ٩

اسمه ونسبه ... ٩

ولادته ٩

أُسرته ٩

مكانته الاجتماعيّة ١١

أقوال العلماء في حقّه ١١

أساتذته ١٣

تلامذته والرواة عنه ١٣

إزاحة وهم ١٥

آثاره العلمية وفيها فصول: ١٨

الفصل الأوّل في الفقه ١٩

الفصل الثاني في أُصول الفقه ٢٠

الفصل الثالث في الأدب وعلوم العربية ٢١

الفصل الرابع في وقائع الأيّام ٢٢

الفصل الخامس في الأدعية ٢٣

الفصل السادس في الحديث ٢٣

الفصل السابع في أُصول العقائد ٢٤
الفصل الثامن في الحكمة والفلسفة ٢٤
الفصل التاسع في الرياضيات.. ..... ٢٤
الفصل العاشر في الرجال والإجازات.. ..... ٢٦
الفصل الحادي عشر في العلوم الغريبة. ٢٦
الفصل الثاني عشر في الكتب المجهول موضوعها ٢٦
الفصل الثالث عشر في علوم القرآن ... ٢٧
وفاته ٢٩
الفصل الثاني: العروة الوثقى ٣٠
نكتة ٣١
العروة الوثقى من منظار المؤلّف ٣٢
العروة الوثقى والطبع. ٣٣
الفصل الثالث: نحن وهذا الكتاب... ... ... ٣٤
وقفة مع الطبعة السابقة .. ٣٥
منهج التحقيق ٤٣
شكر وثناء. ٤٤
نماذج مصوّرة من المخطوطات.. ..... ٤٦

العروة الوثقى
في تفسير سورة الحمد

مقدّمة المؤلّف ٥٧

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

لفظ السورة ٦٥

أسماء السورة ٦٩
نزول السورة ٧٨
البسملة ٨١
قراءة البسملة في الصلاة ٨٥
باء البسملة ٨٧
معنى الاسم ٩٠
لفظ الجلالة ٩٤
وصفية لفظ الجلالة ٩٨
تفخيم لفظ الجلالة ١٠١
تفسير «الرحمن الرحيم» ١٠٣
وجوه تقديم الرحمن ١٠٤

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ العالمينَ﴾

الحمد ١٠٧
ربّ العالمين ١١١

﴿الرَّحمنِ الرَّحيم﴾

وجه التكرار في الرَّحمنِ الرحيم ١١٥

﴿مالكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

تفسير «المالك» ١١٧
تفسير «الدين» ١١٨
سرّ التحميد لله ١٢١

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»

العبادة ١٢٤
الاستعانة ١٢٥
وجوه تقديم العبادة ١٢٥
وجوه تقديم مفعولي العبادة والاستعانة ١٢٧
وجوه إيثار صيغة المتكلّم مع الغير ١٢٨
وجوه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ١٣٠

«إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»

الهداية ١٣٧
أقسام الهداية ١٤٢

«صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ»

قراءة الآية ١٤٧
الإنعام ١٤٨
الغضب والضلال ١٤٩
المغضوب والضالّ ١٥١

خاتمة

فضل سورة الفاتحة ١٥٤

سورة البقرة

نزول السورة وعدد آياتها ١٥٧
حروف المقطّعة المفتتح بها السور ١٥٩

الرحلة
لوالد الشيخ البهائي

مقدّمة التحقيق ١٦٣
صورة الصفحة الأُولى لرسالة الرحلة ١٦٦
متن الرسالة ١٦٧
خطبة المؤلّف ١٦٧
مدح شيخه الشهيد زين‌الدين ١٦٨
تشوّقه إلى بلده وأصحابه وشيخه الشهيد ١٦٨
وصوله إلى العراق وطيب إقامته فيه ١٦٩
عدوّ له يتربّص به الدوائر ١٧٠
هذا العدوّ هو سبب ارتحال المؤلّف من العراق ١٧١
دفع شبهة عن ارتحال المؤلّف من العراق ومفارقة عتبات الأئمّة عليهم السلام ١٧٢
وصف المؤلّف نفسه بمكارم الأخلاق ١٧٣
ذمّ الدنيا ١٧٦
حزنه يوم خروجه من العراق ١٧٧
سفره من النجف إلى بغداد ١٨٠
وصوله إلى المملكة الكردية اللُّرّيّة ١٨٠
وصوله إلى كاشان ١٨٢
وصفه للشتاء والربيع ١٨٣
وصوله إلى أصفهان ومدحه للسيّد أسدالله ١٨٤
مدحه لأصفهان ١٨٤
معاملته ومعاشرته للناس في الدولة الصفويّة ١٨٥
انتقاده للقضاء في الدولة الصفوية ١٨٧
هضم المؤلّف لنفسه ١٨٨
مدح المؤلّف لهذه الرحلة ١٩٢
خاتمة الرحلة ١٩٣

چکیده

شیخ بهاءالدین عاملی، مشهور به شیخ بهائی از عالمان شهیر قرن دهم هجری است، وی آثار متنوع و گوناگونی دارد که اثر حاضر با نام «العروة الوثقی» (در تفسیر سوره حمد) یکی از آنهاست. این تفسیر با وجود اختصار، مشتمل بر لطایف و نکات فراوانی است و چنان که خود مؤلف در مقدمه‌اش آورده، وی به مدت سی‌سال به نگارش این تفسیر، اشتغال داشته است.

اما با کمال تأسف، موفق به تکمیل آن یعنی تفسیر همهٔ سوره‌های قرآن نشد، یا اگر شده حوادث روزگار مانع از رسیدن آن به دست ما شده است.

ضمیمه چاپ کنونی این تفسیر، رساله‌ای از پدر شیخ بهائی است که به امر استادش، شهید ثانی نگاشته، و برای اولین بار به چاپ می‌رسد.

ناشر

مؤسسه بوستان کتاب
(مرکز چاپ و نشر دفتر تبلیغات اسلامی حوزهٔ علمیهٔ قم)
پرافتخارترین ناشر برگزیدهٔ کشور
نشانی دفتر مرکزی: ایران، قم، اول خیابان شهدا، ص پ: ۹۱۷
تلفن: ۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۵+ ، فاکس: ۹۸۲۵۱۷۷۴۲۱۵۴+ ، پخش: ۹۸۲۵۱۷۷۴۳۴۲۶+

العروة الوثقى

في تفسير سورة الحمد

علاّمه محمّد بن حسين حارثى عاملى

معروف بالشيخ البهائي قدس سره

والرحلة

شيخ حسين والد الشيخ بهائى قدس سرهما

پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی

مرکز احیای آثار اسلامی

بوستان کتاب

۱۳۸۷

Abstract

Sheikh Baha al-Din Ameli was an eminent scientist in the 10th century A.H. he has written various works one of which is *The Firm Tie in the Exegesis of Hamd Sura*. Although it is a brief book of exegesis it has many interesting points. As the writer of states in the introduction of the book, he had spent thirty years on writing the book. But unfortunately either he could not write the exegeses of all suras of The Quran or what he wrote no longer survived.

A treatise of Sheikh Bahai's Father has been added to this book. His father has written this treatise on the recommendation of his teacher, Shahid Thani (the Second Shahid). Now, this is the first time that this treatise is published.

The Publisher

Būstān-e Ketāb Publishers

Frequently selected as the top publishing company in Irān, Būstān-e Ketāb Publishers is the publishing and printing house of the Islāmic Propagation Office of Howzeh-ye Elmīyeh-ye Ghom, Islāmic Republic of Irān.
P.O. Box: 37185-917
Telephone: +98 251 774 2155
Fax: +98 251 774 2154
E-mail: info@bustanekctab.com
Web-site: www.bustancketab.com

The Firm Tie in the Exegesis of Hamd Sura

By

Allameh Muhammad Bin al-Hasan al-Harethi-al-Ameli, Known as Sheikh al-Bahai (May His Spirit Be Sanctified)

And

Travel
By
Sheikh Husayn, Sheikh Bahai's Father (May Their Spirit Be Sanctified)

Būstān-e Ketāb Publishers
1387/2008